

سِلَاقِ الثَّقَلَيْنِ

العدد الثالث والثلاثون • السنة التاسعة • المحرم الحرام - ربيع الأول ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

• الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم . ص . ب : (٨٩٤ = ٣٧١٨٥)

• هواتف : ٣ = ٧٤٠٧٧١ فاكس : ٧٤٥١٧٩

• موقعنا على الانترنت :

www.ahl-ul-Bayt.org

مفاهيم اسلامية بامتعة

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم والسنة الشريفة للرسول الأمين ﷺ واهل بيته الطيبين الطاهرين (عليه السلام).
- تستقبل نتائج العلماء والمفكرين والكتاب الاسلاميين التي تصب في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلامية وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم.

- الآراء الواردة فيما يُنشر لا تعتبر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.

- يُرجى ممن يرفد المجلة باستنتاجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر.

□ كلمة التحرير

* رسالتنا بين النظرية والتطبيق

٤ بقلم رئيس التحرير

□ من أضاف القيادة الاسلامية

* التبليغ ضمان لاستمرار مسيرة التضحية الحسينية ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله) ٩

□ دراسات

* التفكير في التصور القرآني الشيخ مرتضى المطهري ١٨

* المرجعية الدينية الصالحة (١)

المرجعية ... موقعها مهماتها انجازاتها... السيد محمد باقر الحكيم ٢٥

* خديجة الكبرى مثل أعلى للمرأة المسلمة (١)

٤١ عز الدين سليم (العراق)

* دور العصبيات في اضعاف الكيان الاسلامي ..

٦٨ «عصر صدر الاسلام نموذجاً» (١) الشيخ عبدالكريم آل نجف

□ من ضحك مدرسة اهل البيت (ع)

* مسألة تغيير قيمة العملة الورقية وأثرها على الأموال المؤجلة الشيخ محمد علي التسخيري ٨٩

□ سؤال وجواب

* حول حرية الدين والثقافة السيد عبدالكريم هاشمي نژاد ١٠٧

□ شبهات ورد

* مفاهيم معاصرة في الميزان السيد هاشم الهاشمي ١٢٠

□ رأي

* منهجية الحوار في الاسلام جعفر عبد الرزاق (هولندا) ١٥٥



الجمع العالمي لأهل البيت

للمعركة العظمى :

الشيخ

محمد باقر المجلسي

رئيس المؤتمر :

الشيخ

فؤاد كاظم الحلي

○ العدد الثالث والثلاثون

○ السنة التاسعة

○ المحرم الحرام - ربيع الأول

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٧ م

□ أدب في رهاب الثقلين

- * قصيدة : الحرف والسيف هاشم محمد ١٨٠
- * قصيدة : نشيد الحسين السيد محمد جمال الهاشمي ١٨٢
- * قصيدة : الزمان الطغرائي ١٨٥

□ أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

- * روايات أم المؤمنين أم سلمة قاسم السوداني ١٨٧

□ من غرر مقيم أهل البيت (ع)

- * الإحسان (١) الشيخ لطيف الأسدي ١٩٥

□ استطلاع

* المسلمون وأتباع أهل البيت في بنغلاديش (١)

- الاعداد: تحت اشراف الشيخ محمد أشرف الدين خان (بنغلاديش) ٢٠٩

□ من ألبان، القرى

* الجمهورية الإسلامية في إيران : مشهد الانتخابات الإسلامية في إيران

- واقع الانتماء للثورة ٢٢٢
- * فلسطين : المفاوضات بين السلطة الفلسطينية وتل أبيب ..

النفق الطويل ٢٢٥

* لبنان : قرار الانسحاب من جنوب لبنان ... دروس وعبر ٢٢٩

* العراق : بين عقاب النظام والأمم المتحدة المطلوب .. معادلة بديلة .. ٢٣٢

* السودان : من المستفيد من الانقسام ؟ ٢٣٥

* الشيشان : الصراع الطويل ٢٣٨

* نيجيريا : بين ركاب العنف في نيجيريا .. فتش عن التاريخ ٢٤٢

* أمريكا وأوروبا : واشنطن والموقف من عملية التسليح النووي ٢٤٥

استغلالاً لأضحايا النازية .. بعد الساسة ،

الحركة الصهيونية تتجه نحو الرأي العام ٢٤٨

هل تقف الولايات المتحدة الأميركية وراء الفتنة الطائفية ؟ .. ٢٥٢

..... اعداد : قسم الأرشيف

□ مع قرآن الثقلين

- * رسائل وتقويمات اعداد : قسم العلاقات ٢٥٦

رسالتنا

بين النظرية والتطبيق

✽ بقلم رئيس التمرير

المشهور أن أول ما خوطب به الرسول الكريم ﷺ قرآنًا مبیناً ووحياً الهياً هي الآيات الكريمة : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ خلق الانسان من علق ﴾ اقرأ وربك الأكرم ﴾ الذي علم بالقلم ﴾ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ ^(١) ولعلّ الحكمة في ذلك أن هذه الآيات الكريمة تدعو الرسول الكريم ﷺ وكل أنسان سوي إلى التفكير وقراءة الكون والحياة والانسان ومعرفة مبدءها ومسارها ومآلها . حيث لا يختلف أثنان في أن الانسان جُبِل على التفكير ، وخلق منطقياً بالطبع في أول خطواته ، في هذه الحياة الدنيا ، ينطلق من رحاب الفطرة السليمة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها وتبدأ نفسه بالصرورة والتكون ، إلا أنه ، ومنذ البداية ، تبرز في طريقه مخاطر الانحراف . ونحن هنا لا نريد أن نخوض بسطورنا هذه في



مسارات حياة بني الانسان سموأ وانحطاطاً، ونغور في أسباب الانحراف يميناً أو شمالاً، فلهذا حديث آخر، إنّما الذي نريد أن نوّشر له هو أن عملية التفكير، لو قدّر لها أن تكون سليمة ومنطقية، فليس بالضرورة أن الترجمة العملية لها في ساحة الواقع ستكون على الدوام سليمة وصحيحة. صحيح أن المفكر يُفترض فيه عندما يبلور فكرته ويرسم خطى مسيرته أن يأخذ بنظر الاعتبار الاركان الاساسية لأية عملية تفكير وتخطيط سليمة. فيحدد الهدف بوضوح أولاً، ويقرر ما لا بد منه للبداية بالمسير نحو الهدف المحدد ثانياً، ولا يغفل ثالثاً عن تشخيص مراحل المسير وحدودها، وما تتطلبه من عوامل وضوابط، وما تعرض عليه مسيرته من سنحات وأحوال، وما سيعترض طريقه من موانع وعقبات، وكيف السبيل إلى تذليلها وأجتيازها؟ كل هذا لو افترضنا حصوله في الذهن أو سُطر على القرطاس، ولكن الصعب المستصعب أن يكون - كل هذا - على أرض الواقع ممارسة متكاملة، وحركة فعّالة مستقيمة باتجاه الهدف، فكم من نظريات وأفكار، ومشاريع وخطط بقيت سجيئة في بطون الكتب، تراكم عليها التراب، وأندرت في أعماق أرشيف التاريخ القديم.

وقد تحصل البداية، ويُسرع في الحركة على أرض الواقع، ولكن لا تلبث هذه الحركة أن تقف، لوعورة الطريق، ووخز الاشواك، فيكبو حصانها وتنهار العزائم، وينفذ الصبر عن مواصلة المسير.

ولو قدّر لهذه المسيرة أن تستمر، ولهذه الحركة أن تدوم، فهل حتماً سنظفر بمرامنا، ونصل إلى هدفنا بسلامة وأستقامة؟! لا غرابة إذا كان

جوابنا سلبياً ، ولعلّ السّر في ذلك ، هو أن هناك ما يجب حسابه في مقومات المسيرة حساباً جوهرياً ، ولا يمكن الاستغناء عنه في أية خطوة من خطواتها ، وفي أية مرحلة من مراحلها ، ولعلّ يضاهي الصبر والاستمرار في المسيرة ، بل يتقدم عليه رتبة في الأهمية والقيمة ، ذلك هو الحضور الدائم ، والذكر المستمر للهدف - بكل حقيقته الناصعة وحدوده الواضحة - في وجدان السائرين ، وفي ضمير السالكين ، ألا تلاحظ البناء أو المهندس الذي يريد أن يُشيّد داراً ، أو يعبّد طريقاً ، لو أغفل هدفه وفقد حضوره للخارطة ، لتعرض بناءه للانحراف وفقد الاستقامة ، ولو حصل ذلك بمقدار مليمتر واحد لتضاعف عند النهاية ، ولأنهار البناء ، ولأنتهى الطريق إلى هاوية أو يصطدم بجبل ، فما دام الهدف حاضراً بوضوح في أعماق وجدان العالمين ، وذكره سرمداً في ضمير المؤمنين ، لن يحصل لديهم الانحراف لا في العقيدة ولا في المسيرة ، ويمكنهم - حال سيرهم نحو أهدافهم - أن يضعوا أصابعهم ، بكل وضوح واطمئنان ، على الخلل في المسيرة ، ما هو ؟ وأين يكمن ؟ وما هي أسبابه ؟

ومن هنا يتضح لنا قول الحكماء ، أن شروط قيام ونجاح أية حركة حضارية رائدة في المجتمع هي :

* وجود النظرية السليمة الصالحة للتطبيق .

* الايمان الراسخ بها .

* التطبيق الصالح لها .

* الاستقامة عليها بالحضور الدائم لها وعدم الغفلة عنها .

* الاستمرار بالمسيرة ، والصبر عليها حتى النهاية .

وهذا يعني أن من الشروط الاساسية لأستقامة أية مسيرة ودوامها

باتجاه اهدافها هي : المراقبة والنقد ، التسديد والترشيد ، التواصي بالصبر ، فيما بين رجالها ، رجال المسيرة الواحدة ، والطريق الواحد ، ولا يمكن لفرد ، مهما أوتي من قُدرات - إلا من تَلطف الله عليهم بالعصمة من الانبياء والاوصياء - أن ينهض باعباء المهمة منفرداً ، وهكذا هي سنة الله في خلقه :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ والعصر ﴾ ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم .

﴿ ان الانسان لفي خسر ﴾ ، تلك حقيقة ثابتة بحق كل فرد من بني الانسان .
﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ ، استثناء ، ولكنه لجماعة بني الانسان ، بما هم جماعة وعصبة مؤمنة بالله ورسله ورسالاته ، وهذا أول شروط الاستثناء .
﴿ وعملوا الصالحات ﴾ ، تطبيقاً لما آمنوا به وتصديقاً له ، وهو الشرط الثاني .

﴿ وتواصوا بالحق ﴾ ، الذي آمنوا به ، فبالتواصي بالحق تُضمن استقامة المسيرة ، ولا يتم ذلك إلا بالعصبة اولى القوة ، التي يشد بعضها أزر بعض ، ويثبت بعضها البعض الآخر ، بذكر الحق وقول الصدق ، وهذا هو الشرط الثالث .

﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ ، على ما يعانونه من محنة المسيرة ، وبه - بالتواصي بالصبر - تضمن مواصلة المسيرة ويتم الشرط الأخير .
تلك هي شروط المسيرة الصالحة ، وبها يصل السائرون إلى النصر والفوز المبين .

وتتميز مسيرتنا الاسلامية بأنها تسير نحو الكمال المطلق ، ومن ضروراتها الاستقامة التامة ، والحفظ الدائم من الانحراف كنتظرية وهدف ، وكحركة وسلوك ، تحقيقاً للحجة البالغة على الناس ، ولطفاً بهم ،

ولا يتأتى ذلك إلا بتوفير عامل جوهري من فيض الهدف المطلق يُصطفى حافظاً للرسالة ، ورقيباً على المسيرة ، وقيماً على السائرين نحو الله تبارك وتعالى ، وهو حجة الله في الخلق .

ومن هذا ندرك لماذا جعل الله تعالى آدم ﷺ أول أنسان خلقه نبياً بالضرورة ؟ وذلك لضرورة العصمة تحقيقاً للحجة البالغة لله على خلقه .

ومن هذا القانون الالهي نستل الحقيقة العقلية الناصعة ، من المقولة الشريفة : (ان الأرض لا تخلو من حجة) ، حجة لها قيمومة رسالية على المسيرة ، بما تملك من علم اليقين وعينه ، وسمو الايمان وعمقه ، وبما تتحلى من استقامة وصبر في المسير ، ووضوح وحفظ للهدف ، لو كشف لها الغطاء ما أزدادت يقيناً ، ذالكم هم أنبياء الله ورسله ، والأوصياء الأمناء من بعدهم .

وبنفس الملاك ، مع اختلاف في الرتبة والدرجة ، تكون القيمومة والولاية للفقهاء الربانيين ، والعلماء المجاهدين ، أولئك الذين وصلوا إلى مشارف اليقين الرباني ، وكرعوا كأس المعرفة الالهية ، وأعتركوا مع نفوسهم بالجهاد فانتصروا ، فكانوا في ساحات الوغى أعظم وأقدر .

والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين.



التبليغ ضمان لاستمرار مسيرة التضحية الحسينية

❦ ولي أمر المسلمين آية الله العظمى
السيد الفاضل «دام ظلّه»

من كلمة لولي أمر المسلمين وقائد الأمة الإسلامية سماحة آية الله العظمى
السيد علي الخامنئي «دام ظلّه» في جمع من العلماء والفضلاء والخطباء وأئمة
الجماعة على أعتاب شهر محرّم الحرام لعام ١٤٢٠ هـ.

بقاء الدين حيّ بفضل تضحية الحسين (عليه السلام)

ان فرصة التبليغ في شهر محرّم الحرام فرصة ثمينة وفريدة ،
والفضل فيها يعود لسيد الشهداء وأبي الاحرار أبي عبد الله
الحسين (عليه السلام) وأصحابه الغر الميامين . لقد بقي أثر تلك الدماء - التي أريقَت
ظلماً - خالداً على مدى التاريخ ؛ لأن الشهيد - الذي يضع روحه على طبق
الاخلاص ويوجد بها في سبيل الغايات النبيلة للدين - لا يد وأن يتّسم
بالاخلاص والنقاء . وأيّ مخاتل ومخادع مهما بلغت به القدرة على تطويع
اللغة والبيان على اظهار نفسه وكأنّه مناصر للحق ، لا بد وأن يتراجع

عندما تتعرض مصالحه الذاتية لأيّ تهديد ، وخاصة إذا كان في ذلك التهديد خطورة على نفسه وأنفس أعزائه ، ولا يبدي عند ذلك أيّ استعداد للتضحية والبذل .

وأما من يسير على طريق التضحية والفداء ويحجود بنفسه بصدق وإخلاص في سبيل الله ، كان حقاً على الله أن يكتب له الحياة ، إذ انه قال في كتابه الكريم : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾ . وقال أيضاً ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ . وأحد أبعاد الحياة هو هذه المعالم التي لا يُمحى أثرها ولا ينتكس لواؤها . أجل ، أنّها قد تبهر الوانها لمدة من الزمن بفعل أساليب القهر والعنف التي تمارسها القوى المتجبرة المستبدة ، إلا أن الله تعالى كتب لها البقاء والخلود . وقد قضت سنة الله بديمومة سبيل النزاهة والصالحين والمخلصين ؛ فالإخلاص صفة ذات آثار مذهشة ، ولهذا بقي الدين حياً بفضل تضحية الحسين بن علي عليه السلام وبفضل دمه ودماء أصحابه التي أريقت ظلماً وعدواناً .

من غير المرتجى طبعاً أن يقتات جيل ما على موارد مفاخر ومآثر الأجيال الأخرى ، وإذا ما كان هناك مثل هذا الجيل فهو بلا ريب آيل إلى الانحطاط . إذ ما دامت هذه الحركة متسارعة في سيرها يفترض بالأجيال البشرية المؤمنة أن يؤدي كل منها دوره المطلوب فيها ، ولا شك طبعاً في أن دور المؤمنين والمخلصين يختلف باختلاف الأزمان وحسب متطلبات كل عصر ؛ وتلك الأدوار على ما فيها من التفاوت تعتبر كلها جهاداً في سبيل الله ، لأن الكل فيها معرضون للبذل والتضحية ومن جعلتها التضحية بالنفس ؛ وقد يكون ذلك في ميدان الحرب تارة وفي الحوزات العلمية تارة أخرى ، وقد تكون التضحية على غرار تضحية

الشهيدین الأول والثاني مرّة ، أو قد تكون في الساحة السياسية مرّة أخرى ، أو في ميدان التقدم الاجتماعي ، أو أثناء أحداث ثورة كبرى كهذه الثورة الالهية ، وقد تكون ثالثة لأجل تبیین حقائق الدين ، كما هو الحال بالنسبة للشهيدین مطهري وبهشتي ؛ إذ إنّ لكلّ عصر متطلباته . ومعنى ذلك ان هذه السنّة لا تزال متواصلة .

أجأج ماؤنا أو من فرات لنفخ الصور ذي سنن الحياة
أجل ، إن هذا الطريق دائم لا نهاية له ، ولكن من الذي ينهض بمهمة ديمومة هذه الحركة ؟

المبلّغون ضمان لاستمرار المسيرة :

ومن الذي يضمن استمرار مسيرة القافلة الجادّة في سيرها ؟ انهم المبلّغون الذين يقف في مقدمتهم الأنبياء والأولياء والصالحون الذين كانوا وكانهم شموع تثير في الفّراش روح الحركة .

كلامنا يشحذ العشاق من وَلِهٍ كما الفراشات حول النور تزدحم
ان المبلّغ يعمل ويتحرك بلسانه وبقلبه وبروحه وبهمّته وببصيرته .
ويجب على المبلّغين الاستمرار بحركتهم الالهية على هذا المنوال ، وعلى هذا الاسلوب ، وبهذا الاندفاع ولنفس هذه الغايات ؛ إذ أن ثورتنا انتصرت وفقاً لهذا السياق نفسه ، إلّا ان أكثركم - أنتم الشباب - لم يدرك تلك الأيام ، حيث انبثّ آنذاك المبلّغون وطلبة العلوم الدينية المخلصون الذين لم تكن تحدوهم حينذاك أيّة مطامع ، وأناروا بلاد الاسلام ، وكل أرجاء هذا البلد من قرى ومدن ومساجد وحارات وأزقة ودور ؛ انطلقوا آنذاك في كلّ حذب وصوب وأصاؤوا حينما ذهبوا قبساً من تلك الشمس المضيئة التي كان منطلق كل اشعاعاتها إمامنا الخميني العظيم الذي كان

بدوره قبساً من شمس الحسين ﷺ الوهاجة . فإذا ما استنارت القلوب وتيقظت الأنفس انطلقت الاجسام والألسن بالحركة ، وتحررت الارادات . وهكذا الحال أيضاً اليوم وغداً، غاية ما في الأمر أن أبداع المبلغ يتجسد في كل عصر بتلبية متطلبات مخاطبيه ؛ ومعنى هذا انه يجب أن يكون على معرفة بمتطلبات العصر .

أرى من جملة كلمات أبي عبدالله الحسين ﷺ - وكلماته كلها ذات مغزى ومفهوم عميق ، وأوصيكم بالاستشهاد أكثر ما يمكن بكلماته في سياق بيان الأقوال البليغة والمؤثرة للناس - المناسبة لمجلسنا هذا هو ما نقل عنه أنه قال : «اللهم انك تعلم أن الذي كان منّا لم يكن منافسة في سلطان ولا التماس شيء من الحطام ، ولكن لنثري المعالم من دينك» .

ان للمعالم أهميتها ، إذ ان الشيطان كثيراً ما يستخدم أساليب التحريف والدلالة على السبيل الاعوج لاضلال الجماعة المتديّنة ، فإذا استطاع هذا الشيطان أن يأمر الناس بالتخلّي عن دينهم ، فعل وسلبهم الايمان عبر أساليب الاغواء والاعلام المعموم ، وإذا لم يتيسّر له ذلك نصب لهم معالم ودلالات مضلّة ؛ مثلما يسير الانسان في الطريق ويستدل بالعلامات والاشارات الموجودة على جانبيه للاهتداء إلى السبيل السالك القويم ، ولكن تأتي يد خائنة وتحرف تلك الاشارات والمعالم إلى غير سواء السبيل .

الإصلاح كان هدف الامام الحسين ﷺ الأول :

لقد جعل الامام الحسين ﷺ هدفه الأول : « لنثري المعالم من دينك ونُظهر الإصلاح في بلادك » . ولكن ما المقصود بالإصلاح ؟ المقصود به طبعاً اجتثاث جذور الفساد . وأيّ فساد هذا ؟ ان الفساد على أنواع وأقسام

شَتَّى ، منها : السرقة ، والخيانة ، والعمالة ، والطغيان ، والتحلل الخلقي ،
والخيانة في المال ، والعداء بين صفوف الخندق الواحد ، والتواطؤ
مع أعداء الدين ، والميل إلى ما فيه إضرار بالدين . في حين ان كل
شيء يتحقق في ظل وجود الدين . ويواصل ﷺ كلامه بالقول : «وَيَأْمَنُ
الْمُظْلَمُونَ مِنْ عِبَادِكَ» . أَيَّ يَأْمَنُونَ عَلَى كِرَامَتِهِمْ وَعَلَى أَمْوَالِهِمْ فِي
حَيَاتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَعَلَى صَعِيدِ الشُّؤْنِ الْقَانُونِيَّةِ وَالْعَدْلِيَّةِ ، وَهَذَا
مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ عَالَمُ الْيَوْمِ . كَانَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنِ يَتَطَلَّعُ إِلَى تَحْقِيقِ
مُثُلٍ مُنَاقِضَةٍ لِمَا كَانَ سَائِداً فِي ظِلِّ تَسْلُطِ الطَّوَاغِيتِ فِي عَصْرِهِ ؛ وَلَوْ
أَنْكُمْ نَظَرْتُمْ إِلَى ظُرُوفِ عَالَمِ الْيَوْمِ لَوَجَدْتُمُوهَا مِثْلَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ ذَلِكَ ،
إِذْ أَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ مَعَالِمَ الدِّينِ بِالْمَقْلُوبِ ، وَيَمَارِسُونَ مَزِيداً مِنَ الْجَوْرِ
ضِدَّ الْمُضْطَهَّدِينَ ، وَيَغْمِسُ الظُّلْمَةُ أَيْدِيَهُمْ فِي دِمَاءِ الْمُظْلَمِينَ أَكْثَرَ مِنْ
ذِي قَبْلِ .

مسلمو البلقان دفعوا ضريبة اسلامهم :

انظروا إلى ما يجري اليوم في العالم ، ولاحظوا ماذا يُفْعَلُ
بمسلمي كوسوفو ؛ فهناك خمسمائة ألف انسان أو أكثر بين طفل
وكهل وامرأة ورجل ، وبعضهم مرضى ، مشردون في البراري
وعلى الحدود ، وهم لا يلقون في هذه البراري والحدود أي ودٍّ أو
رحمة ، بل يواجهون العداء والضغوط ، ويزرع الأعداء في طريقهم
الألغام ، ويرمون من ورائهم القنابل . والهدف النهائي هو تمزيقهم
والقضاء عليهم .

أريد الإشارة - دون الدخول في بحث التفاصيل - إلى أن هناك أرادة
جماعية لإبادة المسلمين في منطقة البلقان وتشريدهم ، ليحولوا دون

ظهور دولة اسلامية أو مجتمع اسلامي - مهما كان نوعه ، حتى وإن كان من نوع المجتمع الاسلامي الذي لم يوصلوا إلى أسماعه أية معارف إلهية صحيحة على امتداد مائة سنة - لأن حتى هذا النوع من المجتمع الاسلامي فيه خطورة عليهم ، ويفترضون حتى وإن لم يكن الجيل الحالي لمسلمي البلقان على معرفة بالاسلام ، فإن جيلهم القادم سيكون على معرفة به ، لأن مجرد إحياء الهوية الاسلامية لديهم فيه خطورة على تلك الجهات ، وهذا ما صرّح به البعض علانية . ان تلك الدول تتحارب فيما بينها ، إلا أنها لا تلتفت ولا تعنى بمن يذهب ضحية هذا الصراع ، على الرغم مما طرحه من ادعاءات . ولا شك في ان شعار «يأمن المظلوم من عبادك» هو الهدف من كل ثورة اسلامية ، ومن كل حكم اسلامي ، ومن كل حركة ترمي إلى تحكيم دين الله .

جميع متطلبات الانسان تتحقق في ظل أحكام الدين :

وواصل ﷺ كلامه بالقول : «ويعمل بفرائضك وأحكامك وسنتك» .

إني أتساءل من أين يأتي البعض - رغم عدم معرفتهم بمبادئ الاسلام ولا بكلمات الامام الحسين ولا باللغة العربية - بآراء يزعمون فيها أن الامام الحسين ثار من أجل كذا غاية أو كذا هدف ؟ . فهذا كلام الحسين بين أيدينا ويقول فيه : «ويعمل بفرائضك وأحكامك وسنتك» . بمعنى ان الامام الحسين ضحى بنفسه وبنفوس أكرم وأطهر الناس في عصره من أجل أن يعمل الناس بأحكام الدين ، لأن السعادة رهينة بالعمل بأحكام الدين ، والعدالة متعلقة بالعمل بأحكام الدين ، وحرية الناس منوطة بالعمل بأحكام الدين ؛ فمن أين لهم الإتيان بالحرية ؟ ان جميع متطلبات الانسان تتحقق في ظل أحكام الدين .

ان انسان اليوم لا يختلف في متطلباته الأساسية عن انسان ما قبل ألف سنة ، ولا حتى عن انسان ما قبل عشرة آلاف سنة ، لأن متطلبات الانسان الأساسية واحدة ، فهو يتطلع إلى الأمان ، والمعرفة ، والحرية ، والحياة الرغيدة ، وينفر من التمايز والظلم . أمّا المتطلبات الأخرى العارضة أو الطارئة في حياة الانسان ، فيمكن ضمان تحقيقها في ظل وفي اطار تلك المتطلبات الأساسية .

وهذه المتطلبات الأساسية يمكن ضمانها في ظل دين الله فحسب ، وليس هنالك من مذهب من المذاهب البشرية ذات التسميات الرنانة له القدرة على أستنقاذ الانسان وحتى إذا افترضنا ان لديهم القدرة على توفير الأموال لعدد من الناس ، فهل المال هو كل ما تتطلبه حياة الانسان؟ وهل حياة الانسان اليوم تتطلب أن يبلغ الانتاج القومي الكلّي عن أن يفي بالمستلزمات الغذائية لذلك الشعب ؟ فهل نقنع بهذا ؟ وهل هذا هو كل ما نطمح إليه ؟!

ما فائدة ان يكون بلد ما غنياً ، في حين يوجد فيه جياع كثيرون ؟ ويكون لديه انتاج وافر ، ولكنه يضجّ بالتميز بين أبناء الشعب ؟ وتستطيع فئة صغيرة الاستعانة بتلك الثروات لإنزال الظلم بحق جموع كثيرة من ذلك الشعب والتسلط عليهم واستغلالهم ؟ وهل لمثل هذه الظروف يعمل الانسان ؟ ولمثل هذه الأوضاع يبذل ويضحّي ؟! ان التضحية يجب أن تكون في سبيل العدالة والحرية والسعادة ؛ وهذا هو ما يضمن الدين تحقيقه . والتضحية يجب ان تكون في سبيل ان يتحلّى الناس بالفضائل والأخلاق الحسنة ، ولتشجيع في أجواء الحياة معاني الاخلاص والنقاء . ولمثل هذا يجب أن يعمل العاملون ، ويجب ان ينصبّ عملكم التبليغي والاعلامي في هذا الاطار .

عليكم بالعمل على هداية الناس وإنارة عقولهم :

عثرت في ما يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حديث ينبغي ان يدخل في جملة ما يذكر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك الحديث هو : «رفق في ما يأمر، ورفق في ما ينهى». فحيثما يكون الموقف موقف رفق - حيث ان أغلب المواقف هي من هذا القبيل - يجب على الانسان التعامل برفق لأنه يستطيع بأسلوب الرأفة والرفق ترسيخ تلك الحقائق في القلوب والعقول ، ومهمة التبليغ تأتي في هذا الاطار ولأجل إحياء الأحكام الالهية الاسلامية .

نحمد الله على توفر هذه الفرصة في بلدنا ، كما ان المسؤولين في الدولة يحملون همّ الدين ، على الرغم من محاولات الاعلام الاجنبي للايحاء بأن أكابر رجال الدولة أو بعضاً منهم لا يغيرون أهمية للقضايا الدينية ، ولكن الحقيقة ليست كذلك ، وتلك الأجهزة الاعلامية بعضها لا يفهم ، وبعضها الآخر قد يفهم غير انه يحاول التعمية وطمس الحقائق وتشويش الأذهان . فكبار رجال الدولة في بلدنا يحملون همّ الدين ، ويحرصون على تطبيق ما يفهمونه من الدين . وعلى الرغم من تقصير أجهزة الاعلام في هذا المجال ، إلا أنّ الأجواء مهیئة ، وعليكم باغتنام الفرصة واستغلال هذه الوسيلة الاعلامية .

من الطبيعي ان الجميع مكلفون باصلاح أنفسهم ، ولكن عليكم أن تدركوا قيمة منبر التبليغ ، وقيمة هذه المكانة العظمى للتبليغ في المساجد والحسينيات وتحت راية الامام الحسين (عليه السلام) ؛ إذ ان التبليغ يتصف بأنه نافذ ومؤثر ومبارك .

عليكم بالعمل في سبيل هداية الناس وإنارة عقولهم ، وتشجيعهم على تعلّم الدين . علّموهم الدين الصحيح النقي ، وارشدوهم إلى الفضائل

والأخلاق الإسلامية ، واغرسوا في نفوسهم الفضائل الأخلاقية باللسان وبالعَمَل ، وعظوا الناس وخوّفوهم غضب الله وعذابه ، وأنذروهم من نار جهنم ، لأن التحذير والانذار تأثيراً مهماً في نفس الإنسان ، وفي الوقت ذاته بشروا المؤمنين والصالحين برحمة الله وأملوهم بفضله . وبيتوا لهم القضايا الأساسية في البلد وفي العالم الإسلامي . وهذا هو المشعل الذي إذا أضاءه أيّ واحد منكم حيثما كان ، يؤدي إلى إنارة القلوب ونشر الوعي ، وإيجاد أسباب التحرك ، وغرس الإيمان في القلوب . وهذا هو أفضل وأنجح أسلوب للردّ على هذا الغزو الثقافي الغادر الموجّه ضدنا من قبل الأعداء ، وانني أشعر بقلق عميق إزاء هذا الأمر .

من الواضح انهم لا يريدون لعلماء الدين الشباب المؤمنين الشجعان الواعين أداء واجبهم في الوسط الجامعي وبين التجار ، وفي القرى والمدن والمصانع .. أمّا الموقف المضاد لتلك الإرادة المعادية فهو عملكم هذا وما تؤدّونه من جهاد في سبيل الله ، وهو عمل يجري بانسجام ودقّة ، والأهم من كل ذلك انه يجري باخلاص ؛ إذ انه «لم يكن منافسة في سلطان ، ولا التماس شيء من الحطام» .

أسأل الله العليّ القدير أن يشمل عملكم واخلصكم وقلوبكم النيرة بلطفه وفضله ، ويبارك للناس في ذلك ، ويكتب له أثراً خالداً في أوساط مجتمعنا .



التفكير في التصور القرآني

✽ الشيخ مرتضى المطهري

التفكير في الاسلام

من أسس التعاليم القرآنية الدعوة والتفكير والتدبر، التفكير في مخلوقات الله للتوصل لأسرار الوجود، التفكير في أحوال واعمال الانسان، نفسه، لأجل أن يمارس وظائفه بصورة أفضل، التفكير في التاريخ، والاجيال السابقة، لأجل التعرف على السنن والقوانين التي وضعها الله لحياة البشرية.

والتفكير السطحي والعشوائي عملية متيسرة لكل أحد، ولكن لا ينتج أي ثمرة، وأما التفكير الذي يعتمد على الدراسات العميقة، والتجارب، والمحاسبات الدقيقة، ولا أقل من الدراسة الدقيقة لأفكار ارباب الفكر ومنجزاتهم فهي أمر في غاية الصعوبة والتعقيد، ولكن معطياتها ثرة غزيرة، وتعتبر رصيذاً كبيراً للروح البشرية.

والاسلام قد اعتبر التوحيد ، القاعدة الرئيسية له ، والتوحيد أسمى وأعظم فكرة عرفها الذهن البشري ، وهي تعتمد على تفكير دقيق وعميق ، وقد رفض الاسلام التقليد والتبعية في اصول الدين ، وبالخصوص في أصل الأصول وهو التوحيد ، ودعا إلى التفكير والتحقيق في ذلك ، إذن فلا بد لمثل هذا الدين ، أن يوجه اهتمامه كثيراً «للتفكير والتدبر ، والتحقيق والبحث ، ويخص بهذه المسألة الكثير من الآيات الشريفة ، وبالفعل فقد التزم بذلك .

والقرآن الكريم ، لم يدع مسألة التفكير ، مبهمة ، مطلقة غائمة ، فلم يقل بصورة مجملة ، فكروا في أي موضوع شئتم ، ففي آية (١٥٩) من سورة البقرة يحدد الموضوعات التي يلزم التحقيق والبحث حولها ، ويحفز الناس إلى التفكير فيها ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ ، فكروا حول السماء والأرض ، ودوران الفلك ، ومسيرة الليل والنهار ، ابحثوا عن القوانين الحاكمة في الاجرام والكواكب ، تعرفوا على الأرض ، وطبقاتها وآثارها ، والعوامل التي تؤدي إلى تغيير وضع الأرض بالنسبة للشمس ، بصورة شاملة ، خلال (٢٤) ساعة ، حيث تكون سبباً لحدوث الليل والنهار ، ابحثوا حول هذه الحوادث بعمق ، ادرسوا علم الفلك ، والعلوم التي تبحث حول الأرض ومكوناتها ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ وهذه السفن التي تجري في البحر ، وتطوي المسافات ، وتخوض الأمواج المتلاطمة ، وتثري علم الانسان وتجاربه ، تزودوا من هذه النعم الغنية : البحر ، والسفن التي تجري فيه دون أن تغرق ، والفوائد التي يوصل إليها الانسان من خلال الابحار ، كل ذلك تم وفق محاسبات وقوانين معينة ، لا يتوصل الانسان إليها إلا من خلال التفكير والدراسة العميقة حولها .

﴿وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ المطر الذي يهطل من السماء للأرض ، ومن خلال ذلك يحيى الله الأرض الميتة ، وهناك الالوف من الأسرار والحقائق ، مخبوءة في هذه العملية ، لا يتوصل إليها إلا الانسان المفكر والباحث ، الذي يبذل أقصى جهوده الفكرية ، في هذا المجال ، ليتعرف على الأسرار والحقائق ، يتعرف على الجو وكائناته ، ويتعرف على خواص المطر والنباتات .

﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ حركة الرياح وهبوبها ، الغيوم المسخرة بين السماء والأرض في حركة دائبة ، في كل هذه آيات ودلالات على حكمة الله وجميل صنعه ، ولكن ليس لكل أحد بل لمن يفكر ويبحث في ذلك .

إذا ألف شخص تجهله ، كتاباً ، وبعد ذلك كتب إليك رسالة ، يخبرك فيها إذا اردت أن تتعرف عليّ تماماً ، عليك بقراءة الكتاب الذي ألفته ، ويؤكد على قراءة بعض الأبواب والفصول التي يحددها في رسالته فمن الواضح أنه يلزم قراءة تلك الفصول بدقة وعمق مع الرجوع لاستاذ يفسر لك ما غمض عليك ، إذا اقتضى الأمر ذلك ، أو لكتاب لغوي ، والتعرف على لغة الكتاب ، والحروف التي كتب بها ذلك الكتاب فمن خلال هذه القراءة الواعية ، سوف تتعرف على مؤلفه الذي لم تشاهده ، ومن الواضح ، انه لا يمكنك التعرف على المؤلف برؤية غلافه فحسب .

ان القراءة العابرة والسطحية ، حول عوالم الوجود ، والتي تتميز بالتحقيق ، والبحث العلمي العميق حولها ، كتلك التي يمارسها العلماء في مختلف العلوم ، علماء الهيئة والفلك ، علماء الأرض علماء الحياة ، علماء النفس ، وغيرهم ، ان هذه القراءة العابرة تشابه تماماً ، قراءة لغلاف الكتاب فحسب ، فهي لا تجدي شيئاً ، ولا يفهم الانسان منها شيئاً ، على العكس من القراءة ، والدراسة العلمية ، والبحوث العميقة ، والتفكر في

قضية ، يعني التحقيق والتفحص ، في المعلومات المتواجدة في ذهن الانسان ، والتفكير يعني حركة الفكر في المعلومات التي وجدت في الذهن سابقاً ، فالتفكير كالسباحة ، التي تتلاعب بالانسان ، هنا وهناك ، فلا بد أن تتوافر معلومات مسبقة ، ليتمكن الانسان من التفكير فيها ، ولا بد من وجود ماء ، ليتمكن الانسان من السباحة فيه .

الانسان الذي تعرف على زهرة ، بأن تعرف على جذرها ، وساقها ، وأوراقها ، وكيف تتغذى ، وتتغذى ، وتنمو ، وتتفتح ، وتثمر ، مثل هذا الانسان ، العالم بهذه الأمور ، يمكنه التفكير في هذه الزهرة ، وبالقدره والعلم والحكمة والتدبير والتقدير المحكم في تلك الزهرة ، أما ذلك الذي لا يعرف من الزهرة إلا شكلها وحجمها فحسب ، ولم يعرف الأسرار المخبوءة في أعماقها ، لا يتمكن من التفكير حولها ، ومدى علاقتها بالتقدير والتدبير الحاكم في الكون .

ان رصيد الفكر هو العلم ، ويقولون بأن الأمر بالشيء أمر بمقدمته ، وبما أنه لا يمكن التفكير بدون وجود العلم والمعلومات ، إذن فالأمر بالتفكير يعني الأمر بالرصيد الذي يسنده ، أي الأمر باكتساب المعلومات الصحيحة والمثمرة ، حول المخلوقات ، ونستهدف من ذلك كله ، القول بأن القرآن الكريم ، لم يحث الانسان على التفكير فحسب ، بل انه حدد موضوعات التفكير ، في هذه الآية الشريفة ، وغيرها من الآيات التي يحفل بها القرآن الكريم .

انحراف المسلمين عن اسلوب التفكير الاسلامي

وما يؤسف له أن حدثت بعض الأحداث ، أدت إلى انحراف المسلمين عن الاتجاه الذي رسمه القرآن الكريم ، ولكن قد وجد بعض الأفراد ، وهم أقلية ، تعرفوا على روح التعاليم القرآنية ، وتجددت لهم موضوعات

التفكير ومعالمه ، وبالفعل قد فكروا حولها ، وهؤلاء هم الذين يعدون اليوم من مفاخر المسلمين ، بل من قمم البشرية جمعاء ، ولكن الأغلبية ، قد انحرفوا عن اسلوب التفكير القرآني واندفعوا للبحث والجدل العقيم حول موضوعات ، كما لم يحث القرآن الكريم عليها ، فإنه نهى عن التفكير فيها ، وذلك لأنها لغو ، وعبث ، ولا ثمرة فيها ، والذي يؤمن بالقرآن الكريم يلزمه التجنب عن الأعمال العابثة ، غير المثمرة ، والذين هم عن اللغو معرضون ، وحتى لو تقنع اللغو بقناع البحث العلمي ، والبحث الديني .

المناقشات الكلامية

إذا ألقينا نظرة على مؤلفات المتكلمين ، والموضوعات التي دار البحث والجدل حولها ، قروناً طويلة ، حيث اشغلت الكثير من الأذهان ، واستنزفت الكثير من القوى والثروات ونتيجة ذلك ذهبت الكثير من الطاقات البشرية سدئ ، وبحثنا عن مدى علاقتنا بالموضوعات التي حث القرآن الكريم على التفكير فيها والتحقيق حولها ، لرأينا بأنه لا توجد أي قرابة وعلاقة بينهما ، فقد دار البحث والجدل سنوات طويلة ، حول هذه الموضوعات التي لا تعتمد على أساس اسلامي . وأما الموضوعات التي حث القرآن الكريم على البحث والتحقيق حولها ، فلا تزال محتفظة بحيويتها وقوتها ، وفاعليتها ، حتى جاء آخرون ، وأخذوا على عاتقهم القيام بهذه المهمة ، واندفعوا برغبة جارفة للبحث حولها ، فأصبحت لهم المكانة الرفيعة ، في الدنيا ، ومن المخجل حقاً لنا أن نكون ملزمين ، بالتعلم منهم ، لنتلقى من غيرنا دروس القرآن الكريم وتعليماته الحية .

وقد ذكرنا سابقاً ، ان الانسان كلما كان أكثر دقة وعمقاً في التفكير والبحث حول الموجودات في العالم ، سيكتشف الانسجام والترابط الموحد ، والنظام الواحد ، والتلاحم الذي يربط بين أجزاء العالم

ومكوناته ، وسيعرف ان كل موجود ، بل وكل ذرة ، وان امتلكت طاقة ، وحركة معينة ، ولكنها ليست مستقلة في مسيرتها ، بل انها مترابطة مع سائر الأجزاء ، فهناك علاقات وثيقة تشد بين الأجزاء كلها ، ولكل جزء هدف معين ، في نطاق هذه المجموعة ، ومهمة في هذا المدار ، وبهذه الرؤية الموحدة ، يكون للعالم حكم الوحدة الواحدة .

اتحاد الدليل على وجود الصانع ووحدته في القرآن الكريم

ويجدر بنا أن نشير إلى هذه الملاحظة : ان الدليل القرآني الذي يدل على وجود الله هو بنفسه الدليل على انه واحد ، والمتداول بين الفلاسفة ان يعتقدوا لكل منهما بحثاً مستقلاً ، فهناك بحث لاثبات وجود الواجب ، وبحث آخر لتوحيده ، وقد قلدهم في ذلك المتكلمون الاسلاميون .

ولكن الأمر ليس كذلك ، في القرآن الكريم ، فلم يذكر في موضع مستقل ، الدليل على وجود الخالق ، وواجب الوجود ، والذات القائمة بنفسها ، ولا تعتمد في ذاتها على غيرها ، وفي موضع آخر ، يستعرض الدليل على وحدة الخالق وواجب الوجود ، فليس الأمر كذلك ، وهذه ملاحظة لها اهميتها في القرآن الكريم ، فقد عرف المنطق القرآني ذات الله ، بصورة لا يمكن أن يفرض لها ثان ، وقد اثير لهذه الفكرة في الآيات القرآنية ، بنحو الاشارة ، ولكن الامام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة ، قد اوضح هذه الفكرة ووسعها ، وهذه الفكرة بنفسها ، من المعارف القرآنية الكبيرة ، والتي تدل بوضوح على اعجاز القرآن الكريم ، والامام عليه السلام هو الذي كشف هذا الاعجاز ، واكتشف الاعجاز بنفسه اعجاز آخر .

ففي حديث ، قد سئل أمير المؤمنين عليه السلام «هل عندكم شيء من الوحي أجاب : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبداً فهم في كتابه» يريد

الامام عليه السلام أن يقول ، بأن هذه الأفكار الكبيرة التي ينطق بها ، نابعة في واقعها من فهمه للمضامين القرآنية السامية .

وقد ذكرت ، ان النظام الحاكم في الوجود ، يدل على الانسجام والترابط بين الموجودات ، بحيث يجعل من أجزاء العالم كلاً واحداً ، ولكن يمكن أن يوجد ترابط ووحدة وانسجام بين أجزاء كل مجموعة ويمكن أن لا يتوافر ذلك ، ونوضح هذه الفكرة بالمثل التالي :

قطيع الغنم يؤلف مجموعة لا يوجد أي ترابط وانسجام بين أجزائها ، فكل واحد من الغنم يتخذ لنفسه ، طريقاً مستقلاً ، يسير فيه ، ويأكل لوحده وينام لوحده ، ويشكل لنفسه بنية معينة ، ووحدة خاصة ، ولكن الانسجام والترابط بين القطيع يمكن ملاحظته بحركته الموحدة بأمر من الراعي وتوجيهه .

وكل واحد من هذه الشيا ، يتكون بدنه من ملايين بل والوف الملايين من الخلايا الحية ، ومجموعة من هذه الخلايا تؤلف جلده ، ومجموعة أخرى تشكل بناء عضلاته ومجموعة أخرى تشكل بناء قلبه ، وأخرى لعينه ، وهكذا ، فكما ان كل مجموعة منها تمارس فعاليات ونشاطات مختلفة وعديدة ، ولكل منها في حد ذاتها مهمة خاصة ، وهدف معين وكل منها تجهل الأخرى ، فخلية الدم جاهلة بوجود خلية الاذن ، وخلية الاذن لا تعلم بوجود خلية الأعصاب ، فكل خلية لا تعلم بأنها مسخرة ومستخدمة لمجموعة موحدة ، وهي الشاة ، كما أن لذلك الكائن الحي (الشاة) في نفسه روحاً وحياة ، وهدفاً ، أشمل وأسمى ، فالهدف الذي تنتشده كل مجموعة من هذه الخلايا ، ضمنى ، ومقدمى ، ووسيلة لذلك الهدف الأشمل والأسمى للحيوان ككل .



المرجعية الدينية الصالحة

(١)

● المرجعية .. موقعها . مهماتها . إنجازاتها

✽ السيد محمد باقر المكيّم

تمهيد :

المرجعية تفرض نفسها

(المرجعية الدينية) عنوان مهم ، طرح ويطرح للبحث والتداول في ساحتنا الاسلامية .. ، بل أصبحت المرجعية الدينية - بعد انتصار الثورة الاسلامية ، ولا سيما بعد تحقق هذا الأمل الكبير باقامة الحكم الاسلامي على يد العالم الرباني المرجع العظيم آية الله العظمى الامام الخميني (رحمه الله) - أصبحت من القضايا العالمية التي توجهت لها أنظار جميع الأوساط الثقافية والسياسية باعتبار أن تفجير الثورة الاسلامية في ايران ووجود الصحوة الاسلامية العامة في العالم الاسلامي كان على يد هذه المرجعية الدينية الاسلامية .

وازدادت أهمية هذا الموضوع بارتباطه بموضوع آخر مهم وهو

موضوع (ولاية الفقيه) التي اعتبرت الأساس والقاعدة للحكم الاسلامي المعاصر ، وأصبح البحث حول تعددها أو وحدتها واتحادها مع الولاية من جهة والعلاقة النظرية بينهما في حالة التعدد من جهة أخرى ، مضافاً إلى البحث عن معالجة العلاقة بينهما واقعياً وخارجياً .

وفي الوقت نفسه نجد أن الأعداء يخططون لأجل ضرب هذه المرجعية ومحاصرتها واضعافها أو السيطرة عليها ، وتشويه سمعتها والذيل منها ، بل تصنيفاتها تصفية جسدية ومعنوية .. ، وهناك مخطط رهيب رسمه الأعداء في هذا السبيل ، لقد وجدنا في بداية انتصار الثورة الاسلامية في ايران كيف صفت مرجعية الشهيد الصدر عليه السلام في العراق بقتله .. ثم الوسائل الكثيرة التي استخدمها الاستكبار العالمي والقوى المضادة الحاكمة لتشويه صورة الامام الخميني عليه السلام ومرجعيته وما صدر من كتب كثيرة ضد الثورة الاسلامية وقائدها الامام الراحل عليه السلام ، ومنها الكتاب الحاقد «وجاء دور المجوس» ، الذي يتحدث بهذا الأسلوب عن عودة الاسلام في ايران على يد الشعب الايراني والهدف منه واضح من خلال اسمه وكأن القضية ذات بُعد يرتبط بسيطرة الكفار على المسلمين ، واتهام الثورة وقادتها بالمجوسية .

ونجد بعد ذلك الحرب العدوانية التي شنها نظام الطاغية صدام على الجمهورية الاسلامية الفتية تحت عنوان (الدفاع عن البوابة الشرقية للعالم العربي) لتصب في الاتجاه نفسه ، حيث جاءت لترفع شعار القادسية ، وكأن هذه الحرب العدوانية ضد الاسلام والثورة الاسلامية هي حرب بين الاسلام الذي يمثله صدام والمجوس التي تمثله ايران !! ليجعلها حرباً بين الفرس والعرب ، إلى غير ذلك من الشعارات والعناوين التي طرحت لمواجهة هذه الحركة وهذه الصحوّة التي كانت ولا زالت

تقودها المرجعية الدينية .

ثم بعد وفاة الطبقة الاولى من المراجع في عصر الثورة ، أمثال الامام الخميني وآية العظمى السيد الخوئي وآية الله العظمى السيد الكلبايكاني ، أصبحت هذه القضية - مرة أخرى - من القضايا المطروحة في الأبحاث ، وفي وسائل الاعلام ، وفي المخططات الدولية والاقليمية والمحلية .

ووجدنا في الأيام القريبة الماضية - أيضاً - كيف اقدم النظام الحاقدي الحاكم في بغداد على الأعمال الوحشية في تصفية مراجع الاسلام في النجف الأشرف ومحاصرة المراجع الآخرين من خلال جريمة قتل آية الله الشيخ مرتضى البروجردي وآية الله العظمى الميرزا علي الغروي ، والعدوان على آية الله العظمى السيد السيستاني ثم محاصرته لبقية العلماء الذين لا زالوا يعيشون حالة الحصار في النجف الأشرف .

إلى جانب ذلك كله نجد في وسائل الاعلام العالمي بين الحين والآخر حديثاً عن المرجعية الدينية ودورها وكذلك شيوع أحاديث - مظلة ومغرضة - عن الصراع داخل هذه المرجعية بين النجف وقم ، وأحياناً بين هذا المرجع وذاك ، ثم أحاديث أخرى تجري في بعض الأوساط حول بعض مدعي المرجعية .. فهنا تدعى مرجعية وهناك تدعى مرجعية أخرى وهكذا .

ردم الفراغ الثقافي

ثم إذا أخذنا بنظر الاعتبار في هذا الحديث التحولات والتطورات الكبيرة التي حصلت في عالمنا اليوم وفي أوضاع جماعة أهل البيت (عليه السلام) ، نلاحظ التقارب القائم بين أطراف هذا العالم ، بسبب ثورة الاتصالات من ناحية ، والانتشار الواسع لأتباع أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء كثيرة من

الأرض من ناحية أخرى ، ففي السابق كانت (الجماعة الصالحة) تتمركز في مناطق معينة تضم الكثير من العلماء والمتقنين والمتفقهين الذين يمكنهم أن يوضحوا للناس معالم وأبعاد المرجعية الدينية وشروطها ومواصفاتها وكل ما يتعلق بها ...، وأما في مثل هذه الحالة من الانتشار الواسع لأتباع أهل البيت عليه السلام في العالم ، شرقه وغربه ووجود وسائل الاعلام المضللة والمصالح الدولية والأغراض الفاسدة ، فنحتاج إلى أن يكون هناك وضوح عام يتسم بالدقة تجاه موضوع المرجعية وثقافة عامة في هذه الأوساط الكبيرة المنتشرة في ما يتعلق بموضوع المرجعية .

كما نلاحظ - أيضاً - وجود عمليات قمع واسعة جرت لأتباع أهل البيت عليه السلام في بعض المناطق المهمة التي يقطنها أتباع أهل البيت عليه السلام ، بحيث أوجدت فراغاً في هذه المناطق ، بما يتعلق بجانب الوعي والثقافة الخاصين بمعرفة المرجعية الدينية ، وشروطها ودورها ومسؤولياتها وواجباتها ، ويتمثل ذلك جلياً في العراق الجريح بعد أن قام النظام المجرم الحاكم طيلة المدة السابقة بعمليات مطاردة وقمع واسعة لرموز الحركة الاسلامية بصورة عامة ولمؤسسات ومواقع المرجعية بصورة خاصة مما أوجد فراغاً ثقافياً كبيراً في العراق في تفاصيل هذا الموضوع. وإلى جانب هذا الفراغ الثقافي توجد الصحوة الاسلامية الواسعة التي يشهدها العراق والمشاعر الفياضة والاندفاع والشوق الشديد لدى شبابنا في العراق لمعرفة الاسلام رغم وجود الفراغ الثقافي الهائل ولذلك نحتاج إلى عمل وجهد كبير للتثقيف على هذا الموضوع الهام .

ونحاول في هذا البحث العام أن نلقي الضوء على مجموعة من الأبعاد والمعالم ذات العلاقة بهذا الموضوع الهام ، لرسم التصور النظري العام

والمسار العلمي له ، دون الدخول في البحث الاستدلالي الفقهي الذي يحتاج إلى متابعة شخصية خاصة به وفرصة أخرى أوسع ، وسوف أشير إلى بعض المصادر المختصة بهذا البحث كلما دعيتني الحاجة لاكمال هذه الصورة .

المرجعية موقعها مهماتها انجازاتها

موقع المرجعية

إن المرجعية - وفي أحد أبعادها - تعتبر من حيث الموقع والأهمية المؤسسة الثانية في تسلسل النظرية الإسلامية في تنظيم الجماعة والمجتمع الصالح ، أي تأتي بعد مؤسسة الدولة والكيان السياسي الإسلامي والولاية بمعنى الحكومة الإسلامية ، فالدولة تعتبر المؤسسة الأولى في النظرية الإسلامية تنظيماً من حيث الأهمية ، وعلى أساس هذا الفهم نجد - في تراثنا الإسلامي الذي ورثناه عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام وعن علمائنا الأبرار - هذه القداسة لهذا الموقع الإسلامي ، فهي تتولى بصورة إجمالية موقع الدولة ومهماتها في حال غياب الدولة الإسلامية ، أو الولاية ، أو في حالة عدم الاعتراف بالدولة في بعض المجالات ، أو في ظلها ، ولكن لملء الفراغات الخاصة بالجماعة .

ويمكن أن نتعرف على هذا الموقع التنظيمي الخاص من خلال ما يشير إليه الحديث الشريف المعروف (بالتوقيع) الذي ورد عن الامام الحجة في جواب السؤال عن الموقف في صورة غياب الولاية حيث ورد : «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله على الناس»^(١) . ويتضح ذلك بصورة خاصة في البحث الفقهي المعروف

ببحث ولاية الفقيه ، حيث يجمع علماء الامامية ويوافقهم على ذلك الكثير من غيرهم على أن (الفقيه) يتبوأ الموقع الأول في الهيكل العام لنظام الجماعة عند غياب الامام المعصوم .

ولعل انتزاع عنوان (المرجعية) لهذا الموقع استفيد من هذا الحديث الشريف الذي استخدم مادة (ارجعوا) ثم إن المرجعية وإن كان لها هذا الموقع التنظيمي ، ولكنها من ناحية أخرى لها بعد عقائدي وهو أن المرجعية تمثل نيابةً وامتداداً للامامة التي هي امتداد للنبوة ، وتعبير عن مسؤوليتها فيها ، ولذا جاءت هذه المقولة المعروفة وهي أن (ولاية الفقيه امتداد لحركة الأنبياء)^(١) .

مهام المرجعية

ومن الممكن تلخيص مهام المرجعية الدينية الصالحة بالمهام الرسالية التي يتحملها الأنبياء والرسل والتي أشار إليها القرآن الكريم وهي بصورة اجمالية ثلاث :

الأولى : استيعاب وإبلاغ الرسالات الالهية وتلاوة آيات الله والمحافظة عليها وهداية الناس إلى الحق والهدى والصالح والعقيدة السليمة وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

الثانية : التزكية والتطهير والتربية لهؤلاء الناس - أفراداً وجماعات . في نفوسهم وسلوكهم وحياتهم الاجتماعية من خلال الأشراف والرقابة والشهادة على ممارسة الانسان لدوره في الخلافة ومواكبة مسيرته باعطائه التوجيه بالنشر والانذار ووعظ الناس في سلوكهم وعملهم

(١) يمكن لتوضيح هذا البعد مراجعة البحث الذي كتبه الشهيد الصدر في كراس خلافة الانسان وشهادة الأنبياء : الاسلام يقود الحياة ١٤٤ - ١٤٦ .

وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحكم بين الناس بالقسط والعدل ، وتحقيق العزة والكرامة لهم ، وكذلك التدخل لمقاومة الانحراف ، واتخاذ كل التدابير الممكنة من أجل ذلك .
الثالثة : تعليم الناس الكتاب والحكمة وشرائع الاسلام وأحكامه والأخلاق الفاضلة ، والصفات الحميدة ، والسنن الالهية التي تحكم حركة المجتمع الانساني .

ويمكن فهم هذه المهمات من قوله تعالى : ﴿ يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ (١) . ومن قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ (٢) .

وهذه المهمات الأساسية وإن كانت قد تتغير بعض مصاديقها وصورها من زمان ومكان إلى زمان ومكان آخر ولكنها مهمات ثابتة . وعلى مستوى المصاديق والمفردات في هذا العصر قد نجد أمامنا مجموعة من المصاديق والمهمات سوف نشير إلى أهمها في استعراض قضايا الأمة ومصالحتها في هذا العصر في فصل : (شروط المرجعية) كما سوف نشير - إن شاء الله - في نهاية هذا البحث عند الحديث عن واجبات المرجعية إلى مجموعة أخرى من المصاديق والمفردات (٣) .

إنجازات المرجعية

وفي بُعد آخر نجد المرجعية الدينية من الناحية الواقعية العملية أفضل مؤسسة تمكنت أن تقدم خدمات كبرى إلى الاسلام والمسلمين

(١) الجمعة : ٢ .

(٢) المائدة : ٤٤ .

(٣) لقد استعرضنا بعض القضايا والمفردات والخطوط المهمة في كتابنا (الامام الحكيم) الفصل الرابع الحوزة العلمية وحركة الاصلاح، فليراجع .

بصورة عامة وإلى جماعة أهل البيت عليه السلام بصورة خاصة ، فلقد تمكنت المرجعية على مر الدهور :

١- أن تحافظ على الاسلام الأصيل النقي ومنابعه الأصيلة والشرعية الاسلامية .

٢- وفي الوقت نفسه استمرت في إبقائها باب الاجتهاد مفتوحاً لتواصل هذه الحركة العظيمة مسيرتها وتحقق هذا الانجاز الكبير من خلال قدرتها على معالجة المستجدات في الحياة الانسانية في ضوء الحكم الشرعي .

٣- وكذلك تمكنت أن تحافظ هذه المرجعية على هذه الجماعة الصالحة التي كانت ولا زالت تتحمل المسؤوليات العظمى في التاريخ الاسلامي .

بل قامت المرجعية الدينية بتنمية وتطوير هذه الجماعة والوصول بها إلى هذا المستوى الراقى في الكم والكيف حتى أصبحت الجماعة الأولى في العالم الاسلامي والمتميزة بين الجماعات التي تتحمل المسؤوليات العظام في هذا العصر .

٤- وإلى جانب ذلك كله تمكنت هذه المرجعية ومؤسساتها من المحافظة على معالم الثقافة الاسلامية الأصيلة ، ليس على المستوى وفهم هذه الثقافة فحسب ، بل على المستوى التطبيقي والعملي ، وبقاء هذه الثقافة حية وفاعلة في أوساط الأمة ، ولا سيما أتباع أهل البيت عليه السلام ، هذه الثقافة المعروفة بثقافة أهل البيت أو (الثقافة الاسلامية الشيعية) ، وكانت المحافظة على هذه الثقافة من أهم الانجازات العظيمة للمرجعية ، حيث يتبين ذلك من ملاحظتنا لمعالم هذه الثقافة :

الثقافة الإسلامية الشيعية

وهنا يطرح هذا السؤال وهو ماهي معالم الثقافة الإسلامية الشيعية؟ منذ البداية وفي مقام الجواب عن هذا السؤال يحسن بنا أن نؤكد : أولاً: أن هذه الثقافة وإن كانت ثقافة أهل البيت عليه السلام التي قدموها للمسلمين بصورة عامة ولشيعتهم بصورة خاصة إلا أنها ليست ثقافة (طائفية) تتعصب لجماعة من الناس دون أخرى ، وإنما هي ثقافة إسلامية عامة كما أرادها أهل البيت عليه السلام وهي مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وثانياً: أن الهدف العام لهذه الثقافة هو ارساء بناء المجتمع الإسلامي على قواعد قوية محكمة من الأسس الروحية والمعنوية التي تحافظ على قوة المجتمع وحيويته والعناصر الداخلية المحركة له ومن ذلك وحدة صفوف المسلمين وكلمتهم ومواقفهم تجاه أعدائهم وقضاياهم المصيرية على أساس التعايش والتعاون على البر والتقوى بينهم . أما المعالم العامة لهذه الثقافة هي :

١ - حب أهل البيت عليه السلام : فهو الإطار العام الذي يجمع المسلمين على الولاء لله والرسالة والنبى عليه السلام من خلال هذا الحب ، فلم يطرح أهل البيت عليه السلام لجمع كلمة الناس والالتزام بفقههم - بالرغم من أنه يمثل المعرفة الإسلامية الأصيلة ، وقد ارشد إليهم النبى عليه السلام بذلك في نصوص عديدة ، منها حديث الثقلين المتواتر^(١) - وإنما طرح موضوع حبهم

(١) روي عن رسول الله (ص) انه قال : (إني تارك أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وأهل بيتي عترتي أيها الناس اسمعوا وقد بلغت، إنكم ستردون علي الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين والثقلان : كتاب الله عزوجل ذكره وأهل بيتي فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم)، الكافي ٢ : ٢٩٣ - ٢٩٤ ، حديث ٢، البحار ٢٢ : ٤٦٥ ، حديث ١٩ ، وقد تواترت الأخبار في هذا المعنى، صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ - ١٨٧٤ حديث ٣٦ و٣٧ ، صحيح الترمذي ٥ : ٦٦٢ حديث ٣٧٨٦ ، مستدرک الصحيحين ٣ : ١٤٨ ، وغيرها من كتب علماء الفريقين.

ولأنهم كإطار يجمع المسلمين عموماً وشيعتهم بصورة خاصة ، وذلك انطلاقاً من القرآن الكريم الذي أكد هذا الإطار بقوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ (١) .

كما وردت نصوص وأحاديث كثيرة صحيحة ومتواترة رواها علماء المسلمين في مختلف الأدوار تؤكد هذا الإطار .

ولذلك نلاحظ أن هذا الإطار مما يشترك فيه جميع المسلمين فعلاً وواقعاً وليس مجرد إطار نظري مشترك للمسلمين ، بل هو واقع روحي والتزام عملي يشترك فيه المسلمون جميعاً على اختلاف مذاهبهم وفرقهم بصورة عامة .

وهذا الحب ليس مجرد عاطفة انسانية وشعورية ، بل الاعتقاد بالموقع الخاص لهم في الرسالة الاسلامية المحفوف بالود والولاء والاحترام والتقديس والاتباع لهم في السلوك العام والرجوع إليهم في معرفة معالم الدين والشرعية .

وأهل البيت هم النبي محمد ﷺ والزهاء البتول وعلي ﷺ والسبطان المنتجبان الحسن والحسين ﷺ والائمة التسعة المعصومون من ولد الامام الحسين ﷺ .

٢- الايمان بالحرية الفكرية والبحث العلمي وفتح باب الاجتهاد بالنظر في النصوص الدينية واستنباط الحكم الشرعي للحوادث المستجدة وتجديد النظر في القضايا السابقة ، وذلك طبقاً للضوابط والأصول العامة الشرعية التي حددها الشارع للوصول إلى الحقيقة أو التجارب الانسانية في الوصول إليها .

وكذلك الايمان بالحرية السياسية في اتخاذ المواقف تجاه الأحداث

ضمن المصالح العليا للإسلام والمحافظة على أمن النظام^(١).
 وحق الأمة في انتخاب وتشخيص الحاكم الشرعي الذي لا بد أن يكون
 متصفاً بمواصفات خاصة ، حيث تتحمل الأمة تشخيصه وتعيينه .
 وكذلك حق الأمة في اختيار النهج الصالح لإدارة الحكم ومعالجة
 القضايا الاجتماعية والتعبير عن الرأي والمواقف .
 وحق الأمة في الوعي السياسي ومعرفة الأحداث ومتابعتها
 والمشاركة فيها والرقابة عليها وعلى إدارة الحكم .
 وهذا الخط الثقافي يلتزم به أتباع أهل البيت عليهم السلام في مختلف أدوار
 تاريخهم وشؤون حياتهم .

٣- الإيمان بالعزة والكرامة الانسانية والحرية الشخصية في إطار
 الحكم الشرعي ، وتعتبر الكرامة الانسانية من المحاور الرئيسية في
 ثقافة أهل البيت عليهم السلام ، وهي مضمون اسلامي مأخوذ من القرآن الكريم
 والرسالة الاسلامية ، فقد قال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر
 والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾^(٢) ، وهي
 صفة انسانية لا يمكن أن تسليخ من الانسان .

ولذا كان أحد وجوه الاهتمام البالغ بقضية الامام الحسين عليه السلام هو
 وجود هذا المدلول الأخلاقي الخاص فيها ، مدلول العزة والكرامة والاباء
 الذي تحدث عنه الامام الحسين وأطلق فيه الشعار المعروف (هيهات منا
 الذلة) .

وهذا المدلول الاخلاقي نراه يتحرك فعلياً وواقعياً في مختلف
 الفعاليات الثقافية لجماعة أهل البيت عليهم السلام في الزيارة والخطابة والشعر

(١) أشرنا إلى هذا الموضوع في كتابنا الوحدة الاسلامية من منظور الثقلين : ١٧٧ - ١٩٠ .

(٢) الاسراء : ٧٠ .

والمجالس ومواكب العزاء والمواقف السياسية والمشاعر والعواطف الانسانية .

٤ - الايمان والشعور بالمسؤولية تجاه قضايا المجتمع الانساني من اقامة الحق والعدل بين الناس ومقاومة الظلم والطغيان والجور والاستبداد وتحمل الآلام والمحن والمصائب في سبيل ذلك وتقديم التضحيات الكبيرة لتحقيق هذا الهدف .

وقد أصبحت قضية الامام الحسين عليه السلام الرمز الكبير والواضح لهذه الثقافة الاجتماعية في هذا المجال وكانت ولا زالت تمتد جمهور أتباع أهل البيت والمسلمين عموماً بهذا الزخم الروحي والمعنوي .

٥ - الايمان بواجب الدفاع عن المظلومين والمستضعفين ونصرتهم ورفع الظلم عنهم انطلاقاً من القرآن الكريم الذي يدعو المسلمين إلى ذلك ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ (١) .

وقد مارس أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم هذا الدور والتزموا بهذه الثقافة في مختلف الأزمنة ، وكشاهد على هذه الحقيقة الموقف الرائد المعروف للمرجعية الدينية في النجف الأشرف تجاه الشعب الكردي في العراق عندما تعرض - عقد الثمانينات الهجرية - للاضطهاد والظلم، حيث وقفت المرجعية الدينية أيام الامام الحكيم عليه السلام تدافع عنهم وتحرم سفك دمائهم وتطالب بمنحهم حقوقهم المشروعة في وقت وقف فيه النظام وعلماء السلطة إلى جانب الظلم والعدوان .

كما أن الروح العامة التي طبعت المواقف السياسية للجمهورية

الاسلامية في قضايا الشعب الفلسطيني والبوسنة والهرسك والعراق وكشمير وغيرها تنطلق من هذه الرؤية الثقافية .

٦- الرفض لجميع ألوان الهيمنة الأجنبية والتسلط الخارجي أو العنصري أو التعصب الطائفي أو الغزو الثقافي والاقتصادي والتبعية السياسية ، والحرص على استقلال ارادة القرار ومقاومة الاستعمار بكل ألوانه .

وقد ظهر ذلك واضحاً في السلوك العام لاتباع أهل البيت عليه السلام ، ولا سيما الحوزات العلمية في استقلالها واعتمادها على الله تعالى والذات، وامكانات المؤمنين ، وفي المحافظة على أصالتها الفكرية والثقافية وعدم السماح بأي لون من ألوان الاندساس والتغلغل الثقافي الأجنبي، والالتزام بالمناهج العلمية الأصيلة والمضمون الثقافي النقي ، مما جعلها تمتاز - بصورة واضحة - عن جميع المؤسسات المماثلة الأخرى .

وكذلك في تصديها لعمليات الغزو الأجنبي لبلاد المسلمين ، والتصدي لحركات التحرر والاستقلال حتى أصبح شعار لا شرقية ولا غربية خطأ ثقافياً سياسياً يتحكم في المسار الثقافي السياسي لهم .

٧- الايمان بالمساواة بين الأقوام والشعوب والطبقات الاجتماعية في القيمة الانسانية وفي الحقوق العامة وفي الانفتاح العلمي والثقافي عليها وتكافؤ الفرص الممنوحة ، ولا سيما الأقليات الدينية والعرقية غير العربية .

ولعل من أفضل الشواهد على هذه الحقيقة ، الأثر الذي تركته هذه الثقافة في أوساط هذه الشعوب من علاقتهم الخاصة بأهل البيت عليه السلام وارتباطهم بمذهبهم والشعور بعدم وجود هذه الامتيازات الخاصة للعرب من الناحية العرقية والقومية وعمق الشعور بفكرة الاستبدال لهم

عند التخلف عن القيام بأداء الرسالة ، وضعف التعصب القومي لدى
أوساط أتباع أهل البيت عليه السلام .

كما أن من الشواهد على ذلك طبيعة تركيبة الحوزات العلمية المتعددة
الجنسيات وطبيعة العلاقات التي تربط بين أبناء الجماعة في قضايا
التقليد والدرس وغيرها ، حيث لا توجد مشاعر التعصب والتمييز ، فهم
يقلدون (المراجع) مهما اختلفت انتماءاتهم الجغرافية على أساس
الموازين العلمية والروحية ، كما يحضرون دروس العلماء والفقهاء
بدون تمييز ويستفيدون من كتبهم وعلومهم ويرتبطون اجتماعياً
بالزواج وغيره كذلك .

٨ - الاهتمام العالي بالعلم وتدوينه وتطويره وتقديسه وإيجاد
المؤسسات العلمية كالمدارس والمكتبات العامة والخاصة ، والمحافظة
على التراث وتنوع الثقافات والانفتاح على الحضارات والحوار
الحضاري والتأليف في مختلف العلوم والنشر والبحث العلمي .

فقد كان التدوين للسنة الشريفة والتأليف في العلوم الإسلامية
وإيجاد الحوزات والمدارس العلمية مما سبق إليه أتباع أهل البيت عليه السلام ،
وكان لهم دور التأسيس فيه .

ثم نجد أن الكتابة والتأليف في العلوم المتنوعة والانفتاح فيها على
الآخرين من داخل الإطار الإسلامي أو خارجه مما أمتاز به أتباع أهل
البيت عليه السلام ، ولذلك لا تكاد تجد مكتبة خاصة أو عامة لديهم لا تضم
مختلف الكتب ذات الانتماءات المتعددة مذهبياً وثقافياً ، كما لا تكاد تجد
متقفاً واحداً منهم لا يملك مكتبة خاصة بل نجد بعض هذه المكتبات
الخاصة تفوق في حجمها وتنوعها وأهميتها الكثير من المكتبات العامة .
كما أن نسبة التأليف في العلوم الإسلامية - بالرغم من قلة العدد

وظروف المحنة والمحاصرة التي مرت بها جماعة أهل البيت عليهم السلام وقلة
الامكانات نسبة عالية تقارب الربع أو الخمس من مجموع المؤلفات
الاسلامية العامة .

٩ - تقديم المصلحة الاسلامية العليا للاسلام والأمة الاسلامية
وجماعة المسلمين عموماً على المصالح الطائفية الخاصة وجماعتهم
المخصوصة .

وهناك شواهد كثيرة في هذا المجال عامة وخاصة ، منها الموقف
الاسلامي في الدفاع عن الخلافة الاسلامية والدولة الاسلامية العثمانية
في النصف الأول من القرن الماضي الهجري - بالرغم من أن هذه الدولة
كانت حنفية المذهب وكانت تضطهد أتباع أهل البيت عليهم السلام ، بصورة عامة
وفي صراع مع الدولة الشيعية في ايران - حيث أفتى جميع علماء
المسلمين الشيعة في النجف الأشرف بوجوب الجهاد دفاعاً عن هذه
الدولة في مقابل الغزو الانجليزي وشاركوا مع اتباعهم فعلياً في القتال .
ومنها موقفهم تجاه فلسطين ، وبذل التضحيات الغالية واتخاذ
المواقف الصلبة والقوية في الدفاع عنها ، وما جرى ويجري في لبنان الآن
أفضل شاهد على ذلك .

ومنها الموقف العظيم للإمام الحكيم عليه السلام في الدفاع عن الاسلام
وجماعة المؤمنين عندما تعرض العراق إلى خطر التيار الماركسي
وتعرض العلماء وأكثرهم من أهل السنة إلى الاضطهاد على يد هذا التيار
وكان موقف الامام الحكيم بتفواه (الانتماء إلى الحزب الشيعوي كفر
والحاد أو ترويج للكفر والاحاد) أعظم الأثر في درء هذا الخطر الماحق .
وكل هذه المواقف وغيرها تستلهم هذه الثقافة من موقف الامام
علي عليه السلام في صدر الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يعبر فيه عن هذا
المبدأ السياسي الثقافي ، حيث كان يؤمن أن الخلافة هي حقه الطبيعي

والشرعي ، ولكن عندما وجد أن المطالبة بها والصراع من أجلها يؤدي إلى تعرض الاسلام والأمة الاسلامية إلى خطر الضعف أو الانهيار ، سلم الأمر لغيره ، دون مقاومة ، واكتفى بتسجيل موقفه برفض البيعة في البداية ، حرصاً على تثبيت الحق ، وهو يعبر عن ذلك بقوله : «... فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ ، فخشيت إن لم انصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ظمأ أو هدماً...» (١) .

١٠ - الوحدة من خلال التعايش والتقارب بين المسلمين في العلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وحتى في الشعائر الدينية، والاتحاد مع جماعتهم في المواقف السياسية العامة تجاه أعدائهم وفي التعاون على البر والتقوى وبناء المجتمع الاسلامي الصالح ، وفي تسديد الحكام والسلاطين بالرأي والنصيحة والمشورة (٢) .

إن هذه الخطوط الثقافية العامة كانت توجه وتشخص حركة المرجعية الصالحة في مختلف الأدوار من ناحية ، كما كان للمرجعية الصالحة الدور الأساس في تثبيتها وترسيخها في أوساط أتباع أهل البيت ﷺ وغيرهم من ناحية أخرى بحيث كانت تمثل أحد الانجازات الكبرى لهذه المرجعية .

مضافاً إلى ذلك كله الانجاز الذي قامت به المرجعية الدينية الصالحة في المحافظة على مجموع ثقافة أهل البيت ﷺ بتفاصيلها العقائدية والأخلاقية والشرعية والتاريخية والتي تمثل انجازاً عظيماً آخر يمكن أن نضيفه إلى الانجازات الكبرى للمرجعية (٣) .

(١) نهج البلاغة : من كتاب له (ع) : ٦٢ .

(٢) الشواهد العلمية على هذه الحقيقة كثيرة لا يسعها هذا المقال، وقد تناولناها بالبحث في كتابنا الخاص بموضوع الوحدة الاسلامية من منظور الثقليين .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا (دور أهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة) حيث استعرضنا فيه الكثير من معالم هذه الثقافة، حيث حفظت لنا المرجعية الدينية الصالحة هذا التراث .

خديجة الكبرى مثل أعلى للمرأة المسلمة (١)

✽ عز الدين سليم (المراق)

مدخل للدراسة :

كانت جزيرة العرب وماحولها ظمأى ترهقها الجاهلية بعذاباتها
وسياط طيشها ، حين تفجر ينبوع الاسلام الهادي كنبع من
الماء الصافي الرقاق في تلك الصحارى المجربة من كل خير من أجل أن
يروّي عطش الدنيا إلى الحق والهدى والسلام .



لقد جاء الاسلام الحنيف بدعوته إلى الخير والمعروف والعدل
والصلاح بلسماً لجراح المعذبين والمظلومين في الأرض ، وكانت المرأة
أكثر عباد الله نصيباً من هذا الخير المنقذ ..

فالمرأة قبل الاسلام كانت نهبا للظلم أكثر من سواها . فقد كانت بعض
الحضارات تنظر إلى المرأة كشيطان متلبس في جسم بشر ، كما كانت
بعض المجتمعات تنظر إليها كمخلوق نجس لا يستحق الرحمة ، وترى

فيها بعض الأمم حيواناً في جسم انسان ، أو هي شيء حقير يملكه الرجال من أجل أن يحققوا لذاتهم الجنسية ، كما هي مصنع لانتاج ذرية الرجل ..

وقد زادت الحضارة الاوربية الحديثة الطين بلة حين حولت المرأة إلى أداة للجنس والمتعة والكسب المادي ، حيث شاعت بناء على ذلك الفوضى الجنسية ، وضاعت الأنساب في اوربا ومن سار على نهجها من الأمم ، وصارت المرأة سلعة يتناولها الرجال متى شأؤوا باسم حرية المرأة وحقوقها ، على أن المرأة لم تحظ في تاريخ حياتها برعاية مناسبة لطبيعتها المادية والروحية ، كما حظيت به في رحاب الرسالة الالهية الخاتمة حيث حفظ لها الاسلام حقوقها وكرامتها ومكانتها في جو من العفة والطهر والعزة ، وفي اطار من الموازنة العادلة بين حقوقها وواجباتها في ضوء القدرات التكوينية التي حباها الله لها ، وفي ضوء المهمة العظمى التي انيطت بها كشريكة للرجل في اثاره الحياة ، وفي صناعة المجد وبناء الحضارة الانسانية الصالحة ..

ولقد أرسى الاسلام الحنيف قواعد تلك الحقوق الفريدة التي خص بها المرأة من خلال نصوصه الأصيلة :

١ - فالاسلام يؤكد ، ان المرأة والرجل صنوان يجمعهما أصل واحد وجوهر واحد وكلاهما ينتسبان لآدم ، وآدم من تراب :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ... ﴾ (١).

﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ (٢) ،

(١) النساء : ١ .

(٢) النحل : ٧٢ .

﴿وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾^(١).

٢- ومع تقنين الاسلام ودعوته الصريحة المحددة لمكانة المرأة في الحياة والواقع الانساني الذي يبينه تحت رعايته يشن الاسلام حملته على المظالم والممارسات والأوضاع التي عانت منها المرأة عبر التاريخ ، ليدفع عنها الأذى ، ويعيد حقوقها المسلوبة ، فيهاجم عادة وأد النساء عند بعض قبائل العرب ، ويلغي تكرارها قانونياً وأخلاقياً :

﴿وإذا المؤودة سئلت * بأي ذنب قتلت﴾^(٢).

﴿ولا تقتلوا أولادكم من املق نحن نرزقكم واياهم ..﴾^(٣).

ويلغي الاسلام الحنيف عمليات الامتهان والأذى في عشرة النساء ، ويقتن معاملتهن بالمعروف والحسنى :

﴿وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾^(٤).

٣- والاسلام لا يعتبر الرجولة والذكورة أساساً للتكريم والمواقع في الحضارة التي يبينها ، ولا في الواقع التي يحققها البشر في الآخرة ، أو ينالها في الحساب الالهي ، وإنما المقياس في رسالة الله الخاتمة انما هو الايمان والعمل الصالح ﴿... إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٥).

فمن عمل وفق أوامر الله ونواهيه ، حقق نتائج عمله ، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة في هذه القضية المصيرية : ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين

(١) الاعراف : ١٨٩ .

(٢) التكوين : ٤ - ٥ .

(٣) الأنعام : ١٥١ .

(٤) النساء : ١٩ .

(٥) الحجرات : ١٣ .

والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا^(١).

٤ - ويقنن الاسلام الحنيف مضمون العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة في اطار من المودة والرحمة : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾^(٢) ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة..﴾^(٣).

وبناء على هذه المفاهيم الاسلامية الأصيلة ، شهدت الحياة التي لونها الاسلام بلونه المميز مكانة خاصة للمرأة واحتلت موقعاً إلى جانب الرجل لم تجد له البشرية مثيلاً من قبل ، سواء في اطار الاسرة والمجتمع ، أو في اطار الدعوة والدولة ..

ومن أجل ذلك ، شهد تاريخ الرسالة الاسلامية نساءً مؤمنات وقفن إلى جانب الدعوة الالهية في بداياتها يبذلن الغالي والرخيص من أجل كلمة الله عزوجل في الأرض ، حتى ارتفعت بعضهن إلى مواقع لم ينلها ملايين الرجال من أمثال : خديجة بنت خويلد ، وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام ، وأم سلمة ، وزينب بنت علي ، وغيرهن من بنات الرسالة ..

وفي هذا البحث المتواضع نقدم للقاريء الكريم دراسة لحياة السيدة الخالدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين الاولى عليها السلام ، لتكون نموذجاً يحتذى من قبل المسلمات في كل عصر وجيل ، وقدوة للمؤمنات الحاملات للحق ، الباذلات للمعروف والحافظات لحدود الله ..

(١) الاحزاب : ٣٥ .

(٢) البقرة : ١٨٧ .

(٣) الروم : ٢١ .

الهوية الشخصية

من هي السيدة خديجة أم المؤمنين؟

احتلت خديجة زوج النبي ﷺ الذروة من قریش في نسبها وشرفها ، فهي من القوادم في كيان قریش لا من أذنانها .

وكانت من عقائل قریش وسيدة نساء مكة ، وهي تلتقي برسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من جهة أبيها بالجد الأعلى الشريف «قصي» ومن جهة أمها بلوي بن غالب ، فهي قرشية أباً وأماً ، ومن الشجرة الطيبة في قریش .

فمن جهة أبيها هي : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن مهر بن مالم بن النضر بن كنانة .

وأما : فاطمة بنت زائدة بنت الأصم (واسمه جندب) بن رواحة الهرم ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر^(١) .
ويحفظ التاريخ من مفاخر أبيها «خويلد بن أسد» أنه تصدى لتبع ملك اليمن وحال بينه وبين السطو على الحجر الأسود وحمله إلى مملكته في اليمن .

ومنذ مطلع حياة السيدة خديجة كانت قریش تتوسم فيها النبل والطهر وسمو الأخلاق حتى لقبت بالطاهرة^(٢) ، كما لقبت بسيدة قریش بالنظر لعلو شأنها ، وشرف منبتها وكرم أصلها ، وحميد أفعالها .
الأمر الذي يفسر السر المكنون بامتناع خديجة من الاقتران بأي أحد

(١) يراجع ابن المغازلي الشافعي أبا الحسن بن علي بن محمد بن محمد بن محمد الواسطي الجلاي ت ٤٨٣ في مناقب علي بن أبي طالب (ع) ط ٢ عام ١٤٠٢ هـ طهران ص ٣٢٩ - ٣٣٠ . كما يراجع نسبها في سيرة ابن هشام : ١٨٧ - ١٨٩ والسير والمغازي لابن اسحاق : ٨٢ وغيرها .
(٢) ترجمة خديجة في الاستيعاب لابن عبد البر وأبو نعيم في حلية الأولياء .

من قريش حتى توفرت ظروف اقترانها برسول الله ﷺ ، رغم ما بذل عليه قومها من محاولات لزواجها ، إلا أنها كانت ترفضهم جميعاً منتظرة أمراً ما سيحدث في حياتها ، فيكمل شوط مسيرتها نحو الكمال الذي اختاره الله عز وجل والذي عبّر عنه النبي الصادق الأمين ﷺ بقوله : «حسبك من نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بن خويلد وفاطمة بنت محمد»^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه ، ان هذه المرأة الجليلة قد ولدت قبل عام الفيل ببضع سنوات وتزوجها رسول الله ﷺ وعمرها ثمان وعشرون سنة كما روئى ابن عباس^(٢) ، وان كان زواجها في غير هذا السن هو الذي اشتهر خطأ .

وهي أول امرأة أسلمت لله رب العالمين ، وصدّقت برسالة محمد ﷺ . هذا ، ومن الجدير ذكره ، ان السيدة خديجة قد توفيت قبل فرض الصلاة وقبل^(٣) الهجرة الى المدينة بثلاث سنين . وستعرض لتفصيل هذه الامور في الأبحاث القادمة ان شاء الله تعالى .

لسان الحق يتحدث عن خديجة

كانت السيدة خديجة رغم نبيلها وشرفها ومكانتها في الناس وسيادتها في بني أسد ونساء قريش وهي صفات كفيلة لوحدها لأن

(١) ابن المغازلي الشافعي / المصدر السابق ص ٣٦٢ نقلاً عن الترمذي في جامعه الصغير ٥ : ٣٦٧ و ابن عبد البر في الاستيعاب والحاكم في المستدرک ٢ : ١٥٧ بطريق ابن حنبل وغيرهم .

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي ت ٦٩٢ هـ ٢ : ١٣٥ طدار الاضواء بيروت وبحار الانوار ، المرحوم الشيخ محمد باقر المجلي ١٦ : ١٢٠ وغيرهما .

(٣) م . ن : ١٢٤ و ١١ نقلاً عن عروة بن الزبير بن العوام .

تؤهلها للرعاية والمحبة والرضا من لدن رسول الله ﷺ ، إلا أنها فوق ذلك ، قد وهبت كل وجودها لله ورسوله ودعوة الحق التي صدع بها .
فقد وهبت رسول الله ﷺ كل أموالها ليغطي بها نفقات الدعوة والدعاة المستضعفين .

ولقد عاصرت أشد الظروف قسوة فما نالت من قناتها أبداً ، وتحدث أصعب الازمات وأكثر المواقف عسراً ، وصبرت على الأذى في جنب الله عزوجل ، وسمت بذلك على نعيمها الدنيوي السابق ، وركلت اخضرار العيش الذي اعتادته برجليها لتعيش مع النبي ﷺ محنته وآلامه التي صببها عليه قريش وحلفاؤها وظلت طوال عشر سنين من المحنة تبت الأمل في قلب الرسول ﷺ ، وتشد من أزره ، وتقوي من عزيمته على مواصلة المسير ، وأنت خير بما تؤديه مواقف المرأة المشجعة لزوجها من أثر ايجابي على الاستمرار في الصمود والمواجهة وشدة العزيمة .
وقد كانت أعظم مواقفها الجهادية في تحديها لمحنة حصار شعب أبي طالب الذي فرض على بني هاشم من قبل قريش وحلفائها .

فقد كان لمواقف السيدة خديجة المعروفة لإضعاف قبضة الحصار أثرها الواضح المخلد في التخفيف من اضرار حصار المشركين على الدعوة وأنصارها .

ان هذه الظواهر العظيمة التي تفيض ايماناً وصدقاً ، وصبراً واحتساباً ، واخلاصاً للنبي ﷺ ودعوته هي التي أهلت أم المؤمنين الاولى خديجة بنت خويلد عليها الصلاة والسلام لاحتلال مواقع ودرجات لم توفق لها أية سيدة من أزواج النبي ﷺ على الإطلاق .

من أجل ذلك ، راح رسول الله ﷺ يكشف عن تلك المكانة السامقة التي بلغتها السيدة خديجة في موقعها عند النبي ﷺ ، وفي مكانتها عند الرسالة الالهية ، وفي درجتها عند الله عزوجل .

الله يقرئها السلام ويبشرها

فقد روى أصحاب الصحاح عن أبي هريرة ما يلي : قال : أتى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : «يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت ومعها اناء فيه أدم أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك ، فأقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببیت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ، ولا نصب .. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بما قال جبريل ، فقالت : الله هو السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام»^(١) . وهكذا ندرك البعد الحقيقي لوعيتها وفهمها واستيعابها لمضامين الرسالة الالهية المباركة .

رُزِقَتْ حبها

ولعميق حب رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة ، فانه كان يصرّح بهذه المودة جهاراً طوال حياته ، بل كان يصرّح بحب من يحبها ويكرمه . وهذا الاعلان النبوي عن حبه لأُم المؤمنين الاولى صلى الله عليه وسلم لم تحكمه العاطفة العادية ، فعواطف الرسول صلى الله عليه وسلم محكومة هي الاخرى بقيم السماء وضوابط الحق ، ومن أجل ذلك ، فقد أمر الله عز وجل الناس أن يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يشرع ويرشد ، وفيما ينهى ويمنع ما يقرره في رضاه حق كما يقرره في غضبه : ﴿ ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾^(٢) ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .. ﴾^(٣) . ومن هنا ، فان ما يصدر من ثناء نبوي على حدث أو أحد من عباد الله

(١) صحيح البخاري (باب تزويج النبي (ص) خديجة وفضلها رقم ٢٨٢١) وصحيح مسلم (باب فضائل خديجة أم المؤمنين ٤ : ١٨٨٧) والترمذي وغيرها ، والقصب هنا : الجوهر المجوف .

(٢) الحشر : ٧ .

(٣) آل عمران : ٣١ .

عز وجل ، فهو حق وعدل ، وما يصدر من ذم وعدم رضا عن أمر أو عن أحد من الناس ، فهو حق لا شك فيه .

فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من اصحاب الصحاح والسنن عن عائشة بنت الخليفة أبي بكر مايلي : «ما غرتُ على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، وما رأيتها قط ، ولكن كان يكثر من ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة ، وربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ، فيقول : (انها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد) وفي رواية مسلم : (وكان إذا ذبح الشاة يقول : ارسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ، قالت فأغضبته يوماً فقلت : خديجة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اني قد رزقت حبها)»^(١) .

النبي ﷺ يعدد بعض خصائص خديجة

ولم يكتف النبي الأعظم ﷺ بذلك ، وانما يدخل في بعض التفاصيل التي تدعوه أن يكرم السيدة خديجة ﷺ ويتشبت بودها واكبارها - رغم فراقها - .

فعن عائشة قالت : «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ، فعرف استئذان خديجة ، فارتاح لذلك ، فقال : اللهم هالة بنت خويلد !

عائشة : فغرتُ ، فقلت :

وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين ، هلك في الدهر فأبدلك الله خيراً منها !

(١) البخاري رقم (٣٨١٨) في مناقب الانصار باب تزويج النبي (ص) خديجة وفضلها. فتح الباري ١٣٣:٧. مسلم رقم (٢٤٣٥) في فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين ٤ : ١٨٨٨ . الترمذي رقم (٢٨٧٥) في المناقب باب فضل خديجة ٥ : ٦٥٩.

فغضب رسول الله ﷺ وقال :

لا والله ، ما أبدلني الله خيراً منها .

لقد آمنت بي حين كفر بي الناس .

وصدقتني حين كذبنى الناس .

وواستني حين حرمني الناس .

ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(١) .

ولقد عاشت السيدة خديجة رضي الله عنها تحت كنف النبي ﷺ خمسة وعشرين عاماً ، لم يجد منها غير الاكرام والمحبة والصفاء والطاعة وعرفان الجميل ، فبادلها ودأ بود ووفاء بوفاء ، فلم يتزوج عليها حتى توفيت .
ولقد دعا رسول الله ﷺ عام وفاتها عام حزن للأمة الخاتمة كلها .
ورغم أنه تزوج بضعة من النساء بعد وفاتها ومن مختلف الطبقات والأعمار والقبائل ، وفيهن الجميلة والرشيدة الودود إلا أن رسول الله ﷺ بقي قلبه متعلقاً بها ، وفيأ لها ، يحفظ لها عواطفها ومشاعرها ، ويتمن ودها ودورها العظيم في نصرته طوال أيام محنته مع اعداء الدعوة .

لقد كان يذكرها جهاراً ، حتى انه لا يمل من كثرة ذكرها والثناء عليها ، ويترحم عليها ، ويبكي لفراقها ، حتى غارت منها بعض نسائه وامتألت منها حسداً وهي في قبرها .

تقول عائشة بنت أبي بكر : «ما رأيت خديجة قط ، ولا غرت على امرأة من نسائه أشد من غيرتي على خديجة وذلك من كثرة ما كان يذكرها» .

(١) صحيح البخاري رقم ٢٨٢١ باب تزويج النبي (ص) خديجة (ع) . وصحيح مسلم باب فضائل خديجة وابن حنبل في المسند والطبراني . وتوجد اختلافات لفظية بسيطة بين الرواة هؤلاء : فعرف استئذان خديجة - صوت هالة كصوت خديجة ، فذكر الرسول (ص) بصوت هالة صوت خديجة . حمراء الشدقين : سقطت أسنانها لكبرها فأحمرت لثتها .

وتقول (١) عائشة أيضاً: «ما غرتُ على أحد من أزواج النبي، ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركها، وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله لها، وإن كان مما يذبح الشاة يتبع بها صدائق خديجة، فيهديها لهن» (٢). وكان ﷺ يقول: «اني لأحب حبيبها» (٣).

وعن علي رضي الله عنه قال: «ذكر النبي ﷺ خديجة يوماً وهو عند نسائه فبكى فقالت عائشة: ما يبكيك على عجز حمراء من عجائز بني أسد؟ فقال ﷺ: صدقتني إن كذبتن، وآمنت بي إذ كفرتم، وولدت لي إذ عقمتم...» (٤)، «وروي أن عجزاً دخلت على النبي ﷺ فلاطفها فلما خرجت سألته عنها عائشة، فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان».

عن عائشة: «قالت: لم يتزوج النبي على خديجة حتى ماتت، قالت ما رأيت خديجة قط ولا غرت على امرأة من نسائه أشد من غيرتي على خديجة، وذلك من كثرة ما كان يذكرها» (٥).

عن أبي نجيع عبدالله بن أبي نجيع قال: اهدي لرسول الله ﷺ جزور ولحم، فأخذ عظماً منها فناوله الرسول بيده فقال له: اذهب بهذا إلى فلانة فقالت عائشة: لم غمرت يديك؟ فقال ﷺ: إن خديجة أوصتني بها فغارت عائشة من كلامه وقالت: كأنما ليس في الأرض امرأة إلا خديجة، فقام رسول الله مغضباً، فلبث ما شاء الله ثم رجع فإذا أم رومان فقالت: يا رسول الله! مالك ولعائشة أنها لحدثة فقال ﷺ: أليست القاتلة كأنما ليس في الأرض امرأة إلا خديجة، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ورزقت مني الولد وحرمتي».

(١) مستدرك الصحيحين ٣: ١٨٦.

(٢) ابن سعد، اسد الغابة ٥: ٤٣٨.

(٣) الاصابة ٤: ٢٧٥.

(٤) كشف الغمة في معرفة الأئمة للعلامة المحقق أبي الحسن علي بن عيسى ابن أبي الفتح الاربلي

١٣١: ٢.

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٧.

وهكذا^(١) تتجلى مكانة أم المؤمنين الكبرى خديجة بنت خويلد عليها السلام كما نطق بها لسان الحق المقدس .

خديجة والحياة الجديدة

١ - مقدمة تاريخية ضرورية :

قبل الحديث عن زواج رسول الله ﷺ بالسيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام لابد من التذكير ، ان هذا الموضوع قد تعرض إلى التشويه إلى حد كبير ، إما لعوامل سياسية تاريخية أو لعوامل الغيرة والحسد التي اتصفت بها بعض أزواج النبي ﷺ بصورة غير اعتيادية .

وأهم المواضيع التي نالها التزييف والتشويه هو : الادعاء بأن رسول الله ﷺ كان هو الزوج الثالث لخديجة ، بعد أن كانت قد تزوجت بأثنين من سائر الناس ، واحد بعد الآخر تسمى الروايات الموضوعية أحدهما بعتيق ابن عابد المخزومي ويدعى الآخر بأبي هالة هند بن زرارة بن نباش التميمي ، ثم عاشت بعد وفاة الثاني أيمًا ، حتى خطبها رسوله الله ﷺ .
هكذا تصور الاخبار المنسوبة قصة - الحياة الاجتماعية - الزوجية لخديجة .

ونفس المصادر التي تروي قصة زواجها الأول والثاني تذكر بإصرار ، أن خديجة عقيلة قريش كانت قد خطب ودها سادة القبائل وعظماء قريش ، ولكنها تعرض عنهم في كل مرة بإبواء سمع ، وترغب عنهم مترفعة مع تواضع لا يحط من قدر الخاطبين .

ولقد ذكر المؤرخون ان من جملة من خطبها كان أبا جهل وأبا سفيان وعقبة بن أبي معيط والصلت بن أبي يهاب وغيرهم من سادة القوم

(١) م . ن ، وأم رومان : والددة عائشة .

وعليتهم .

كما تقع المصادر نفسها في تشوش وتناقض شديدين بالنسبة للزوجين المزعومين . فبعض المصادر تسمي أحدهما أبا شهاب عمرو الكندي ، وتسميه أخرى مالك بن النباش بن زرارة التميمي ، وأخرى تسميه هند بن النباش ، وأخرى تسميه النباش بن زرارة .

وأما من دعي بعتيق بن عابد المخزومي ، وهو الزوج الثاني المفترض ! ، فقد سمته بعض المصادر عتيق بن عابد التميمي^(١) إلى غير ذلك .

وهكذا تشرّق الادعاءات وتغرّب دون ضابطة صحيحة ولا إشارة من علم !

ومن حقنا أن نتساءل : كيف يمكن للمصادر التاريخية أن توفق بين اصرار السيدة خديجة عليها السلام على رفض جميع من خطبها بما فيهم وجوه الناس وأشرافهم ، وبين زواجها من شخصين من دهماء الناس على التوالي لم تضبط الأخبار حتى اسماءهم ؟ !
ان هذا الشيء عجاب !

انك لا تكاد تقرأ مصدراً حديثاً ولا قديماً إلا وتجد الرفض القاطع الذي تبديه السيدة خديجة بنت خويلد لكل خاطب لها مهما اعطي من مال أو جاه ومكانة ، فكيف ترضى الاقتران بذين على ما هما عليه من مغمورية ، وقلة جاه ومكانة ؟

ولكي نتخطى سطح المشكلة ، ونواجه الواقع ، لا بد من الإشارة إلى أن

(١) لمعرفة التناقض راجع البحار ١٦ : ٢٢ والصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي ١ : ١٢١ وما بعدها ، وفقه السيرة ، محمد سعيد البوطي : ٦١ . والاستغاثه ، أبو القاسم الكوفي المتوفى عام ٣٥٢ هـ وما بعدها .

السيدة خديجة عليها السلام كانت لها أخت تسمى هالة^(١) تزوجت رجلاً من بني تميم أولدها ذكراً أسماه هنداً .

وكان للتميمي زوجة أخرى أولدها بنتين احدهما زينب والأخرى رقية ، ثم هلك الرجل ، فالتحق هند بعشيرته وأهله في البادية ، والتحقّت هالة وزوجة التميمي الأخرى والبنتان بالسيدة خديجة التي امتازت بمال وفير وطيب نفس ، فشملتهم جميعاً برعايتها .

وفي هذه الأيام تزوج رسول الله ﷺ من خديجة فصارت زينب ورقية تحت رعاية رسول الله ﷺ والسيدة خديجة عليها السلام حتى نسبتا إليهما ، وهو أمر مألوف عند عرب ذلك الزمان^(٢) وفق قاعدة التبني التي أبطلها القرآن الكريم بعد ذلك سنين في آية ٤ من سورة الاحزاب .

وهكذا تكون قضية هالة بنت خويلد وقصة زواجها قد انسحبت على سيرة السيدة خديجة وحياتها بسبب ذلك التبني ، حتى بلغت الحال أن تشعبت بقصد وبغيرة لتكون زينب ورقية ابنتين لرسول الله ﷺ كما يكون الرجل المخزومي الذي كان أول زوج لهالة بنت خويلد ثم زوجها الثاني التميمي قد نسباً إلى السيدة خديجة كزوجين لها قبل زواج رسول الله ﷺ منها .

وهكذا ، تقم حياة هالة الزوجية ونتائجها على خديجة عليها السلام وحياتها الشخصية .

ومما يعزز صحة هذه الواقعة التاريخية الهامة التي سردناها ما ذكره ابن شهر آشوب المازندراني ، حيث قال : روى أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما والمرضى في الشافي ، وأبو جعفر في

(١) انظر مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ط الكويت ٢ : ٢٠٤ حديث ١٦٧٤ .

(٢) تراجع هذه القضية في كتاب الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي المتوفى ٢٥٢ هـ ص ٨٢ وما بعدها .

التلخيص : ان النبي ﷺ تزوج بها وكانت عذراء (١).

هذا ، ومن الجدير ذكره ، ان المصادر التي اعتبرت زينباً ورقية بنتين للنبي ﷺ من السيدة خديجة ، قالت بولادتهما بعد البعثة ثم تقول ذات المصادر ، ان رقية التي كانت أصغر بنات النبي ﷺ (٢) قد تزوجت عثمان ابن عفان قبل الهجرة إلى الحبشة علماً بأن الهجرة المذكورة قد وقعت بعد البعثة بخمس سنين .

فهل تنسجم العقول مع هذه التقولات الساذجة (٣) التي تناقضت مع نفسها ومع الوقائع التاريخية ؟

وتحقق أمل خديجة !!

كانت حياة السيدة خديجة ؓ مزيجة بين الرفض الصارم لكل من يطلب يدها من أجل الزواج ، وبين الانتظار والأمل لمن يلبي طموحها المعنوي من الرجال كزوج وولي أمر .

وبينما كاد الرجال يقطعون الأمل من قناعتها بأي منهم ؛ كانت سيدة قريش قد تحولت إلى اذن صاغية تتسمع أخبار خير شباب قريش الذي ملأ ذكره الحسن ، والحديث عن شمائله الطيبة في أركان مكة ونواحيها حتى أسماء قومه بالصادق الأمين ، وهو لما يزل في ريعان شبابه ، ذلك هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب .

فقد كانت تتوهم أن يكون هو القرين المنتظر لها ، وبدأ حدسها يقترب من اليقين رويداً رويداً كلما تقدمت الأيام .

(١) راجع مناقب آل أبي طالب ١ : ١٥٩ .

(٢) الاصابة ٤ : ٣٠٤ .

(٣) للتفاصيل راجع الشيخ محمد حسن آل ياسين ، النبوة هامش ص ٦٥ كما يراجع الاستغاثة : ٨٠ وما بعدها والصحيح من سيرة النبي (ص) ، السيد جعفر مرتضى العاملي ١ : ١٢١ وما بعدها .

وماذا يمنعها أن تنتظر وهي لا تزال في عز شبابها، وغضارة جمالها؟
فقد تأملت كثيراً في حديث لأحد أحبار اليهود حضر المسجد الحرام
وراح يتحدث عن اقتراب موعد بعثة الرسول الموعود من هذه الديار،
وهو ينوه بالتهنئة للمرأة التي تكون له زوجة وسكناً^(١).

وجاءت الخطوة الأخرى لتقرب الأمل المتقد في وجدانها، فحيث امتلاً
سمعا بجميل ذكر محمد بن عبد الله ﷺ فتى أبي طالب شيخ الأبطح،
بالنظر لعظيم أمانته، وكريم صفاته ونبيل خصائصه، وصدق حديثه
ومواقفه، فما بالها ياترى لا تعقد صفقة تجارية معه، تضاربه ببعض
أموالها ليخرج بها متاجراً إلى الشام، ومن كمحمد ﷺ في صدقه
وسلامة سلوكه واستقامته؟

لقد انتفضت من غفلتها عنه، وكأنها لامت نفسها عن طول هذه الغفلة
عنه، فبعثت من يعرض عليه هذا المشروع التجاري المربح الذي طالما
اشربت إليه أعناق الرجال، وعرضت عليه من خلال وسيطها أن يكون
له من الربح أفضل ما اعتادت أن تعطيه لمن تضاربه من التجار.
ووجد رسول الله ﷺ حاجة في نفسه، فتداول مع عمه أبي طالب في
ذلك، فلم يجد منه اعتراضاً.

وكان هذا الغرس الطيب مدركاً أن عمه قد كبر سنه، وأثقلت السنون،
فلا بد من استثمار هذه الفرصة لدعم عمه الكريم الذي امتاز بجوده
وكرمه ورعايته للناس رغم كونه أقل سادة قريش مالاً.

وخرج المصطفى ﷺ في تجارته إلى الشام يصحبه ميسرة غلام
خديجة الذي أنابته عنها في هذا المشروع.

وقد كان ميسرة يقوم بمهمتين معاً، إحداهما: اقتصادية روتينية

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ١٦: ٤ نقلاً من مناقب آل أبي طالب.

تتعلق بالتجارة والمال وما إلى ذلك من شؤون .

وثانيتها : معنوية ، ولعلها كانت هي المهمة المركزية التي كُلف بها من قبل سيدته خديجة !!

فقد كان موكولاً إليه أن يرصد محمداً ﷺ عن كثب في هذه السفرة الطويلة نسبياً ، كي يقدم تقريراً إلى السيدة خديجة حول أبعاد شخصيته ، ليكمل الصورة عن محمد ﷺ لديها .
ويبدو أن ميسرة كان جديراً بإعطاء الصورة المطلوبة ، ولذا اختارته سيدته لذلك .

وما أن صحب الغلام رسول الله ﷺ إلا ورأى الأعاجيب مما لم يكن في حسابه ولا في تصوراته ، فرغم طيب المعاشرة ، وحسن الأخلاق ، وصدق المعاملة ، وعظيم الأمانة ، فإن أموراً خارجة عن المألوف تمكن ميسرة من مشاهدتها عياناً .

عن محمد بن اسحاق ، قال : كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج في مالها ذلك ، ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة ؟ إلا نبي ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى

ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، وكان ميسرة .. قال (فيما) قال : إذا كانت الهاجرة واشتد الحرّ نزل ملكان يظللانه من الشمس ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من تظليل الملكين له^(١) .

ان هذه الواقعة وما أحاطت بها من ظروف مادية ومعنوية دفعت السيدة خديجة عليها السلام إلى نهاية الشوط ، فأرسلت اختها هالة أو صديقتها نفيسة بنت منبه - على قول - إلى رسول الله ﷺ وأسرته - فور عودته من الشام - لتعرض نفسها عليه .

وذهبت نفيسة مندسةً إلى النبي ﷺ وجرى هذا الحوار التاريخي القصير الحاسم بينهما^(٢) :

نفيسة : ما يمنعك من الزواج ؟

قال : ما بيدي ما أتزوج به ..

قالت : فان كفيت ذلك ، ودعيت إلى الجمال والمال ، والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟

قال : فمن هي ؟

نفيسة : خديجة !

قال النبي ﷺ : كيف لي بذلك ؟

قالت : عليّ ذلك .

وأعلن رسول الله ﷺ قبوله بالعرض .

ويبدو أن نفيسة عادت مرة ثانية طالبة من النبي ﷺ أن يحضر مع

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ١٦ : ٩٠ . وابن هشام في السيرة النبوية ١ : ٢٠٣ باسناده عن ابن اسحاق .

(٢) حياة محمد (ص) ، محمد حسنين هيكل ط ١٣٥٤ هـ القاهرة : ٨٤ .

أعمامه لخطبة سيدة قريش من عمها عمرو بن أسد ، لأن أباها خويلد كان قد قضى نحبه قبل حرب الفجار ، وحددت نفيسة بإذن خديجة موعد اللقاء في دارها التي كانت من أوسع دور قريش وأرحبها .

واجتمع عدد من أعمام النبي ﷺ ورجال قريش في طليعتهم أبو طالب في دار السيدة خديجة ؑ ، وحضر من قرباها عمها عمرو بن أسد وآخرون .

وتكلم أبو طالب خاطباً خديجة من عمها^(١) وجاء في حديثه ما يلي :
« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ؑ وزرع اسماعيل وضئضيء^(٢) معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس .

ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجحه ، وان كان في المال قلأ فان المال ظل زائل وحال حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي .

وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل»^(٣) .

ثم ان عمها عمرو بن أسد رد على خطبة أبي طالب رداً ايجابياً يتجلى في كلماته تأثره بالحنيفية الاولى أو بالكتب السماوية التي ذكر المؤرخون أنه كان يهتم بقراءتها وهذه كلمات عمها كما ذكرها المؤرخون :

(١) وردت في كلام أبي طالب (ع) اختلافات بين المصادر في بعض الألفاظ.

(٢) ضئضيء : الأصل.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ١٦ : ١٦ و ١٧ عن : من لا يحضره الفقيه : ٤١٣ . واخرج نحوه

اليقوبي في تاريخه ٢ : ١٥ والوفا بأحوال المصطفى لأبي الفرج عبدالرحمن الجوزي ١ : ١٤٥ مع اختلاف في الألفاظ.

«الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عدّدت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لا تنكر العشيرة فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا بالاتصال بحباكم وشرفكم ، فاشهدوا عليّ معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار»^(١).

هذا ، ومن الجدير ذكره ، ان اشارة بعض المصادر إلى وجود أبيها خويلد ليس صحيحاً ، فقد توفي الرجل المذكور في حرب الفجار أو قبلها ، كما أن الراجح أن يكون عمرو بن أسد هو الذي تولّى تزويجها وليس ورقة بن نوفل - كما زعمت بعض المصادر - ، اللهم إلا أن يكون ورقة أحد الحاضرين في الزواج ليس غير ، فالعلم أولى من ابن العم في ذلك ! وبعد اجراء مراسم العقد ، أعلنت خديجة أن بيتها وما تملك هو تحت تصرف النبي ﷺ .

ثم ان أبا طالب أقام على شرف الزوجين والحضور وليمة بعد أن نحر ناقة وأطعم من كان حاضراً .

وهكذا تمت مراسيم الزواج المبارك ، ودخل رسول الله ﷺ داره ليقيل مع زوجته السيدة خديجة أم المؤمنين الاولى لتبدأ المرحلة الجديدة من حياتهما عليهما الصلاة والسلام .

هذا ، ومن الجدير ذكره ، أن مراسيم عقد زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة ﷺ كان في اليوم التاسع^(٢) من ربيع الأول بعد عام الفيل بخمس وعشرين سنة ، علماً بأن المصطفى ﷺ لم يتزوج سواها حتى توفيت^(٣) رعاية لمشاعرها واکراماً لمقامها عليها آلاف التحية والسلام .

(١) بحار الأنوار ١٦ : ١٩ وقد ذكرته مختلف المصادر التاريخية.

(٢) جنة المأوى للإمام محمد حسين آل كاشف الغطاء : ٩٥ .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ٥ : ٦ وسواه من المصادر.

أول النساء تصديقاً برسول الله ﷺ

دخلت السيدة خديجة حياتها الجديدة باقترانها برسول الله ﷺ ،
حيث الحبور والرحمة والتلاحم الروحي والعاطفي .
وقد عبّر عن هذه الحالة التي توقعها أبو طالب ﷺ للزوجين بعد وقوع
العقد بقوله :

«الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم»^(١).

وحيث ان الانسجام الروحي والعاطفي بين الرسول ﷺ وسيدة
قريش كان ثمرة طبيعية . لأن أحدهما كان تَوَاقُاً لصاحبه ، تتجاذب
روحاهما وتتناغم ، إذ لو لم تقترن خديجة بشخص الرسول ﷺ لما مالت
نفسها إلى سواه طوال حياتها ، ولما وجدت كفوّاً لها من الرجال أبداً .
وهكذا اتسمت حياة رسول الله ﷺ بالحبور والدعة مع هذه المرأة
العظيمة مما لم يتسنّ لغيرها من أزواجه فيما بعد ، حتى غارت منها
وحسدتها بعض نساؤه ، رغم وفاتها ﷺ ، لكثرة ما يثني عليها رسول
الله ﷺ ويذكرها بخير ويجدد العهد بذكرها الطيب أنا بعد آن .

إلا ان الأهم من ذلك كله الانسجام الروحي والفكري بين النبي ﷺ
وقرينته المكرمة ، الذي بدأ يتعمق منذ دخلت تحت كنفه ورعايته .

ففي الفترة التي تم زواج رسول الله ﷺ من السيدة خديجة ﷺ كان
النبي ﷺ قد قطع شوطاً بعيداً في اعداده الالهي ، وتلقيه مبادئ الحكمة ،
وبوادر الخير والرحمة من عند الله تعالى التي كان يعكسها بدوره بشكل
أو بآخر على قلب السيدة خديجة ﷺ وروحها وسلوكها حتى انصهرت
في بوتقة الهدى الرباني .

فنحن على علم ان الرسول ﷺ كان خاضعاً لعملية اعداد رباني

(١) السيرة النبوية لابن دحلان بهامش السيرة الطلبية ١: ١٠٦.

مخطط ، وبرنامج ملكوتي رفيع ، يصنعه على عين الله عزوجل لكي ينهض بأعظم رسالة عرفها هذا الكوكب ، بل هذا الوجود .

ولقد تدرج في عملية الاعداد باتجاه موقع الرسول الخاتم ﷺ ، ومر بمستويات ودرجات كان أبرزها : درجة النبوة ، ثم درجة الرسالة التي بدأت بما يصطلح عليه بالبعثة ، وما تطلبت من نزول القرآن الكريم مفرقاً حسب مقتضيات اعداد الأمة ، والنهوض بها إلى مستوى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ولقد كانت فترة النبوة طويلة نسبياً استغرقت حيزاً كبيراً من عمر النبي الخاتم محمد بن عبدالله ﷺ كان غير مسموح له فيها بدعوة الناس إلى الحق الذي لديه ، إلا انه من المقطوع به أنه ﷺ كان مقتصرأً دعوته على أهل بيته وخاصته .

وهذه أرقام وشواهد على ذلك :

أ - كان نبياً قبل أن يكون رسولاً :

قضى المصطفى محمد بن عبدالله ﷺ ثلثي عمره الشريف نبياً لم يؤذن له من قبل الله عزوجل بدعوة الناس إلى رسالته ، ولم يعلن عن نبوته المباركة طوال تلك السنين :

«اعلم : ان الطائفة قد اجتمعت على أن رسول الله ﷺ كان رسولاً نبياً مستخفياً يصوم ويصلي على خلاف ما كانت قريش تفعله مذ كلفه الله تعالى ، فإذا أتت أربعون سنة ، أمر الله عزوجل جبريل عليه السلام أن يهبط بإظهار الرسالة ، وذلك في يوم السابع والعشرين من شهر الله الأصم»^(١).

ولهذه الحقيقة أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث له

(١) روضة الواعظين للشهيد القتال النيسابوري: ٦٢ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

جاء فيه : «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائحته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم : ليله ونهاره»^(١) .

حتى إذا نزل عليه جبريل بمطالع سورة المدثر المباركة في اليوم السابع والعشرين من رجب المرجب ﴿يا أيها المدثر﴾ قم فأنذر ﴿ وربك فكبر﴾ بأشر عملية دعوة الناس إلى عبودية الله عزوجل حيث بُعث إلى الناس كافة وأذن له بالتبليغ .

ويلاحظ من حقائق السيرة النبوية المطهرة ، أن النبي ﷺ - ولأهداف استراتيجية - كان مأموراً أن يطلع ابن عمه وربيبه علي بن أبي طالب عليه السلام على التطورات التي كانت تجري له قبل نزول القرآن الكريم وبعده أولاً بأول ، وشاركته في ذلك السيدة خديجة ، حيث أشار الامام علي عليه السلام لذلك بقوله :

«... وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل . ولقد قرن الله به - ﷺ - من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائحته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره .

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاعتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة ، وأنا ثالثهما أرى نور الوحي ، وأشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان قد أيس من عبادته ، انك تسمع ما أسمع

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٩٢ .

وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير وإنك لعلى خير»^(١).

هذا، وقد بذل المرحوم المبرور الشيخ محمد باقر المجلسي رحمه الله وسعاً من أجل دراسة هذه المسألة العقائدية - التاريخية الحساسة، وساق الكثير من الأدلة والشواهد المتينة من الكتاب والسنة على أن رسول الله محمد بن عبد الله عليه السلام كان نبياً منذ صغره مؤيداً بروح القدس، يكلمه الملك، ويسمع صوته، ويتعبد بشريعته هو لا بشريعة رسول آخر.

حتى إذا بلغ الأربعين من عمره الشريف جرى له التحول النوعي الآخر في المهام والأهداف فبعثه الله عز وجل رسولاً، ونزل عليه القرآن الكريم، وأمره ربه عز وجل بدعوة الناس إلى رسالته^(٢).

ب - علي وخديجة أول المصدقين بالنبوة :

ومنذ فترة متقدمة على نزول مطلع سورة المدثر الأمرة لرسول الله عليه السلام بالدعوة العامة، كان رسول الله عليه السلام يستخفي بدعوته عن الناس دون القرابة القريبة من أهل بيته :

«فجعل رسول الله عليه السلام يذكر ما أنعم الله عليه، وعلى العباد به، من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله...»^(٣).

ومن أجل ذلك، فإن الروايات الكثيرة التي تذكر أن رسول الله عليه السلام صلى يوم الاثنين، وصلت السيدة خديجة وعلي عليه السلام يوم الثلاثاء^(٤) تشير إلى السياق الزمني الذي مرت به الدعوة الإلهية الخاتمة. واستمرت الدائرة تتسع قليلاً فاضمت جعفرًا وزيد بن حارثة بعد ذلك. أما دعوة

(١) م. ن.

(٢) راجع هذا البحث القيم الموثق في بحار الأنوار ١٨ : ٢٧١ - ٢٨١.

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩ مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ١٩٢٦ م والطبري ٢ : ٥٣.

(٤) بحار الأنوار ١٨ : ١٧٩ نقلاً عن تفسير القمي، وتاريخ الطبري ٢ : ٥٥ برواية جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله وص ٥٩ عن زيد بن أرقم.

الناس خارج هذا الاطار فقد بقيت تنتظر وقتها المناسب الذي يحدده رب العالمين .

وهذه بعض الأرقام والوثائق المؤكدة التي تعطي انطباعاً أولياً عن موقع علي وخديجة في سلم الدعوة والرسالة .

«عن يحيى بن عفيف عن عفيف قال : جنّت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب قال : فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه قال : فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخرّ الشاب ساجداً فسجداً معه فقلت : يا عباس أمر عظيم فقال : أمر عظيم أتدري من هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري من هذا معه قلت لا قال : هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي أتدري من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت لا قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي وهذا حدثني أن ربه رب السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة»^(١) .

في هذه الوثيقة التي تكررت في تاريخ الطبري مراراً وبأسانيد مختلفة ، يلاحظ أن الوثيقة تصف النبي ﷺ بالشاب ، كما تعطي صفة الغلام لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، الأمر الذي يشير إلى أن تعبدهم لله تعالى كان قبل الناس بسنين عديدة ، لا سيما ونحن نعلم أن البعثة بالرسالة قد حدثت ورسول الله ﷺ قد بلغ الأربعين عاماً أو تخطاها - حسب بعض الروايات .. فأين هو من مرحلة الشباب في هذه الفترة .

عن محمد بن مسلم عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : «ما أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد قبل علي بن أبي طالب وخديجة صلوات الله عليهما ، ولقد مكث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقب ويخاف قومه والناس» (١) .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة مستخفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر ، وعلي عليه السلام معه وخديجة ثم أمره الله أن يصعد بما يؤمر فظهر وظهر أمره» .

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : «ولقد كان - رسول الله صلى الله عليه وآله - يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة ، وأنا ثالثهما أرى نور الوحي ، وأشم ريح (٢) النبوة» .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «ما أعرف أحداً من هذه الأمة عبد الله بعد نبينا غيري ، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة تسع سنين» (٣) .

عن عباد بن عبد الله قال سمعت علياً يقول : «أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين» (٤) .

ان هذه الوثائق التاريخية رغم اختلافها في البعد الزمني الذي تذكره حول سبق علي والسيدة خديجة عليهما السلام لعموم الناس في الالتحاق بركب الدعوة الالهية الخاتمة ، حيث تتراوح سنوات السبق المذكور بين ثلاث سنوات وتسع ، إلا أنها تؤكد الحقيقة القاطنة إن علياً والسيدة خديجة عليهما السلام كانا ضمن أجواء التغيرات الروحية والفكرية للنبي صلى الله عليه وآله ، حتى أنهما لم

(١) بحار الأنوار ١٨ : ١٨٨ .

(٢) نهج البلاغة خطبة رقم ١٩٢ .

(٣) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للامام الحافظ احمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣ هـ ص ٣ ط مصر .

(٤) تاريخ الطبري ٥٦ : ٢ والكامل لابن الأثير الجزري ٥٧ : ٢ .

يفاجئنا بالنبوة ، ولم يفاجئنا بالتكاليف الالهية ، وإنما مرّا بحالة تحول نوعي في أداء التكليف ليس غير ، ولذا ، فإن علياً عليه السلام يذكر أنه حين نزل الوحي عليه السلام - حيث ابتدأت البعثة بالرسالة لعموم الناس - سمعت الرنة التي أحدثتها هزيمة الشيطان^(١) في العالم غير المحسوس ، حيث كان هو معه في غار حراء وعلى مقربة من الغار كانت خديجة^(٢) .

كما أن بعض الروايات تشير أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو ذاته التحقق بالنبي صلى الله عليه وآله في أداء التكليف ، ولم يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله دعوته ، حيث يذكر هذا النوع من الروايات ان علياً رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي - أول صلاة - وكانت هذه العملية نقلة فكرية وروحية في سلم الرسالة بطبعها - فسأله عما يفعل ، فقال : اصلي ، فصلّى علي معه^(٣) ، ولا نستبعد أن تكون خديجة ذات القلب الرباني الشفاف والروح الالهية المتعلقة بعالم القدس سلكت غير هذا السلوك ، لأنها وعلياً كانا يصنعان على عين رسول الله صلى الله عليه وآله ، تماماً كما كان هو يصنع على عين الله عز وجل ، وإن كان مستوى علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله كمستوى هارون من موسى عليه السلام^(٤) - كما عبّرت النصوص - عن ذلك ، وهو مستوى لم تبلغه السيدة خديجة قطعاً ، إلا أنها تمثل قمة في النساء قطعاً لم تسبقها غير فاطمة ابنتها في هذه الأمة المرحومة ، تلك المرأة التي حملت بحق وجدارة لقب سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة^(٥) كما أخبر الصادق الأمين عليه السلام بذلك .

(١) نهج البلاغة خطبة القاصعة ص ٣٠١ ط بيروت.

(٢) يستفاد ذلك من المصدر السابق ومن تاريخ الطبري ٤٨ : ٢ وفي ظلال القرآن لسيد قطب مجلد ٦ تفسير سورة المزمل .

(٣) بحار الأنوار ١٨ : ١٨٤ نقلاً عن المحدث الثقة علي بن ابراهيم القمي وهناك مصادر ذكرت ذلك بشكل أو بآخر .

(٤) كما هو حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» المشهور .

(٥) كما في أحاديث مشهورة عند عموم المسلمين .

دور العصبيات في اضعاف الكيان الاسلامي «عصر صدر الاسلام نموذجاً»

(١)

✽ الشيخ عبدالكريم آل نهض

توفي الرسول الأعظم ﷺ في السنة الحادية عشر من الهجرة
مخلفاً وراءه تجربة اجتماعية وسياسية لم تكتمل بعد ،
وحضارة فتية لا زالت في طور النشوء ، ورسالة سماوية قدّر لها أن
تكون الرسالة الخاتمة ، وصاحبة الحق في السيادة على الأرض ، فليس
لغيرها حق في الظهور ، فضلاً عن الانتشار والسيادة . وهذا الارث
الثلاثي الضخم - تجربة ، حضارة ، رسالة - الذي خلفه الرسول يشق
طريقاً للبشرية كانت التجربة النبوية بدايته ، ويكشف عن مسؤولية
استثنائية ومصيرية تبحث عن يحملها وينهض بها . فيا ترى هل فكر
النبي ﷺ بمستقبل هذا الارث ومصيره ؟ وهل أعدّ من يكون لائقاً بحمله
وأداء المسؤوليات الاستثنائية التي ينطوي عليها؟



يكاد يكون الجواب الايجابي على هذا التساؤل بديهياً . إذ لم يُعهد من الانسان العادي - فضلاً عن القائد الكبير والرسول الخاتم - أن يخلف وراءه أموراً معينة - فضلاً عن أن تكون هذه الأمور تجربة وحضارة ورسالة سماوية خاتمة - دون أن يفكر في مصيرها ومستقبلها بعده والفرد الذي سينهض بمسؤوليتها نيابة عنه . وهذا من بديهيات الأمور ، وما عداه سفه ولا أباليه يجلّ عنه الانسان العادي فكيف بخاتم الرسول وسيد البشر وأعظم القادة في التاريخ ﷺ ؟

والجواب الايجابي فيه احتمالان :

الاحتمال الأول - أن يكون النبي ﷺ واثقاً من أن الأمة التي أنشأها سوف تنهض بالمسؤولية المشار إليها بنحو جعله مطمئناً إلى مصير ومستقبل الارث النبوي بمقوماته الثلاثة - تجربة ، حضارة ، رسالة - .

الاحتمال الثاني - أن يكون النبي ﷺ قد تدخل تدخل مباشراً وأعد لمستقبل الارث النبوي الخطة الكافية التي تضمنه عبر تعيين واعداد الفرد أو الأفراد الجديرين بتحمل المسؤولية التاريخية من بعده ، لو أن الباحث المنصف لم يتناول هذه المسألة من كل زواياها التاريخية والكلامية وأقتصر على دراسة جانب واحد ، وهو أن المجتمع الذي فيه عدد كبير من المنافقين طبقاً لشهادة القرآن ، وعدد كبير من الطلقاء ، ولا زالت ترسبات الجاهلية تنتاب أكثر الصحابة المقربين من النبي ﷺ ، مثل هذا المجتمع كيف يؤمن على مستقبل الرسالة والتجربة بحيث نقول : إن النبي اطمأن لمستقبل الاسلام على أساس الثقة بسلامة هذا المجتمع وقدرته على انجاز المسؤولية السماوية والتأريخية المنوطة به ؟ وإذا اهلنا المنافقين والطلقاء - وهم عدد كبير وخطير يعتدّ به ويخشى منه - وركّزنا النظر في سيرة الطليعة البارزة من الصحابة ممن برزت

أسمائهم في التجربة النبوية وساد ذكرهم في التاريخ ؛ لعثرنا على الكثير من المواقف التي توجب الشك - على الأقل - في كفاءتهم واخلاصهم بنحو يجعل الاحتمال الأول الذي بُنيت مدرسة الخلفاء عليه وهماً من الأوهام ، من ذلك ما عُرف برزية يوم الخميس ، يوم كان النبي ﷺ على فراش المرض وطلب ممن حوله من طليعة صحابته دواة وقرطاساً يكتب فيه كتاباً لن تظل الأمة بعده ، فعرف الأصحاب غرض النبي ﷺ وتنازعوا في الأمر بين قائل : اعطوه ، وقائل : لا تعطوه ، حتى غلب القول الثاني بنداء عمر بن الخطاب : إن الرجل ليهجر ، حسبنا كتاب الله ، فأخرجهم النبي ﷺ بقوله : اخرجوا لا ينبغي عند نبي نزاع^(١) . فمثل هذه الحادثة تسلط الضوء على شخصية أمثال هؤلاء الصحابة وتثبت عدم لياقتهم لتحمل المسؤولية السماوية والتأريخية في خلافة الرسول الأعظم ﷺ كما هو المفترض في الاحتمال الأول ، ومما يساعد على نسف هذا الاحتمال أن الحادثة جاءت في الأيام الأخيرة من حياة النبي وكشفت عن عدم رضا النبي من أمثال هؤلاء الصحابة وعدم اعتماده عليهم بشأن مستقبل الرسالة والأمة . فإذا كان حال أمثال هؤلاء الصحابة هكذا فماذا يكون حال المنافقين والطلاقاء الذين أسلموا بعد الفتح ؟

ويتأكد فشل الاحتمال الأول أكثر إذا التفتنا إلى أن فترة ٢٣ سنة التي قضاها النبي ﷺ مع مجتمعه يمكن أن تكون كافية لاصلاح المجتمع أصلاً أنياً يتناول المظاهر والجوانب العامة من المجتمع ، ولكنها ليست كافية لاصلاح جذري يتناول عمق المجتمع وبواطنه الشعورية واللاشعورية كما هو مقتضى الاحتمال الأول . فإن مجتمعاً كان بالأمس

(١) المراجعات : ٤٤٦ ، الهامش ٨٤٨ من تحقیقات الشيخ حسين الراضي خاص بمصادر هذه الحادثة التي اطلق عليها ابن عباس تسمية رزية يوم الخميس ، وقد ذكر المحقق في هذا الهامش عشرات المصادر التاريخية التي أوردتها.

القريب ملوثاً بكل أوساخ الجاهلية ومصائب كل أمراضها لا يمكن أنقاذه منها ومن ترسباتها اللاشعورية الدفينة في النفوس بفترة كهذه ، فحتى لو كانت سيرة عموم الصحابة سليمة ومستقيمة في حياة النبي ﷺ وكان النبي ﷺ راضياً عنهم كما تؤكد مدرسة الخلفاء وتستشهد عليه بشواهد قرآنية ، إلا أن هذا لا يعني أن الاستقامة المذكورة أصبحت ذاتية في شخصية كل صحابي ، وانها مضمونة حتى بعد وفاة النبي ﷺ ، فعمل شخصية النبي ﷺ وهيمنته الروحية على أصحابه هي التي خلقت هذه الاستقامة بحيث يخشى كل فرد منهم مخالفة النبي ﷺ لئلا يكون شاذاً من بين أصحابه . وهناك شواهد تاريخية تشير إلى أن الصحابة كانوا يتحاشون شؤون مخالفة النبي خشية أن يهبط الوحي بأية تذلم وتكون عاراً في ذريتهم وقبيلتهم ، فالوحي من جهة وشخصية النبي وأثره الروحي في المجتمع من جهة أخرى عاملان من شأنهما اضعاف الجرأة على مخالفة النبي ﷺ ، ولذا ظهرت المخالفة عندما أمن الصحابة من هذين العاملين وذلك في رزية يوم الخميس ، الأمر الذي يكشف عن أن استقامة الصحابة استقامة ظاهرية يتقوم جانب منها بعوامل خارجية كشخصية النبي ﷺ والوحي . ومن الممكن افتراض أن النبي ﷺ كان راضياً عن هذا التغيير الذي أستطاع أن ينجزه في شخصية أصحابه بأعتبار أنه على قدر يمكن تحقيقه من التغيير في أفراد من تلك البيئة الصعبة . فما تؤكد مدرسة الخلفاء من أن الوحي والنبي ﷺ كانا راضين عن الصحابة يمكن أن يكون بهذا المعنى لا بالمعنى المطلق الذي يستلزم تسليم التجربة النبوية والرسالة السماوية إليهم ليكونوا قادتها من بعده ، فأين معطيات علم النفس وعلم الاجتماع اضافة إلى التجارب الاجتماعية تؤكد على أن عمليات التغيير الاجتماعي يمكن أن تطال الجانب

الشعوري من الحياة الاجتماعية والثقافية ، فيما يبقى صندوق اللاشعور في شخصية الانسان يختزن التجارب والعادات والأفكار والممارسات والمفاهيم القديمة وينقلها إلى الأجيال القادمة ، وأن هذه التجارب والثقافات المختزنة تبقى حية تفعل فعلها في السلوك كلما ضعف الشعور عن التأثير والتوجيه ، كحالات الغفلة والنسيان والحدّة والانفعالات العصبية وحالات عدم وجود فكرة قوية تسيطر على شخصية الانسان ، فهنا يظهر اللاشعور وتمارس الشخصية تلك الثقافة المختزنة فيه بشكل تلقائي ، ومع حقيقة كهذه كيف يمكننا أن نصدق بأن النبي ﷺ قد عهد بدولته وتجربته ورسالته السماوية إلى أنسان كان قبل سنوات قلائل يعبد الأصنام ويئذ البنات ويشرب الخمر ويرى في عصبيته القبلية نهاية وجوده ؟

وإذا ما طالعنا نصوص الكتاب والسنة وجدنا فيهما ما يدل على أن التشريع الاسلامي قد التفت إلى هذه الناحية واتخذ منها موقفاً احترازياً شديداً ففي القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى : ﴿ وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ (١) .
ففي هذا النص القرآني نلمس ثلاثة أبعاد مهمة هي :

- ١- إن الامامة جعل رباني وتنصيب إلهي .
- ٢- إن هذا الجعل والتنصيب لا يتم إلا بعد أخضاع الفرد المنتخب للامامة لامتحانات إلهية صعبة عديدة .
- ٣- وقبل وقوع هذه الامتحانات لابد من أحراز حسن سلوك الفرد المنتخب إلهياً للامامة .
- فمن سبق عنه الانحراف والظلم لا يصل قاعة امتحان الامامة فعلاً عن

الحضوة بها . ذاك انه ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ .

وهذه أبعاد أحترازية شديدة تبين مدى حساسية التشريع السماوي من قضية الامامة فلا يحض بها أحد إلا بجعل سماوي وأبتلاء إلهي وعدم ثبوت سابقة سيئة في سلوكه .

والبعد الثالث وهو أوضح الأبعاد ارتباطاً بما نحن فيه فقوله تعالى: ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ يُشير إلى الحقيقة التي أتضحت قبل قليل حول خطورة اللاشعور الكامن في شخصية الانسان والمؤثر فيها بوصفه حالة سلبية لا تزول إلا بصعوبة وبطء ، فالسابقة السيئة تترك أثرها على المرحلة التالية التي صمم الانسان فيها على الاستقامة ، وحينئذٍ فمثل هذا الفرد يمكننا أن نقبله فرداً في المجتمع ولكن يصعب علينا القبول به مسؤولاً ومتصدياً لشؤون هذا المجتمع ، ولما كانت خلافة الرسول ﷺ أمراً أكبر من إدارة شؤون المجتمع ، بل هي أمر يمّس مصير التجربة النبوية التي يُراد لها سماوياً أن تكون انطلاقة جديدة للبشرية كلها ، وأمر يمّس مصير الرسالة الاسلامية الخاتمة التي لا رسالة سماوية بعدها ، فكان من الطبيعي أن يبلغ الاحتياط غايته والأحتراز السماوي نهاية مداه ، فلا تعطى إلا بجعل إلهي لفرد شهد كل الإختبارات وفاز في كل الصعاب ، ولم يمارس في حياته أي ممارسة جاهلية . وهو علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي سيرة الرسول الأعظم ﷺ نقرأ ما يشير إلى أن النبي ﷺ كان يتوقع ظهور ممارسات جاهلية من قبل العديد من أصحابه ناشئة من رواسب الماضي القريب والبيئة الاجتماعية الضاغطة في بواطن اللاشعور ، وأنه كان يحترز منها ويعمل على عدم استفزازها ، لكي لا تتلوث التجربة بمظاهر شاذة ، وأشدّ أحترازه كان من مرض العصبية الذي كان محور المجتمع الجاهلي ، وقد أبرز الرسول ﷺ أحترازه هذا

في قضية خطيرة هي قضية الامامة .

فقد نقل صاحب الغدير^(١) عن مجمع البيان والحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل بإسناده عن ابن عباس وجابر الأنصاري ، أن الله سبحانه وتعالى لما أمر نبيه أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته عليهم ، تخوف النبي ﷺ أن يقولوا : حابى ابن عمه ، وان يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليهِ من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾^(٢) .

ونقل أيضاً عن ابن مردويه بإسناده عن ابن عباس ، قال : لما أمر الله رسوله ﷺ أن يقوم بعليّ فيقول له : ما قال ، فقال : يارب إن قومي حديثوا عهد بجاهلية ، ثم مضى بحجّه ، فلما أقبل راجعاً ونزل بغدير خم أنزل الله عليه ، ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ... ﴾ الآية . فأخذ بعضد علي ثم خرج إلى الناس ، فقال : أيها الناس الست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ...^(٣) .

إن هذه الحادثة تضعنا أمام استنفهامات كبيرة : فالرسول العظيم الذي لم يعرف قلبه الخوف يوم جابه سلطان قريش وجبروتها نراه يتخوف من أن يصدر اعلاناً رسمياً عاماً سافراً يعين من خلاله علياً عليه السلام خليفة من بعده خشية أن يكون ذلك الاعلان استفزازاً لعصبية قريش التي يعرف النبي مدى غطرستها وعنجهيتها ...!!

والرسول العظيم الذي لم يتردد يوماً في انجاز أمر سماوي حتى الأوامر الجزئية والصغيرة . ولم يعرف عنه أنه أرجأ ابلاغ حكم من أحكام السماء مهما كان عادياً وجزئياً ، كيف تردد في تنفيذ هذا الاعلان

(١) الغدير ١ : ٢١٩ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) الغدير ١ : ٢١٧ ، أنظر كذلك كشف الغمة ١ : ٣١٨ .

الرسالي المصيري الحاكم؟ وكيف تأخر عنه؟

والأهم من ذلك ، لماذا كانت السماء مصرة على استنجاز ذلك في الوقت المحدد له ؟ وما معنى طمأنة الله سبحانه للنبي ﷺ بقوله : والله يعصمك من الناس ؟ ألا يعني ذلك أن الخطر كان بدرجة بالغة بحيث لم يكن النبي ﷺ قادراً بنفسه على تجاوزه ، إلا أن يعضمه الله منه ؟ أي خطر هذا ؟ ومن أي نوع يكون ؟

إن هذه الاستفهامات تحكي خصائص وأبعاد خطر واحد لم تكن التجربة النبوية مهددة بأكبر منه ، وهو العصبية القرشية .

إن العصبية هي الخطر الكبير الذي تحدى النبوات السابقة وتغلّبت عليه نبوة الاسلام ، لكنه بعد وفاة الرسول عاد وتغلّبت على واقع الأمة واختط لها خط الخلافة القبلية المتعصبة الذي ساد في التاريخ الاسلامي عبر حلقاته الاموية والعباسية ، فلم يجد خط الامامة الشرعية العلوية الأصلية بدءاً من التركيز على حفظ الرسالة وتزويد الأمة بما تحتاج إليه من العلم والوعي وروح الفضيلة التي تمثل جوهر الحضارة الاسلامية . لقد أستطاع الرسول الكريم ﷺ أن يتغلّب على محور المجتمع الجاهلي المتمثل بالعصبية ، ولكن وليس بوسعنا أن نتوقع منه أن يجتث هذا المحور من جذوره ، لأن هذا الهدف يتطلب زمناً طويلاً ومروءة أجيال عديدة ، ولذا أستطاع هذا المحور من معاودة الظهور من جديد قبيل وفاة الرسول ﷺ ، فأسفرت عنه مكامن النفوس وكشفته مخابئ اللاشعور . فالنبوات الكاذبة وحركات الردّة ، والمؤامرة القرشية على الامام علي عليه السلام مظاهر ثلاثة لعصبية قبلية متوردة ارادت الانتصار لنفسها ، فنجد بعض القبائل العربية ترتد عن الاسلام قبيل وفاته ﷺ ويدعي النبوة عدد من الأشخاص المنتمين لقبائل من غير قريش وأبرزهم مسيلمة الذي

طالب بأن تكون نصف الأرض لقومه بني حنيفة ، والنصف الآخر لقريش ، والتف حوله أربعون ألفاً لا شيء سوى شعورهم القبلي الخائب ازاء ما اعتبروه مجداً قبلياً لقريش التي تزعمت الاسلام نبوة وخلافة . فالمسألة ليست مسألة الاسلام وإنما هي بنظر هؤلاء مسألة الزعامة القرشية للعرب والجزيرة .

وقد صرح بعض اتباع مسيلمة الكذاب قائلين : «نشهد أن مسيلمة كذاب وأن محمداً صادق ولكن كذاب حنيفة أحب إلينا من صادق مضر»^(١). إلا أن عصبية المرتدين لم تكن هي الخطر الكبير على الاسلام بقدر ما كانت العصبية القرشية هي الخطر الكبير ، لأنها هي التي قرّرت تنحية الامام علي عليه السلام عن الخلافة وتنصيب غيره خليفة للمسلمين وأثارت بذلك فتنة الامامة والخلافة التي اشعلت نيران حروب وثورات ، وتم في ضوئها تأسيس نظام الخلافة وأرساء دعائم مذاهب ومدارس كلامية وفقهية ، ولنستمع إلى التأريخ وهو يحدثنا عن حيثة هذين القرارين ودور العصبية في صدورهما :

دور العصبية في تنحية الامام علي عليه السلام

وهنا شواهد تاريخية كثيرة فلنطالعها معاً . فقد ورد أن عمر بن الخطاب سأل عبدالله بن العباس : أتدري ما منع منكم بعد محمد ؟ فأجابه ابن عباس : إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يدريني . فردّ عمر بن الخطاب بقوله : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً فاختارت قريش لنفسها^(٢) . فالمسألة مسألة التعصب القرشي ضد

(١) الدولة العربية الاسلامية : ٦٥ .

(٢) السقيفة : ٨٦ - ٨٧ نقلاً عن الطبري ٣١ : ٥ وابن الأثير ٣١ : ٣ وشرح النهج ٢ : ١٨ .

بني هاشم فحسب .

وقد صرّح عمر بن الخطاب في حوار جرى له مع عبدالله بن عباس بأن النبي ﷺ كان يبالغ في تأييده لعليّ بن أبي طالب ولا يُربع في أمره وقتاً ما ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعته من ذلك»^(١).

وقال عثمان بن عفان يوماً للامام عليّ ﷺ «ما أصنع إن كانت قريش لا تحبكم وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين رجلاً كأنّ وجوههم شنوف الذهب تصرع أنا فمهم قبل شفاهم»^(٢).

وقال له مرة أخرى مفصّحاً عن عصبية مدبرة «والله لا تصل إليك ولا إلى أحد من ولدك»^(٣).

ويروي اليعقوبي حواراً طويلاً دار بين عبدالله بن عباس وعمر بن الخطاب في أيام خلافته كان في نهايته أن قال عمر لابن عباس : والله يابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها ولكنّ قريشاً لا تحتمله ، ولئن وليهم ليأخذتهم بمزّ الحق .

وقد روي عن الامام السجاد ﷺ أنه سُئل : ما بال قريش لا تحب علياً ؟ فأجابهُ ﷺ : «لأنه اورد أولهم النار والزم آخرهم العار»^(٤) ، وأيد الامام الكاظم ﷺ هذا الجواب^(٥).

وورد في الاحتجاج عن سليم بن قيس أن الامام عليّاً دخل مسجد الرسول ﷺ في أيام خلافة عثمان فوجد فيه جماعة من الأنصار والمهاجرين ، فأخذ يناشدهم ويحتجّ عليهم بما يدلّ على أحقيّته

(١) شرح النهج ٤١ : ٣ .

(٢) حياة الامام الحسين ١ : ٢٣٥ نقلاً عن شرح النهج ٩ : ٢٢ .

(٣) شرح النهج ١ : ٣٣٩ .

(٤) م . ن ، نقلاً عن معجم ابن الأعرابي ٤ : ١٦ .

(٥) علل الشرائع ١ : ١٤٠ .

بالخلافة، وكان بعضهم يصدّق ما يقوله والبعض الآخر يسكت ، فقال للساكتين : ما لكم سكتن ؟ فقال طلحة بن عبد الله - وكان يقال له داهية قریش - : فكيف نصنع بما ادعى أبو بكر وأصحابه الذين صدّقوا وشهدوا على مقالته يوم أتود بك بعقل وفي عنقك بحبل فقالوا لك : بايع فاحتجبت بما احتجبت به ، فصدّقوك جميعاً ، ثم ادعى انه سمع رسول الله ﷺ يقول : أبى الله أن يجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة ، فصدّقه بذلك عمر وأبو عبيدة وسالم ومعاذ ، ثم قال طلحة : كل الذي قلت وادعيت واحتجبت به من السابقة والفضل حق نقرّ به ونعرفه ، وأما الخلافة فقد شهد أولئك الأربعة بما سمعت ، فقام علي عند ذلك وغضب من مقالته فأخرج شيئاً قد كان يكتمه وأقبل على طلحة والناس يسمعون فقال : «والله يا طلحة ما صحيفة ألقى الله بها يوم القيامة أحب إلي من صحيفة الأربعة الذين تعاهدوا على الوفاء بها في الكعبة : إن قتل الله محمداً أو توفاه أن يتوازروا دون علي ويتظاهروا فلا تصل إلي الخلافة...» (١) .

وفي الاحتجاج أيضاً أنه لما جيء بالامام علي عليه السلام إلى أبي بكر ومن حوله للمبايعة أخذ الامام يستشهدهم على حقه حتّى قال : «لشّما وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاهدتم عليها في الكعبة : إن قتل الله محمداً أو أماته أن تزروا هذا الأمر عنا أهل البيت» (٢) .

وفي خبر عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : «بلغ رسول الله ﷺ عن قوم من قریش أنهم قالوا : أيرى محمد أنه قد احكم الأمر في أهل بيته ، ولئن مات لنعزلنّها عنهم ولنجعلها في سواهم ، فخرج رسول الله ﷺ حتّى قام في جمعهم ثم قال : يا معشر قریش كيف بكم وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم

(١) الاحتجاج ١ : ٢١٨ ، انظر كذلك : بحار الأنوار ج ٣٦ باب ٣٩ رواية ١٣٦ .

(٢) الاحتجاج ١ : ١١٠ .

ورقابكم بالسيف»^(١).

وورد في تفسير آية ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعَ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أنها نزلت في الحرث بن النعمان الفهري أنه قدم المدينة بعد واقعة الغدير وأناخ راحلته عند باب المسجد فدخل والنبي ﷺ جالس وحوله أصحابه فجاء حتى جثا بين يديه ثم قال : يا محمد أنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت لرسول الله فقبلنا ذلك منك وأنت أمرتنا أن نصلي في اليوم واللييلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكي أموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء من الله أو منك ؟ فأحمرت عينا رسول الله ﷺ وقال : والله الذي لا إله إلا هو انه من الله وليس مني قالها ثلاثاً ، فقام الحرث وهو يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، وفي رواية : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأرسل علينا بحجارة من السماء أو أئتنا بعذاب اليم فو الله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوق علي رأسه وخرج من دبره فمات وأنزل الله تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعَ...﴾^(٢).

ولذا تجد خطب الامام علي عليه السلام وكتبه مليئة بالشكوى والتبرم من العصبية القرشية التي حرّفت مسيرة الخلافة والامامة . فقال ذات مرّة : «اللهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم فانهم اقطعوا رحمي وصغّروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي أمراً هو لي»^(٣) ، وقال في كتاب إلى أخيه عقيل : «... فدع عنك قريشاً وتركا ضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماعهم في التية ، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي ، فجزت قريشاً

(١) أمالي المفيد : ١١٢ .

(٢) السيرة الحلبية ٢٧٥:٣ ، انظر مصادر هذه الحادثة في المراجعات للسيد شرف الدين ملحق الهوامش التحقيقية للشيخ حسين الراضي . الهامش ٩١ طبع المجمع العالمي لأهل البيت .

(٣) نهج البلاغة : ٢٤٦ ، ٢٣٦ .

عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي»^(١).

وقال في أحد كتبه إلى أهل مصر : «... فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه عني من بعده ، فما راعني إلا انشغال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام ...»^(٢) وقال أيضاً : «مالي ولقريش ، والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين ، واني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم ، والله ما تنقم منا قریش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا»^(٣).

وهكذا فالعصبية القرشية الموتورة التي فقدت موقعها المركزي والمحوري الذي كانت تتمتع به في أيام جاهليتها عادت تلملم أطرافها وتعلق جراحها وتهيء نفسها لمحورية جديدة تمررها تحت غطاء الاسلام . فتنقم من واريها وتصادر الاسلام في محتواه الاجتماعي والأخلاقي ولا تبقي منه سوى ما تتلفع به من الشكل والمظهر الخارجي حتى : «رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم انصر الاسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم».

إن العصبية التي حاربها الإمام علي عليه السلام يوم كانت تدفع بقریش نحو الشرك أخذت تنتقم لنفسها من الامام والرسول ﷺ باسم الإسلام وتحت غطاءه وتدفع بقریش نحو تحريف مسيرة الإسلام ومصادرة مضمونه الحقيقي ، حتى انتهى الأمر بالامام إلى ان يخشى من أنتكاس حركة الإسلام ، وهكذا فالمعركة دائماً هي معركة الإسلام والعصبية في مرحلتي النبوة والإمامة معاً^(٤).

(١) م. ن : ٤٠٩ .

(٢) م. ن : ٤٥١ .

(٣) م. ن : ٧٧ .

(٤) تناول السيد عبدالحسين شرف الدين في المراجعات، المراجعة رقم ٨٤ الأسباب التي دعت

دور العصبية في سقيفة بني ساعدة

التأريخ ينطوي على شواهد تاريخية كثيرة تؤكد لنا أن للعصبية دوراً بارزاً لا جدال فيه في ما حصل في سقيفة بني ساعدة فلنستمع الى المؤرخين وهم يحدثوننا عن الكيفية التي جرت بها الأمور وتمخضت عن تعيين الخليفة الأول .

فقد ذكر المؤرخون ان أوّل مبادرة ظهرت بعد وفاة رسول الله ﷺ هي مبادرة الأنصار حينما اجتمعوا وتداولوا في الامر ، فقال زعيمهم سعد بن عباد : «يا معشر الأنصار ان لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ، ان رسول الله ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة ... فما آمن به من قومه الا قليل ، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسوله الله ﷺ ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن أنفسهم حتى أراد الله لكم الفضيلة ... فشدّوا أيديكم بهذا الامر ، فأنكم احق الناس وأولاهم به» .

وهذه المبادرة تكشف عن عصبية الأنصار وخوفهم من قريش ورغبتهم في الاستئثار بالسلطة ، على أساس ان الاسلام ما اشدت إلّا بسيوف الأنصار . فلما وصل الخبر الى المهاجرين وعلى رأسهم أبو بكر ، فزع اشد الفزع وخرج مسرعاً ومعه عمر بن الخطاب ولقيا في الطريق ابا عبيدة بن الجراح وأنطلقوا جميعاً نحو سقيفة بني ساعدة التي كانت محل اجتماع الأنصار ومؤتمرهم . وما ان وصلوا حتى خطب أبو بكر قائلاً : « ..كنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاماً ، والناس لنا فيه تبع» يعني ان الأنصار تبعونا على هذا الامر الذي نحن زعماءه وهذا الملك الاول ، «ونحن عشيرة رسول الله ﷺ» !! وهذا الملك الثاني ؟؟

الصحابة إلى تنحية الامام (ع) ومخالفة نص النبي (ص) الصريح عليه باسلوب تحليلي شيق.

«ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة» وهذا هو الملاك الثالث؟؟

فقال الأنصار «والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم ... ولكن نشفق مما بعد اليوم ، ونحذر ان يغلب على هذا الامر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلاً منا ورجلاً منكم» يقصدون الطلقاء من قريش الذين لا زالوا يضمرون الاحقاد في نفوسهم على واتريهم من المهاجرين والأنصار ، فقام عمر بن الخطاب مفصلاً عن عصبية قرشية جامحة قائلاً : «هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، وانه والله لا ترضى العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي ان تولي هذا العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي ان تولي هذا الامر الا من كانت النبوة فيهم ، واولوا الامر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته»^(١).

وكلام عمر هذا يناقض ما ادعاه سابقاً من أن الرسول ﷺ قال : ابني الله ان يجمع لنا اهل البيت النبوة والخلافة ، فكيف يجتمعان في قبيلة واحدة ولا يجتمعان في بيت واحد؟ والصحيح ان عصبية قريش الموتورة من النبي وعلي ﷺ هي التي كرهت ذلك لأهل البيت كما في محاوراة عمر مع عبدالله بن عباس الآنفه ، وهي التي كرهت أن يتمتع الأنصار بشيء من الأمر .

وكان مما قاله ابو بكر في السقيفة «انّ هذا الامر اذا تولته الخزرج أثار أحقاد الاوس ، واذا تولته الاوس عضبت عليهم الخزرج»^(٢) ، فأوغر بذلك صدور الطرفين ، وذكّرهم بالمنافسة التي كانوا عليها قبل الاسلام ، فقام

(١) الامامة والسياسة ١ : ٥٠ - ٨٠ .

(٢) حياة الامام الحسين ١ : ٢٤٥ .

بشير بن سعد الخزرجي ناقضاً عهد الأنصار مع سعد بن عبادَةَ قائلاً: «ان محمد ﷺ رجل من قريش وقومه احق بميراثه وتولي سلطانه»^(١)، فانخذل بذلك زعيم الانصار، ثم قام ابو بكر فرشح للخلافة عمراً وابا عبيدة بن الجراح، فردّ عليه عمر الترشيح قائلاً: انت أحقنا بهذا الامر ... ابسط يدك ابايعك . فلما ذهب ابايعانه سبقهما اليه بشير الخزرجي فناده الحباب بن المنذر وهو من زعماء الانصار: يا بشير بن سعد عَقَّكَ عَقَاق ما اضطرك الى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الأماره ؟ فلما رأت الاوس ذلك قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن خضير: لئن وليتموها سعداً عليكم مرّة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة، ولا جعلوا لكم نصيباً فيها ابداً فقوموا فبايعوا أبا بكر^(٢) ؟

فالمسألة مسألة أوس وخزرج، ثم في دائرة أوسع مسألة قريش والأنصار، وهذا المعنى تجمع عليه كل المصادر التاريخية، وتجمع ايضاً على أنّ الغلبة كانت لقريش التي وترتها النبوة فانتصرت لنفسها بالخلافة، وحاربت بلا هوادة من أجل ان لا تكون الخلافة في علي عليه السلام، لأن ذلك سيعني انقراض عصبية قريش وبلوغ الاسلام مداه الاخلاقي والاجتماعي والسياسي الاخير، فحاربت الامام علياً عليه السلام وجاءت بأبي بكر، من أجل ان يبقى الاسلام شعاراً لقريش وعلماً لعصبيتها، وهذا ما ستوكده الحقائق الاتية.

دور العصبية في عهد الخليفة الثاني

خرجت قريش من تجربة السقيفة وهي ترى نفسها صاحبة الحق الطبيعي في الحكم، والممثل الوحيد للاسلام والمسلمين، وكانت تلك

(١) الامامة والسياسة ١: ٨.

(٢) م. ن. ٩٠.

المرقاة الاولى في هذا الإتجاه ، وقد أُرِدَ فيها الخليفة الثاني في ايام خلافته بخطوة جديدة ، فبعد ما تم حصر الشرعية والسيادة بقريش مُنحت في عهد هذه الخلافة الامتيازات الاقتصادية وجُعِلت أعلى طبقة اقتصادية ، وذلك حينما فُضِّل في العطاء السيّد على المولى والعرب على العجم ، والمهاجرين على الأنصار ، والمهاجرين من قريش على من سواهم ، والسابقين من المهاجرين القرشيين على اللاحقين بهم ، وفي دائرة الأنصار فضِّل الأوس على الخزرج وفي دائرة العرب فضِّل مضر على ربيعة^(١).

ومن الطبيعي أن يفرز هذا المبدأ الغريب عصبية قبلية وقومية متهيجة تعود بالمجتمع إلى ما كان عليه في جاهليته ، ويُرسى دعائم صراعات داخلية مستفحلة ومتعددة الجبهات حتى قال ابن شاذان في ذلك : «... فلم تزل العصبية ثابتة في الناس منذ ذلك إلى يومنا هذا»^(٢) وقد التفت الخليفة الثاني الى هذه النتيجة فخاطب بعض جلسائه يوماً : «بلغني انكم تتخذون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقال : من صحابة فلان من جلساء فلان ، حتى تحرميت المجالس ، وأيم الله أن هذا لسريع في دينكم سريع في شرفكم سريع في ذات بينكم ، ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول : هذا رأي فلان قد قسّموا الاسلام أقساماً»^(٣).

وأعلن في أواخر حياته أنه كان قد تألف الناس بتفضيل بعضهم على بعض وانه ان عاش هذه السنة من حياته يساوي بينهم فلا يفضّل عربياً على أعجمي ولا أحمر على أسود ، ويصنع ما صنع الرسول ﷺ وأبو بكر^(٤) ، غير أن العصبية لم تكن أمراً قابلاً للتغير في شخصية كشخصية

(١) ثورة الحسين : ٢٨ ، نقلاً عن شرح نهج البلاغة ٨ : ١١١ : تاريخ اليعقوبي ١٠٦ : ٢ .

(٢) سلمان الفارسي في مواجهة التحدي : ١٢٢ نقلاً عن الايضاح : ٢٥٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٢٥٠ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٠٧ : فتوح البلدان : ٤٣٧ .

عمر . فلقد عُرفت سيرته السياسية اضافة إلى تفضيل قریش ، بالتعصب للعرب والتعصب ضد غيرهم أيضاً .

فمن تعصبه للعرب انه كان يخصّ عبيدهم بالعق ، ويكره سبيهم ، ومن كلماته المأثورة «ليس على عربي ملك»^(١) .

ومن تعصبه ضد الأعاجم والموالي انه منع العجم من دخول المدينة . ورفع القود عن العربي إذا ثبتت عليه دية لغير العربي ، وأوصى العربي إذا احتاج أن يبيع جاره النبطي . وأجرى تعصبه هذا في نساء النبي ﷺ ، فقد أعطى جويرية نصف ما أعطى لعائشة قاتلاً : لا أجعل سبيّة كابنة أبي بكر الصديق .

كما نهى تزويج العجم من العربيات قاتلاً : «لا منعنّ فزوجهن إلا من الأكفاء» وحاول استئصال الموالي في البصرة إلا انه لم يفلح في ذلك ، وأبى أن يورث أحداً من الأعاجم إلا من ولد في العرب^(٢) ، وفسّر آية ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ بأنها خاصة بالعرب مستدلاً على ذلك بأن الموالي لم تعرف لهم شعوب وقبائل^(٣) ، بما يعني أن المساواة أمر منحصر بالدائرة العربية فتندم خارجها ، فلا مساواة بين العرب والموالي .

دور العصبية في عهد الخليفة الثالث

وفي زمن الخليفة الثالث أشتدت العصبية وظهر استفحاليها أكثر من ذي قبل ، ولما كانت هي الملاك والأساس في الخلافة ، فمن الطبيعي أن تصل الخلافة إلى العصبية القوية الغالبة المتجبرة ، وهم بنو أمية ، وقد

(١) سلمان الفارسي في مواجهة التحدي: ١٢٨ - ١٢٩ نقلاً عن مصادر كثيرة ذكرها في الهامش.

(٢) م . ن : ١٣١ - ١٤٢ نقلاً عن مصادر كثيرة متنوعة ذكرها في الهامش.

(٣) الدر المنثور ٦ : ٩٨ .

تجسّد هذا المعنى في محادثات الشورى إذ كان هوى قريش في عثمان ، حيث هتف عبدالله بن أبي سرح الأموي أخو عثمان من الرضاعة قائلاً : «إن أردتم أن لا تختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان» .

فردّ عليه عمار بن ياسر : «إن أردتم ألا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا علياً» وقال عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي : «إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا واطعنا وإن بايعتم علياً سمعنا وعصينا» ، فقال له المقداد : «يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون» ، فقال له عبدالله : «يا ابن الحليف العسيف ومتى كان مثلك يجتريء على الدخول في أمر قريش»^(١) .

وفي أثناء المفاوضات عرض عبدالرحمن بن عوف على الامام علي عليه السلام أن يبايعه على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين . فردّ عليه الامام : «بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي» . فما هو المقصود من سيرة الشيخين ؟ فإن أبرز عنصر في سيرة الشيخين هو حصر الامتيازات السياسية والاقتصادية بيد قريش وتفضيلها على سائر المسلمين ، وهو العنصر الوحيد الذي تخشى قريش ضياعه على يد علي عليه السلام فأرادت أن تضمنه من خلال هذا الشرط الذي رفضه الامام ليؤكد بأنه لا يمكنه المساومة على مبدأ من مبادئ الاسلام ، والعالمية من أعظم مبادئ الاسلام وأشدّها التصاقاً بروحه التوحيدية والأخلاقية . إنه منطق مشابه تماماً لمنطق السقيفة القبلي المتعصب الذي أمتحت به الإمامة العلوية ، فالمسألة مسألة قريش وقضيتها ، والحكم حكمهم ، ولا شأن لاحد فيه ، وكان رأي قريش مع عثمان ، وقد ورد ان عمر بن الخطاب لما عيّن الشورى بأفرادها الستة اخذ يسأل الناس ويستطلع

آراءهم ، وكان يقول : ما سألت قرشياً إلا وقال : عثمان ، ما سألت عربياً - يعني من غير قريش - إلا وقال : علي ، وقد فسّر الامام علي عليه السلام هذه الحالة بقوله : « ان الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر في صلاح شأنها فتقول ان ولي الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش»^(١). والسبب هو ان أمية هي أقوى العصبية القرشية آنذاك ، وقد كان أبو سفيان يرى من خلال مقياسه القبلي المتعصب ان خلافة أبي بكر غير صحيحة ، لذا خرج وهو يقول : « اني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ؟ أين الاذنان علي والعباس ؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ؟ » ، ثم قال لعلي « ابسط يدك أبايعك فو الله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً » فأبى علي عليه السلام وقال : « والله إنك ما اردت إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً »^(٢) ولولا كونه من مسلمة الفتح ، وائمة الكفر الذين ما رُفعت راية ضد رسول الله قبل فتح مكة إلا وكان أبو سفيان صاحبها ، وان خط الخلافة التعصبية يترسم خطاه الانحرافية الأولى لتمكّن من أن يكون الخليفة الأول ، لأن ذلك من مقتضيات المنطق القبلي الذي بنيت الخلافة عليه .

وبعد ما تم انتخاب عثمان خليفة : أقبل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ثم اغلقوها فقال أبو سفيان : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا ، قال : يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة . وفي رواية أخرى انه قال : فانما هو الملك^(٣) ، ثم أقبل نحو قبر الحمزة عم الرسول فركله برجله ثم

(١) شرح النهج ١ : ١٩٤ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٦ : انظر كذلك : النزاع والتخاصم : ٥٥ .

(٣) شرح النهج ٩ : ٥٣ : انظر كذلك : النزاع والتخاصم : ٥٦ ؛ مروج الذهب ٢ : ٤٤٣ : الغدير ٨ : ٢٧٨ نقلاً عن مصادر أخرى .

قال : يا حمزة ان الأمر الذي كنت تقاثلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من تميم وعدي^(١)، يعني أبا بكر وعمر بن الخطاب .

وقد انعكست هذه العصبية المتهيجة على سياسية عثمان حيث خص قرابته وذويه بالولايات والمناصب والأموال ؛ مبرراً ذلك بصلة الرحم ، تارة وبتحريف سيرة رسول الله ﷺ تارة أخرى ، فذات مرة دعا عثمان جماعة من الصحابة فيهم عمار بن ياسر فقال : «اني سائلكم وان أحب ان تصدقوني ، نشدكم الله أتعلمون ان رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش ؟ فسكت القوم ، فقال عثمان لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيته بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم»^(٢) وقد قال يوماً : «لنأخذن حاجتنا من هذا الفئ وان رغمت انوف أقوام» ومن الطبيعي ان تسري هذه الروح وتتجسد بدرجة أكبر في ولاته ، فيجد سعيد بن العاص واليه على الكوفة يعتبر العراق «بستان قريش ما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركناه» فاعترضه المسلمون من غير قريش فردّ عليهم بالنفي إلى الشام ، وهناك ناظرهم معاوية وحاول ان يثبت لهم فضل قريش على سائر المسلمين ، ولكنهم انكروا ذلك فنفاهم إلى الجزيرة حيث عاملهم أميرها عبد الله بن خالد بن الوليد المخزومي بالاذلال والاحتقار ، وعلى هذا النهج سار بقية ولاة عثمان ، والأمر أشهر من ان يستشهد له ويستدل عليه بأرقام وشواهد تاريخية . فقد اطبق المؤرخون على عصبية الخليفة الثالث لبني أمية ، واستثنى بني أمية في عهده بالأموال والمناصب حتى بلغت أملاكهم أرقاماً قياسية بالنسبة إلى ذلك الزمان^(٣) .

(١) النزاع والتخاصم : ٨٤ .

(٢) الغدير ، ٨ : ٢٩١ نقلاً عن مسند أحمد ١ : ٦٢ .

(٣) انظر : ثورة الحسين : ٣٨ ، وكذلك حياة الامام الحسين ١ : ٣٥٤ - ٣٦٣ .

مسألة تغيير العملة الورقية وأثرها على الأموال الموجلة

✽ الشيخ محمد علي التفسيري

١ - توضيح المسألة وحقيقة الإشكال فيها

بعد أن حلّت الأوراق النقدية محل النقد الخلفي (الذي له قيمته الذاتية كالذهب والفضة) وطرأت عوامل التضخم وتقلب الأسعار الحاد ، الذي يؤثر تأثيراً كبيراً على القوة الشرائية لهذه الأوراق مما يؤدي إلى قلّة سعرها أمام المنافع والسلع والخدمات المقدمة ، جاءت هذه المشكلة وخصوصاً في مجال الديون . كما تطلب الحديث عنها في مجالات أخرى كوجوب الزكاة وأحكام الصرف وأحكام الضمان وغير ذلك . وسنركز على خصوص الديون .

وحقيقة الاشكال تكمن في بحثنا هذا في مقتضيات أمرين متخالفين :
الأول - مثلية هذه الأوراق ، والمثلي هو ما تملك أحاده بحيث يقوم بعضها مقام بعض ويشمل الميكالات والموزونات والمعدودات . وفي

قبالة القيمي كالحيوان والعروض والعقار والأوراق النقدية من المثليات لا القميات وعليه فإذا اقترض ورقة نقدية أو إذا غصبها عليه رد مثلها لا غير .

الثاني - العدالة : فكثيراً ما يقرض المرء مبلغاً من المال رفقاً به فإذا حلّ أجل الوفاء وجد المقرض هذا المبلغ أقل بكثير مما دفعه من حيث قدرته الشرائية .. ويأتي هذا في الديون والمهور حيث يطرأ عليها التغيير الفاحش مما يكون له آثار فاحشة على المستويات الدولية والفردية ويحقق شبهة الظلم ونقض العدالة بلا ريب .

وكل ما طرح من حلول يحاول رفع هذا التناقض ، أما من خلال التركيز على قيمة الأوراق المالية المتبادلة باعتبارها لا تملك أية قيمة استعمالية في نفسها . في حين تملك الأشياء الأخرى وحتى النقود الذهب والفضة بل وحتى الفلوس النافقة (التي كانت تقوم مقام النقدين في الأشياء الصغيرة فكانت قيمتها التبادلية أعلى من قيمتها الاستعمالية) قيمة استعمالية مما يحقق لها نوعاً من المثلية ، أما هذه الأوراق فهي بطبيعتها قيمية خصوصاً بعد أن تم فصلها تماماً عن الغطاء الذهبي وعادت أموالاً عرفية^(١) . أو من خلال التأكيد على أن مقتضيات العدالة رغم أنها المعتمدة في نظام المعاملات بعد تقرير القرآن الكريم لها بقوله تعالى : ﴿ فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾^(٢) إلا أن هذه الموارد ترتبط بالجوائح والحوادث الحاصلة للأموال بعد ثبوتها . وأن

(١) لا مجال للحديث عن التطور النقدي وعلاقة الأوراق النقدية بالذهب والفضة وإنما الذي استقر عليه الوضع الحالي هو انفصال النظم النقدية تماماً عن الذهب والفضة وأمثالها وتحول الأوراق النقدية إلى وضع يشبه السلع التي تخضع لمستوى العرض والطلب ، والسلع قيمة بلا ريب .

(٢) البقرة : ٢٧٨ .

العدالة إذا كانت تقتضي هنا جبر الخسارة فإنها تقتضي حفظ النظام وعدم الاخلال به أيضاً . فإذا ركّزنا على قيمة النقد اختل النظام العام للديون وحدثت مضاعفات أخرى لا يمكن جبرها كما نرى فيما بعد .

٢ - المثلّي والقيمي وضمانهما لدى الفقهاء

لكي نقف على رأي بعض الفقهاء في الدين نطرح بعض النصوص :

١ - ذكر المرحوم الشيخ ابن زهرة في الغنية :

«وإن كان للدين مثل بأن يكون مكيلاً أو موزوناً فقضاؤه بمثله لا بقيمته بدليل الإجماع المتكرر ، ولأنه إذا قضاها بمثله برئت ذمته بيقين ، وليس كذلك إذا قضاها بقيمته ، إذا كان مما لا مثل له كالثياب والحيوان ، وقضائه برده بقيمته»^(١) .

وقال أيضاً : «من غصب شيئاً له مثل وهو ما تساوت قيمة أجزائه كالحبوب والأدهان وما أشبه ذلك ؛ وجب عليه ردّه بعينه فإن تلف فعليه مثله بدليل قوله تعالى : ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾^(٢) . ولأن المثل يعرف مشاهدةً والقيمة يرجع إلى الاجتهاد ، والمعلوم مقدم على المجتهد فيه ، ولأنه إذا أخذ المثل أخذ وفق حقه وإذا أخذ القيمة ربما زاد ذلك أو نقص ، فإن أعوز المثل أخذت القيمة»^(٣) .

ونلاحظ هنا تركيز المرحوم ابن زهرة على ما يلي :

أ - تعريف المثلّي بأنه ما كان مكيلاً أو موزوناً (في كتاب الدين) و(ما تساوت قيمة أجزائه) في كتاب الغصب والتعريف الثاني أدق وإن كانا لا يختلفان في النتيجة .

(١) الغنية المطبوعة في الجوامع الفقهية ٥٢٩ والينابيع الفقهية ٢٧ .

(٢) البقرة : ١٩٤ .

(٣) الغنية المطبوعة في الجوامع الفقهية : ٥٣٧ .

ب - الاستدلال على ضمان دفع المثلي ، فيرده إلى الاجماع المتكرر وإلى اليقين بالخروج من العهدة ، وأن ردّ المثلي محسوس أما القيمة فهي اجتهادية ويقدم المعلوم المحسوس على الاجتهاد ، وأن أخذ المثلي هو أخذ وفق الحق دون القيمي فقد يزيد وقد ينقص .

فهو إذن هنا يحاول التركيز على مقتضى الحق والعدالة . وهو ما نلاحظه بوضوح في استدلاله في كتاب الغصب بمضمون الآية الشريفة ﴿ فمن اعتدى عليكم ﴾ .

٢ - يذكر المحقق الحلي في شرائع الاسلام في بحث القرض ما يلي : « وكل ما يتساوى أجزاؤه ، يثبت في الذمة كالحنطة والشعير والذهب والفضة ، وما ليس كذلك يثبت في الذمة قيمته وقت التسليم ولو قيل يثبت مثله أيضاً كان حسناً » .

وفي كتاب الغصب يقول :

« فإن تلف المغصوب ضمنه الغاصب بمثله إن كان مثلياً - وهو ما يتساوى قيمة أجزائه - فإن تعذر المثل ضمن قيمته يوم الاقباض لا يوم الاعواز ... وإن لم يكن مثلياً ضمن قيمته يوم غصبه وهو اختيار الأكثر ... والذهب والفضة يضمنان بمثلهما وقال الشيخ (يعني الشيخ الطوسي) : يضمنان بنقد البلد كما لو أتلف ما لا مثل له » ^(١) .

ويلاحظ هنا أيضاً :

أ - تعريفه للمثلي بأنه ما تساوت قيمة أجزائه .

ب - أن الأقرب إلى الحق والعدل ضمان المثل فإن تعذر ذلك ضمن القيمة يوم الاقباض وإن كان قيمياً ضمن القيمة يوم الاعواز .

ج - أن الذهب والفضة من المثليات لأنها تتساوى أجزاؤها فلا فرق بين هذا الجزء وذلك الجزء .

(١) شرائع الاسلام للمحقق الحلي ٢: ٦٨ و ٣: ٢٣٩ - ٢٤٠ ، طبعة مطبعة الآداب - النجف ١٣٨٩ .

٣- يذكر الشهيد الثاني في المسالك ، أنه :

«إذا تلف المغصوب ضمنه الغاصب لا محالة ، ثم لا يخلو إما أن يكون مثلياً أو قيمياً فإن كان مثلياً ضمنه بمثله لأنه أقرب إلى التالف»^(١) ويختار بعد هذا تعريف الشهيد الأول في (الدروس) وهو (المتساوي الأجزاء والمنفعة المتقاربة الصفات) .

أما في كتاب القرض فيقول بالنسبة للقيمي :

الكلام هنا في موضعين : أحدهما أن الواجب في عوض القيمي - وهو ما يختلف أجزاؤه في القيمة والمنفعة كالحيوان - ما هو ؟ أقوال : أحدهما : - وهو المشهور - قيمته مطلقاً لعدم تساوي جزئياته واختلاف صفاته فالقيمة فيه أعدل وهو قول الأكثر .

وثانيهما : ما مال إليه (المصنف) هنا ولعلّه افترض به إلا أنه لا قائل به من أصحابنا ... وهو ضمانه بالمثل مطلقاً لأن المثل أقرب إلى الحقيقة وقد روي أن النبي ﷺ أخذ قصعة امرأة كسرت قصعة أخرى ، وحكّم بضمان عائشة إزاء حفصة وطعامها لما كسرت وذهب الطعام بمثلها^(٢) . ونلاحظ هنا أيضاً السعي لتحقيق العدالة عند الفتوى معبراً عن ذلك تارة بأنه أقرب إلى التالف ، وأن هذا أعدل ، أو أنه أقرب إلى الحقيقة . كما نجده هنا أضاف في تعريف المثلي تقارب المنافع في الصفات إلى تساوي الأجزاء .

٤- يقول العلامة الحلي :

«ويصح قرض كل ما يضبط وصفه ، فإن كان مثلياً يثبت ومثله كالذهب والفضة وزناً والحنطة والشعير كياً ووزناً والخبز وزناً وعدداً للعرف ، وغير المثلي تثبت قيمته وقت القرض لا وقت المطالبة»^(٣) .

(١) مسالك الافهام ٢: ٢٥٩ الطبعة الحجرية .

(٢) مسالك الافهام ١: ٢٢٠ .

(٣) قواعد الأحكام ١: ١٥٦ ، مطبعة الرضي - قم - إيران .

٥- يقول السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض في الغصب :

«وضمن الغاصب مثله إن كان المغصوب مثلياً بلا خلاف لأنه أقرب إلى التالف»^(١) ثم يذكر بعض التعاريف للمثلي والقيمي ويعقب عليها بقوله : «ولا يذهب عليك عدم ظهور حجة لهذه التعريفات ، عدا العرف واللغة وهما بعد تسليم دلالتهما على تعيين معنى المثلي المطلق وترجيحهما أحد الآراء لا دلالة لهما إذ هما فرع تعليق الحكم بلفظ (المثل) في دليل وليس بموجود عدا قوله تعالى : ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾^(٢) وفيه نظر لاحتمال كون المراد بالمثل فيه ، أصل الاعتداء ، لا مثل المعتدى فيه الذي هو ما نحن فيه (فتأمل) هذا مع أنه لم يظهر حجة على أصل اعتبار المثل في المثلي والقيمة في القيمي ، عدا الاجماع والاعتبار ، وليس فيهما ما يرجح أحد التعريفات»^(٣).

ويقول في كتاب القرض فيما إذا اقترض المقرض السلعة القيمة فهل عليه ارجاع قيمتها أو مثلها ؟

(فالقيمة أعدل ، وقيل بل يثبت مثله أيضاً لأنه أقرب إلى الحقيقة)^(٤).

وهكذا يبدو أنه لا يوجد اتفاق على تعريف واحد للمثلي والقيمي ، وأن هذين المصطلحين لم يردا في نص شرعي وما جاء في الآية قد لا يراد به (المثل) الفقهي ، وإن الدليل هو الاجماع والاعتبار العقلي ، وهو ينتهي بالتالي إلى اعتبار (الأقربية إلى الواقع والحقيقة والعدل).

٦- أما صاحب الجواهر (الشيخ النجفي) فهو يؤكد ما قاله المحقق

(١) رياض المسائل ٢ : ٣٠٣ - مؤسسة أهل البيت (ع).

(٢) البقرة : ١٩٤ .

(٣) رياض المسائل ٢ : ٣٠٣ .

(٤) رياض المسائل ١ : ٥٧٧ .

الحلّي من أن كل (كل ما تساوى أجزاؤه يجوز قرضه)^(١) قائلاً: «بلا خلاف، بل النصوص والاجماع بقسميه عليه»^(٢).

ويعقب على قول المحقق المذكور: «وما ليس كذلك يثبت في الذمة قيمته وقت التسليم» بقوله:

«والوجه في ثبوت القيمة، أن القرض قسم من الضمانات ... ولا ريب في أن ضمان القيمي بالتلف وغيره بالقيمة، لا المثل، بل يمكن تحصيل الاجماع عليه هناك، وإن كان يظهر من الشهيد في الدروس أن ميل المصنف هنا إلى أن الضمان بالمثل جائز فيها أيضاً لكن هو وغيره صرح في باب العين المضمونة واختلاف صفاتها. فالقيمة حينئذٍ أعدل، خصوصاً في مثل الحيوان، الذي لم يعرف الباطن منه ولا كثير من صفاته، ولكن قال المصنف هنا: «ولو قيل: يثبت مثله في الذمة أيضاً كالمثلي، كان حسناً لأنه أقرب إلى الحقيقة من القيمة»^(٣).

وينتهي بالتالي إلى القول:

«لكن الانصاف عدم خلو القول به من قوة باعتبار معهودية كون قرض الشيء بمثله، بل مبني القرض على ذلك، بل قد يدعى انصراف اطلاق القرض إليه، وربما يؤيده نصوص (الخبز) الذي يقوى كونه قيمياً ولذا تجب قيمته في اتلافه بأكل ونحوه فالاحتياط فيه لا ينبغي تركه»^(٤). وما نجده هنا أيضاً التركيز على عنصر الحق والعدل والقرب من الحقيقة. والانصراف المذكور إنما هو في حالة عدم تغير القيمة تغيراً فاحشاً.

(١) شرائع الاسلام ٢: ٦٨.

(٢) جواهر الكلام ٢٥: ١٨ - ٢٢.

(٣) جواهر الكلام ٢٥: ٢١.

(٤) جواهر الكلام ٢٥: ١٨ - ٢٢.

٣- التكيف الفقهي للعملة الورقية وهل هي مثلية أم قيمية ؟

شكلت العملة الورقية كما قلنا وضعاً جديداً غير مألوف لدى الفقهاء ، مما أثر في نظراتهم لها فلا هي سلعة متعارفة تستمد قيمتها التبادلية من منفعتها الاستعمالية ومدى الرغبة الاجتماعية فيها ، ولا هي سند معبر عن رصيد ذهبي بحيث يعتبر مالها مالاً لذلك الرصيد فيكون معنى التعامل بها (هو التعامل بقيمتها ذهباً في ذمة الجهة المصدرة)^(١).

والحقيقة هي أن الأوراق النقدية هي اليوم (سلع) اعتمادية خاصة لا غير وإنما قلنا إنها سلع خاصة لكي توضح الفرق بينها وبين السلع القيمية التي لها منافعها الاستعمالية في حين لا تعتمد هذه الأوراق على منافعها الاستعمالية وإنما تركز على منافعها التبادلية وتستمد هذه القدرة من خلال القدرة الاقتصادية للدول التي تصدرها وتتعد بقيمتها دون أن تربط هذه القيمة بأي غطاء .

والحقيقة أن الأوراق النقدية أولاً منافعها الاستعمالية هي منافعها التبادلية كما أن منافعها التبادلية هي عين منافعها الاستعمالية ثانياً لا ينطبق عليها (عنوان السلعة) بل هي مال اعتبارية خاصة وخصوصيتها هي وحدة منافعها الاستعمالية والتبادلية .

وهذه السلع الخاصة تعتمد في قيمتها التبادلية على قوانين العرض والطلب والتي تعتمد بدورها على القدرة الاقتصادية للدول المصدرة ، وعلى مدى رغبة هذه الدول في الاحتفاظ بالقيمة والقدرة التبادلية لهذه الأوراق وكذلك على مدى رغبة الدول الأخرى في التعامل مع هذه الدولة فكلها عوامل مؤثرة في هذه القوانين .

وبتعبير آخر فإن الأشياء سوف تكون على أربعة أقسام :

فهناك أشياء يلحظ فيها الجانب الاستعمالي قبل الجانب التبادلي

كالسلع العادية . وهناك ما يلحظ فيه الجانبان معاً كالذهب المسكوك . وهناك ما يلحظ فيه الجانب التبادلي أكثر من الجانب الاستعمالي كالفلوس أو حتى الذهب الذي تتجاوز قيمته التبادلية الاستعمالية . وهناك ما يلحظ فيه الجانب التبادلي لا غير وهو الأوراق النقدية وهذا يعني أن (المالية) هي كل قوام هذه الأوراق . والصحيح أن يقال إن الأوراق النقدية أموال اعتبارية لا سلع عادية ومنافعها الاستعمالية عين منفعتها التبادلية كما أن منفعتها التبادلية عين منفعتها الاستعمالية وبعبارة أخرى ماليتها مالية تبادلية محضة لا مالية استعمالية ومالية تبادلية .

فاذا كانت الأفراد الأخرى لهذه الأوراق بما فيها الأوراق الأخرى في طول الزمان تقوم مقامها كانت مثلية ، أما إذا كانت تختلف عنها عرضاً كما في الدينائر الأردنية مثلاً في قبال الدينائر العراقية أو طولاً كما في الأوراق التي يختلف سعرها في الظروف الزمانية الأخرى ، فلا يمكننا اعتبار المثلية هنا لأننا قلنا إن المثلية تقوم بتمثيل الآحاد والأجزاء من الأموال بحيث يمكن أن يقوم بعضها مقام بعض دون فرق معتد به عرفاً . إن الأوراق النقدية كالدينائر الأردنية في داخل المملكة أوراق نقدية أي أموال مثلية اعتبارية ، وهذه الأوراق في داخل العراق لا تعد أوراقاً نقدية لأنه لا يمكن التبادل بها كما يتبادل معها في الأردن وعلى هذا أوراق النقدية في كل بلد هي الأوراق النقدية ولكن في خارج البلد لا تطلق عليها عنوان أوراق النقدية التي يمكن التبادل بها بل هي أموال نظير السلع العادية الأخرى وليست لها حقيقة النقدية والسيولة التبادلية، ولمعرفة هذه الخصوصية لابد من معرفة ماهية النقد الاعتباري ، ومن هناك لا يصح استنتاجها النهائي من أنها يمكن أن تكون قيمة بل هذه الأوراق النقدية في داخل البلد تكون لها خصوصية النقدية وهذه

الخصوصية تختلف قدرتها الشرائية على وفق احتفاظ النسبة المعينة بين مقدار السلع الواقعية والقدرة الانتاجية للسلع والخدمات ومقدار هذه الأوراق النقدية وسرعة تحركها في السوق التبادلي وهذه الخصوصية النقدية وسيولتها التبادلية الموجودة في داخل البلد لا توجد في نفس هذه الأوراق بالنسبة إلى خارج البلد .

وعلى هذا يمكننا القول أن الأوراق المالية يمكن أن تكون قيمة باعتبار وحدات هذه القيمة واختلافها . وهي في الواقع قيمة قبل أن تكون مثلية لأن اعتبارها بماليتها .

وهذا المرحوم الاصفهاني^(١) عندما يتعرض للمسألة المعروفة حول كيفية الضمان في عهدة من غصب تلجأ في الصيف وأراد الوفاء في الشتاء يؤكد على أن وجوب رد المثل إنما يكون على التضمين والتغريم فلا بد من رعاية حيثية المالية إذ المال التالف لا يتدارك إلا بالمال ، وأضاف - ومنه يتبين الفرق بين سقوط العين عن المالية وسقوط المثل عنها ، ورد العين إنما يكون بلحاظ مالكيته لا بلحاظ ماليتها لكن التضمين والتغريم إنما هو بلحاظ المالية فيجب حفظها - كما سيأتي -

فالضمان المفروض على الغاصب إنما هو بلحاظ الأثر المالي وهذا الأثر يختلف في الصيف عنه في الشتاء بخلاف مسألة الملكية نفسها وهي علاقة وضعية لا تختلف ، وعندما نحاول معرفة الأشياء المثلية نجد أن تعاريف المثلية مختلفة خصوصاً وأن المثلية لم ترد في نص شرعي .

فالمقدس الأردبيلي يؤكد أن الأمر يحال إلى العرف وهو كل ما يقال إن لهذا عرفاً يؤخذه به . فان تعذر أو لم يكن أصلاً فالقيمة . بل ينبغي ملاحظة مثل المتلف فلا يجزئ مطلق الحنطة عن الصنف الخاص المتلف

(١) المسائل المستحدثة للروحاني : ٣٨ .

بل لا فرق بينها وبين الثوب بل والفرس وغيرهما إذا كان لهما أمثال عرفية .

ويعترض صاحب الجواهر على هذا بأنه مخالف للاجماع ويفسره بأنه لا يراد به المثل العرفي بل هو شيء فوق ذلك وهو المماثلة في غالب ماله مدخلية الشيء ، ويضيف : « وهذا لا يمكن إلا في الأشياء المتساوية المتقاربة في الصفات والمنافع والمعلوم ظاهرها وباطنها » . وبعد أن ينقل التعاريف الأخرى يقول : « وبالجمله فالمراد من التعاريف واحد وهو التساوي الذاتي في غالب ماله مدخلية في الرغبة والقيمة »^(١) .

ويضيف : على أنه يمكن أن يقال بل قيل : إن الظاهر من الآية^(٢) رخصة المالك بأخذ المثل بالمماثلة العامة ارفاقاً بالمالك فلا يجوز للغاصب التجاوز عنه مع تقاضيه ذلك ، لا أنه لا يجوز للمالك مطالبة الغاصب بالقيمة فإن الظاهر أن التالف في حكم المثل والعوض في حكم الثمن والتخيير بيد البائع في التعيين فيجوز للمالك مطالبة بالقيمة ولا يرضى إلا بذلك في عوض ماله ، ولا يمكن التمسك باصالة براءة الغاصب عن لزوم القيمة لاستصحاب شغل الذمة الموقوف براءتها بأداء حق المالك وارضائه لكونه مطلوباً .

بل ربما يقال : (إن النقيدين هما الأصل في الأعواض في الغرامات وغيرها كما يشعر به بعض النصوص التي تقدمت في كتاب الزكاة^(٣))^(٤) .

وهكذا يتأكد ما قلناه من أن حقيقة الأوراق النقدية في وضعها الحالي

(١) جواهر الكلام ٣٧ : ٩١ .

(٢) قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٩٤ ﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ .

(٣) يرى المعلق بأنه ربما أراد قوله (ع) في موثق اسحاق بن ابراهيم : لأن عين المال الدراهم وكل ما خلا الدراهم من ذهب أو متاع فهو عرض مردود ذلك إلى الدراهم في الزكاة والديات) .

(٤) جواهر الكلام ٣٧ : ٩٣ .

قيمية (عند اختلاف القيم) بلا ريب ليس من الممكن قياسها إلى النقيدين ، باعتبار عدم تغيير السعر إلا بشكل متفاوت متسامح به عرفاً كما لا تقاس حتى إلى (الفلوس النافقة) (كما فعل البعض)^(١) لوجود قيم ذاتية ضئيلة وللتسامح العرفي فيها باعتبار أنها كانت تستعمل في الأشياء الحقيرة ، وعدم تصور الكبير فيها اللهم إلا إذا كان التغيير في سعر الأوراق المالية أيضاً طفيفاً متسامحاً به عرفاً إذا كانت حقيقة الأوراق النقدية قيمية فيمكن بيعها المؤجل مع الزيادة لأن السلع القيمية يمكن بيعها المؤجل مع الزيادة ، وهذا يوجب التملص من الربا للبس بل لا يبقى موضوع للربا في المعاملات المعاصرة ، وللعلاقات المالية والنقدية في مستوى البنوك للمالية .

وعلى هذا يمكن القول بأن رد القيمة له محله الخاص من الاعتبار . ولا معنى للاستناد للاجماع في رد المثل لأنه غير متحقق أولاً ، ولأنه اجماع مدركي حتى لو تحققنا منه ، ولا قيمة للاجماع المدركي لدى الامامية .

٤ - تقرّيبات القائلين برد المثل :

الأول - إن ذمة المدين مشغولة بما اشتغلت به من العملة وهو مثل ما إذا اشتغلت ذمته بالمتاع والعروض . وكما لا ريب في عدم اشتغال الذمة بأزيد من المقدار الذي كانت العروض مشغولة به وأنها لا تتغير لمجرد رخص القيمة وقلتها فكذا هنا .

وهذا أهم اشكال متصور في البين فاذا غصب عيناً مثلاً فإن عليه إرجاع العين حتى لو انخفض سعرها فكذا النقد بلا فرق في ذلك . ولكن رأينا من قبل أن الفقهاء لا يتفقون على مجرد إعادة العين إذا كان

(١) راجع مجلة مجمع الفقه الاسلامي العدد ٣ الجزء ٣ ص ١٦٩٧ المتضمن لرأي الشيخ العثماني.

هناك فارق معتد به في القيمة لاختلاف الزمان والمكان باعتبار أن المنظور إليه هو القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية وهما مختلفتان . على أننا ذكرنا أن هناك فرقاً كبيراً بين النقد والمتاع باعتبار أن مصب النقد على قيمته المالية ويتجلى هذا بشكل واضح جداً في الأوراق النقدية التي لا تحمل أية منافع استعمالية .

فلا معنى لقياس الأوراق النقدية بالأمتعة .

ولا ينبغي أن يقاس نقص قيمة الأمتعة على زيادتها فان هناك أموراً أخرى تلحظ في البين من قبيل التمسك بقاعدة الثبات في الملكية بالنسبة للغاصب باعتبار بقاء العين نفسها على ملك مالكها الأول لو كانت باقية . وبعد تلفها فانه ملزم بأشد الحالات (وهي قاعدة مقبولة لدى أغلب الفقهاء)^(١) .

نعم يمكننا أن نلتزم بأخذ الزيادة بعين الاعتبار بالنسبة للنقود الورقية .

الثاني - هناك بعض الروايات التي تلغي الفارق في السعر من قبيل : أ - رواية العباس بن صفوان (في رجل استقرض دراهم من رجل وسقطت تلك الدراهم أو تغيرت ولا يباع بها شيء لصاحب الدراهم الاولى أو الجائزة التي تجوز بين الناس فقال عليه السلام : «لصاحب الدراهم الدراهم الاولى»^(٢) .

ب - رواية يونس : «كُتِبَ إلى أبي الحسن عليه السلام أنه كان لي على رجل عشرة دراهم وأن السلطان أسقط تلك الدراهم وجاءت الدراهم أغلى من تلك الدراهم الاولى ولها اليوم وضیعة فأی شيء عليه ؟ الاولى التي أسقطها السلطان أو الدراهم التي أجازها السلطان ؟ فكتب : لك الدراهم

(١) راجع السرائر لابن ادریس : ٢٧٦ ، مفتاح الكرامة ٦ : ٢٥ وقد رفضها البعض كالسيد الخوئي (راجع مصباح الفقاهة ٣ : ١٦٢) .

(٢) وسائل الشيعة ١٢ : ٤٨٨ .

الاولى»^(١) ولكن جاءت رواية صحيحة عن يونس نفسه يقول فيها :

«كتبت إلى الرضا عليه السلام إن لي على رجل ثلاثة آلاف درهم وكانت تلك الدراهم تنفق بين الناس تلك الأيام ، وليست تنفق اليوم فلي عليه تلك الدراهم بأعيانها أو ما ينفق بين الناس ؟ قال : فكتب إلي : لك أن تأخذ منه ما ينفق بين الناس كما أعطيته ما ينفق بين الناس»^(٢).

ويبدو أن الكليني والصدوق والطوسي حلوا هذا التعارض الظاهري بالقول بأنه متى له عليه دراهم بنقد معروف فليس له إلا ذلك النقد ، ومتى كان له عليه دراهم بوزن معلوم بغير نقد معروف فأنما له الدراهم التي تجوز بين الناس»^(٣).

أما الشيخ محمد تقي المجلسي والد العلامة المجلسي صاحب البحار، في شرحه على (من لا يحضره الفقيه) فهو بعد نقله خبر صفوان ثم خبر الصفار ونقله وجه جمع الشيوخ الثلاثة فيقول :

«ماذكره المصنف ممكن ، ويمكن أن يكون الخبران الأولان في القرض كما هو مصرح في خبر صفوان ، وهذا الخبر من ثمن المبيع مثلاً ، لأن الزيادة والنقصان حرام في القرض فيمكن أن تكون الدراهم الجائزة أقل وزناً كما هو المتعارف الآن فلو اعطاه تلك الدراهم لزم الربا بخلاف الثمن فإنه منصرف إلى الجائز بين الناس»^(٤).

وسواء صح هذا الجمع بين الصنفين من الروايات أم لا فإن الملاحظ أن الفارق في السعر يبدو طفيفاً وقد جاء التعبير عنه بكلمة «الوضعية» وهو غير موردنا ، إذ لعله لوجود التسامح العرفي في البين . ثم ان الرواية

(١) م. ن .

(٢) م. ن .

(٣) روضة المتقين ٦ : ٥٤٨ .

(٤) جواهر الكلام ٢٥ : ١٦٦ .

المعلقة تنسجم أكثر مع ما قلناه من التركيز في النقد على العنصر التبادلي .

وعلى أي حال فلا يقاس موردنا (الأوراق المالية) الذي لا نظر فيه إلا إلى الجانب التبادلي على هذه الموارد .

هذا ، ومما يذكر استطراداً أن صاحب الجواهر ذكر بعدما أيد استحقاقه للدراهم الاولى خلافاً لرأي الصدوق في المقنع ، إذ أوجب التي تجوز بين الناس ، انه من الممكن حمله على مهر الزوجية أو ثمن المبيع ولكنه رده بأن حكمهما حكم القرض ثم طرح امكان ثبوت الخيار في المعاملة بها مع عدم العلم لأنه كالعيب بالنسبة إلى ذلك .

هذا وهناك روايات تنفعنا في البين من قبيل :

أ - مكاتبة محمد بن الحسن الى أبي محمد عليه السلام : رجل استأجر أجيراً يعمل له أو غيره وجعل يعطيه طعاماً وقطناً وغير ذلك ثم تغير الطعام والقطن عن سعره الذي كان اعطاه إلى نقصان أو زيادة أيحتسب له بسعر يوم اعطاه أو بسعر ^(١) يوم حسابه فوق عليه السلام : يحتسب له بسعر يوم شارطه فيه إن شاء الله .

ب - في رجل كان له على رجل مال فلما حل عليه المال أعطاه به طعاماً أو قطناً أو زعفراناً ولم يقاطعه على السعر فلما كان بعد شهرين أو ثلاثة ارتفع الطعام والزعفران والقطن أو نقص بأي السعرين يحسبه قال : لصاحب الدين سعر يومه الذي أعطاه وحل ماله عليه أو السعر الذي بعد شهرين أو ثلاثة يوم حسابه فوق عليه السلام : ليس له إلا على حسب سعر وقت ما دفع إليه الطعام إن شاء الله ^(٢) .

(١) وسائل الشيعة ١٢ : ٤٠٢ .

(٢) ن . ٤٠٢ : ١٢ .

والملاحظ ان أمثال هذه الروايات تؤكد على القيمة والسعر الذي تحمله السلع يوم ايصالها إلى الآخرين حتى ولو لم يتم نقلها بعد إليهم باعتبارها اجرة عمل أو وفاء الدين فالمملووظ هو قيمة يوم الدفع . وهناك مجال للمناقشة في مثل هذا التأييد .

الثالث - مارواه الخمسة عن ابن عمر قال : «أتيت النبي ﷺ فقلت أنا رجل أبيع الابل بالنقيع فابيع بالدنانير وأخذ الدراهم وأبيع بالدراهم وأخذ الدنانير فقال : لا بأس أن تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء» . فابن عمر كان يبيع الابل بالدنانير أو بالدراهم وقد يقبض الثمن في الحال وقد يبيع بيعاً آجلاً وعند قبض الثمن ربما لا يجد من المشتري بالدنانير إلا دراهم وقد يجد من اشترى بدراهم ليس معه إلا دنانير أفيأخذ قيمة الثمن يوم ثبوت الدين أم يوم الأداء فبين ﷺ أن العبرة بسعر الصرف هو يوم الأداء واعتبره الدكتور السالوس أصلاً في أن الدين يؤدي بمثله لا بقيمته .

والظاهر انه لا دليل فيه على ما نحن فيه ويكفي الفرق الكبير بين التقدين والأوراق ، على أن الفارق الكبير غير متصور هنا والباقي متسامح به عرفاً لتحقيق الاستقرار السوقي ، ثم إن احتمال الصلح هنا كبير وهناك مجال كثير للحديث حول هذا الموضوع وهذه الرواية . الرابع - الاستدلال بالاجماع وقد رأينا أنه لا اجماع في البين ثم انه اجماع له مدركه ودليليته ولا حجة فيه لدى الامامية .

الخامس - القول بأن القبول بهذا يعني دخول الجهالة المفضية إلى النزاع والخلاف .

إلا أن هذا لو تم فهو يتم أيضاً في القيميات التالفة ومع ذلك يلتزم الجميع بدفع القيمة ولا نزاع بعد الرجوع إلى العرف بل بعد الرجوع إلى

المقاييس الدقيقة اليوم .

السادس - إن الذين دعوا إلى رد القرض بقيمته نظروا إلى الانخفاض فقط ولو أخذ بالقيمة لوجب النظر إلى الزيادة والنقيصة معاً .

والحقيقة هي اننا نستطيع أن نلتزم بالاثنتين معاً على ضوء القدرة الشرائية لكل منهما بملاحظة العدل العام ولا مانع في ذلك ، إذا كان التغيير فاحشاً لازمه لو استقرض ألف دولار وكان كل دولار يعادل ٧٠ تومانا ثم وقت الأداء كان كل دولار يعادل ٧٠٠ تومانا عليه أن يعطي ١٠٪ وهذا الشيء يرفضه الجميع حتى كاتب المقال .

السابع - قيل إن التضخم من مساوئ النظام النقدي المعاصر فهل المقترض هو الذي يتحمل هذه المساوئ ولماذا لا نبحث عن نظام نقدي اسلامي نقدمه للعالم ؟

ومثل هذا لا يمكن أن يعد اعتراضاً وجيهاً بعد التسليم بالأدلة المذكورة نعم علينا أن نقدم البديل الاسلامي للعالم للتخلص من مثل هذه المساوئ .

الثامن - وقيل إن القرض عقد ارفاق له ثوابه وجزاؤه من الله عزوجل وقد ينتهي بالتصدق ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾ فكيف اتجهت الأنظار إلى المقترض بالذات ليتحمل فروق التضخم .

والحقيقة هي أن الآيات التي منعت من الربا في القرض أو المعاوضة قررت مبدأ العدالة ﴿لَا تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ والمدعى لهذا الرأي يركز على اقتضاء العدالة لذلك على أن الدليل أضيق من المدعى لأنه يختص بعقد القرض فقط والمدعى يشمل كل مبلغ مؤجل .

التاسع - أن تغيير قيمة النقود لا يظهر في القروض والديون فقط وإنما يظهر أيضاً في عقود أخرى فمؤجر العقار مثلاً في معظم البلاد

الاسلامية ليس من حقّه انهاء واسترداد ما يملك إلّا بموافقة المستأجر ولهذا يمتد العقد عشرات السنين ، وقد تصبح قيمة الايجار لا تزيد عن واحد واثنين في المائة من قيمة النقود عند بدء العقد .

ونحن لم نستطع أن نتعرف على وجه الاستدلال هنا ، وهل نستطيع أن نحاكم الاسلام على ضوء قوانين وضعية ؟ فإذا ما افترضنا أن الالتزام جاء من حكومة اسلامية كان من الطبيعي أن يلاحظ الحاكم الشرعي مقتضيات العدالة الاسلامية فيفترض شروطاً للتخلص من عوارض التضخم .

العاشر - علينا أن نعمم هذا المعنى لمجمل الحياة فالموظف الذي يبقى راتبه ثابتاً لا يستطيع أن يفي بمقتضيات الزيادة العددية التي تعوّض نقص القيمة ما لم نعمل على تعويضه شخصياً عمّا أصابه . وهذا أمر طبيعي يجب الالتفات إليه إلّا أنه لا يمكن أن يؤثر في نتائجنا^(١) .

الحادي عشر - وقيل : إن المالية الاعتبارية للأوراق النقدية منتزعة من اعتبار من بيده الاعتبار وهي مالية غير مضمونة وبتعبير آخر فإن العين بما لها من الخصوصيات تكون في العهدة إلى حين الأداء وهي في الفرض حين الأداء لا قيمة لها فلا وجه لتدارك القيمة - قيمة يوم الأخذ والفائت إنما هو اعتبار المعتبر لا شيء من المأخوذ^(٢) .

وهذا الأمر غريب حقاً وذلك أن حقيقة الأوراق النقدية ليست سوى الاعتبار المعطى من قبل المصدر فإذا جردناها منه فلا قيمة لها ولا خصوصيات .

(١) راجع لمعرفة تفاصيل أمثال هذه الاعتراضات مقال الأستاذ الدكتور السالوس في مجلة مجمع الفقه الاسلامي الدورة الثالثة من ص ١٨٠٩ - ١٨١٥ .

(٢) المسائل المستحدثة للروحاني : ٣٦ .

حول حرية الدين والثقافة

✽ السيد عبد الكريم هاشمي زباد

سؤال :

يقولون أن الاسلام لم يجبر البشر على انتخاب الدين ، إذن فلماذا أعلن الحرب على الكفار ، فهل كان ذلك لدفعهم بالسيف لاعتناق الاسلام ؟ .



الجواب :

الحرية في اختيار المبدأ ، بمعناها الصحيح ، من التعليمات التي نادى بها الاسلام ، ولكن بعد أربعة عشر قرناً من بعثة الاسلام ، ظهرت لائحة حقوق الانسان ، فأقرت في المادة (١٨) : (الحرية في اختيار المبدأ) ، إذن فيمتاز الاسلام - أولاً - انه قد سبقهم بكثير في الاقرار بهذا المبدأ ، وثانياً : ان هذه اللائحة تصرح بالحرية في اختيار المبدأ بمعناها غير الصحيح .

المعنى الصحيح للحرية في المبدأ :

أن يبحث الانسان بحثاً طويلاً عميقاً حول مختلف الأديان والمبادئ ، وإذا توصل للمبدأ الحق ، فعليه اختياره والالتزام به ، بينما المفهوم الحديث لهذه الحرية لا تعني إلا التبعية والتقليد الأعمى ، لدين الأسرة ، أو العشيرة ، أو البلد الذي يعيش فيه الفرد ، فإذا ولد أحد في بيت مسيحي ، وقبل أن يصل لسن الرشد أو البلوغ ، وقبل أن يبحث حول سائر المبادئ والأديان ، يختار دين الأسرة ، وهذا قد اطلق عليه خطأ (الحرية في اختيار المبدأ) .

وأما الاسلام فهو يدعو لهذه الفكرة بمعناها الصحيح ، فيفرض على كل فرد أن يبحث في البداية حول أصول العقائد ، ليكون ايمانه بها وفق المنطق والدليل ، ولا يرضى للمسلم أن يقلد أباه أو أمه ، في هذا المجال ، وقبل التفكير والبحث في أصول العقائد ، ولا يعتبر مثل هذا الفرد الذي قلّد والديه ، واختار الاسلام دون رؤية ودون دراسة ، مسلماً واقعياً .

القرآن وحرية المبادئ :

يقول القرآن الكريم : ﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ أي ان الدين الاسلامي لا يجبر الناس على اختياره ، والطبري ، في تفسيره مجمع البيان ، يذكر هذا المعنى ، من الاحتمالات التي تذكر لتفسير الآية فيقول (خامسها : ان المراد ليس في الدين اكراه من الله ، ولكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من أفعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه ، فاما ما يكره من اظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة) .

ثم يتعرض لشأن نزولها بما يتلاءم وهذا المعنى (قيل نزلت الآية في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له صبيح وكان يكرهه على

الاسلام ، عن مجاهد ، وقيل : نزلت في رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم أبنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصروا ومضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ .

ومن التأمل في معنى الآية الشريفة ، وشأن نزولها ، يتضح لنا كيف يدعو القرآن الكريم باصرار لهذه الفكرة ، ولهذا المفهوم الصحيح لحرية اختيار المبدأ ، وكيف طبقها عملياً .

وهنا يبرز سؤال : ان الاسلام يرى نفسه ، انه الدين الحق ، وبقيّة المبادئ باطلة ، وكل من أختار غيره فلن يقبل منه ، إذن فكيف يدعو لحرية انتخاب المبدأ ، مع أن الانسان قد يختار بعد البحث والفحص غير الاسلام ؟ .

والجواب : ما ذكرناه سابقاً ، وان الاسلام يدعو لحرية اختيار الدين بمعناها الصحيح ، أي للانسان الحق ، وفي حدود قدراته الفكرية أن يبحث حول جميع الأديان السماوية ، بحثاً سليماً ، وتحقيقاً كافياً ، ويسير في دراساته بخطوات استدلالية ومنطقية ، ثم بعد ذلك ، ينتخب الدين الذي يتوصل إليه بعد تحقیقاته ، ومن الواضح ان هذا الباحث لو درس المبادئ كلها دراسة صحيحة ، وحقق حولها التحقيق السليم ، فانه سوف يختار الاسلام لا محالة ، إذ ان كل منصف ، اطلع على القوانين السليمة ، والنظم الاجتماعية ، التي يمتلكها الاسلام ، ولو كانت معرفته ضئيلة في هذا المجال ، فانه سوف يعترف بأن الاسلام هو الدين السماوي الوحيد ، الذي تطابق قوانينه وتعاليمه الحقّة ، الموازين العلمية ، ولا يحتاج في ذلك ، لدراسات طويلة ، بل تكفي الدراسة الاجمالية في مقارنة الاسلام

بغيره من المبادئ والأديان السماوية ، وهذا وحده يدفعه لاختياره الاسلام .

إذن ، فدعوة الاسلام لحرية اختيار المبدأ ، بمعناها الصحيح ، ناشئة ، من ايمانه العميق ، واطمئنانه ، بأنه هو المبدأ الذي سيختاره الانسان بعد البحث والتحقيق في مختلف الأديان والمبادئ ، ولاطمئنانه بهذه النتيجة ، دعا الاسلام ، بقوة ، إلى هذا المفهوم الصحيح ، لحرية اختيار المبدأ .
إذن فدعوة الاسلام هذه ، كما أنها تؤدي إلى أن ينكشف بطلان المبادئ الأخرى ، فكذاك تحفز الباحث وتدفعه لاختيار الاسلام .

حروب المسلمين :

وهنا يبرز سؤال آخر : إذا كان الاسلام يلتزم بحرية اختيار الدين ، وانها حق مشروع لكل فرد ، إذن فماذا تعني حروب المسلمين ومعاركهم مع غيرهم ؟ .

ويظهر الجواب من مراجعة التاريخ الاسلامي ، حيث يتبين منه ، ان الاسلام لم يستغل استيلاءه ، حين سطر على أي بلاد بالسيف ، في اكراه أهل البلاد المحتلة على اعتناق الاسلام . بل التزم ، حتى وهو في ذروة قوته ، بهذه الدعوة للحرية في اختيار المبدأ ، ولأجل أن نوضح هذه الفكرة ، يلزم علينا التعرف على التعاليم الاسلامية العسكرية اجمالاً :

حين يواجه الجيش الاسلامي غير المسلمين من أهل الكتاب ، في الحرب ، يعرض عليهم التعاليم والقوانين الاسلامية ، ويعرفهم عليها . فان اعترفوا ، واقرؤا بالاسلام ديناً ، فيكونون حينئذ كبقية المسلمين ، لهم ما للبقية من الحقوق والمزايا ، وأما إذا امتنعوا عن قبول الاسلام ، ففي هذه الحالة يفرض عليهم دفع الجزية وهي مال معين يدفع للحكومة

الاسلامية ، فإذا التزموا بدفعها ، فسيرفع المسلمون السيف عنهم ، فلا يقاتلونهم ، وكذلك سوف يدفعون عنهم وعن أراضيهم وبلادهم شر الأعداء ، ولأهل الكتاب أيضاً الحرية في اجراء شعائهم وممارساتهم الدينية ، وان لم يدفعوا الجزية ، فان المسلمين سيقاثلونهم^(١) .

ومن هنا نعرف بأن المسلمين لم يستغلوا قوتهم ، ولم يستخدموا السيف والحروب في دعوة الآخرين للإسلام ، فانه لو كان الأمر كذلك ، لما اكتفوا بالجزية ، وهذا دليل حي ، على أن الاسلام يحترم هذا القانون الالهي ، وهو الدعوة لحرية اختيار المبدأ ، ولم يتجنبه حتى عند قدرته وسيطرته ، فان المسلمين في صورة أخذ الجزية تكون لهم السيطرة التامة عليهم فيمكنهم اجبارهم على اعتناق الاسلام ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل منحوا لهم الحرية ، في البقاء على دينهم .

شواهد تاريخية :

لأجل توضيح هذا البحث أكثر ، نذكر شاهدين من التاريخ الاسلامي ، في طريقة معاملة المسلمين لغيرهم :

١ - حين عقد الصلح بين المسلمين وكفار مكة ، كان من جملة بنود الصلح (ومن لحق محمداً وأصحابه من قريش فان محمداً يرده عليهم ، ومن رجع من أصحابه إلى قريش فلا يردون إليه) ، إذ فتعهد النبي ﷺ أن يعيد لمكة كل من يلتحق بالنبي ﷺ من أهل مكة ، ومن هنا قال بعض المسلمين فليتعهد أهل مكة مثل هذا التعهد بأن يعيدوا للنبي ﷺ كل من يخرج من المدينة ويلتحق بالمشركيين من أهل مكة ولكن النبي ﷺ رفض

(١) للتوسع أكثر يراجع كتاب المؤلف (حوار بين الشيخ والدكتور) وهو في اللغة الفارسية ومن الكتب الجديرة بالقراءة ، وقد طبع أكثر من عشر طبعات .

ذلك ونتابع الرواية (فقال المسلمون في ذلك ، فقال النبي ﷺ : من جاءهم منا فابعده الله . ومن جاءنا منهم رددناه إليهم فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجاً) مع أنه ﷺ كان يمكنه الاستفادة من قوته وقدرته ، ومطالبة أهل مكة بالتعهد أيضاً ، حفظاً لقوة المسلمين وكثرتهم .

٢ - حين زحف المسلمون على مكة لفتحها ، نتيجة عدم التزام الكفار ببند الصلح ، لم يواجهوا بمقاومة ، إلا من مجموعة صغيرة بقيادة (صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل) وفي الهجوم الاول للمسلمين ، قضى على هذه المقاومة ، وأراد القائدان الهرب من مكة ، ولكن عمير بن وهب أحد المسلمين ، تشفع لصفوان لدى النبي ﷺ ليرفع القتل عنه ، وقبل النبي ﷺ ذلك ، وعاد صفوان بعد سماعه الأمان له ، وجاء مع عمير للنبي ﷺ ودعاه ﷺ للاسلام ، ولكن صفوان طلب من النبي ﷺ أن يمهل له لمدة شهرين ، ليدرس تعاليم الاسلام وقد أمهله أربعة أشهر ، وكانت للنبي ﷺ القدرة التامة على صفوان ، ولكنه لم يستغل هذه القدرة في اجباره على اعتناق الاسلام .

هدف المسلمين من الحروب :

إذن لماذا حارب المسلمون الكفار وماذا كانوا يستهدفون وراء ذلك ؟ والجواب : ان المسلمين كانوا يهدفون نشر التعاليم الاسلامية الحققة ، بين الشعوب ، لتكون في متناول أيديهم ، دون أن يصدهم مانع من التعرف عليها ، ولا يمكن ذلك إلا بواسطة الانتصار عليهم ، والقضاء على القوى والحواجز التي تمنع من تعرف الشعوب على التعاليم الاسلامية الحية ، فانهم وان أخذوا الجزية منهم ، ولكن رغم ذلك ، منحوا لهم الحرية في انتخاب الدين ، فان هذا الانتصار والغلبة ، تؤدي إلى توطيد العلاقات والروابط بين المسلمين وغيرهم ، وبذلك ترتفع الحواجز عن غير

المسلمين التي تستر نور الدين الاسلامي عن أعين الشعوب ، وبذلك يمكنهم الدخول في بلاد المسلمين ، والالتقاء بهم والتحدث معهم في مختلف المسائل ، والتعرف على تعاليم الاسلام ، وهذه النتيجة وحدها تكفي ، لأن تميل هذه الأمة المغلوبة للاسلام ، بعد فترة قصيرة ، وقد حدثت هذه الظاهرة كثيراً في التاريخ الاسلامي ، فقد حدث كثيراً أن سيطر المسلمون على أمة كافرة ، ولكن الأمة المحتلة ، رغبت بالاسلام ، وأنتمت إليه ، نتيجة اختلاطها بالمسلمين .

سؤال :

لماذا حرم الاسلام قراءة كتب الضلال على المسلمين ، ألا يعني ذلك قمع الحرية الثقافية ، وحرمانهم من بعض العلوم والثقافات ؟

الجواب :

ان الكتب التي تؤدي قراءتها إلى انحراف المسلمين ، ليست حراماً على كل أحد ، بل على أولئك الذي ينحرفون ويضلون بقراءتها ، وأما العلماء والمثقفون المؤمنون ، والذين يمتلكون ثقافة اسلامية واسعة ، فربما كانت قراءتهم لهذه الكتب ، (واجبة) في حقهم ، لا انها (جائزة) ، لأنهم يمتلكون المؤهلات الثقافية التي يتمكنون بها من مواجهة الأفكار المنحرفة ومناقشتها .

إذن فالمنع من قراءة هذه الكتب ، ليس لأجل حرمان هؤلاء الأفراد من التعرف على الثقافات العالمية ، وإلا لو كان الأمر كذلك ، لما أجاز قراءتها ، لأولئك العلماء والمثقفين الذين يتمكنون من مناقشتها ، بل انه قد يلزم قراءتها أحيانا .

فالاسلام يستهدف من هذا الحكم ، حماية أولئك الذين لا يملكون

مناعة ثقافية ، من الانحراف والضلال ، فهو كالمهندس الكهربائي ، الذي يصنع آلة كهربائية ، ثم يطالب غير المهندسين أن لا يقتربوا منها ، حتى لا يصعقهم التيار الكهربائي ، بينما يسمح للمهندسين في ذلك ، بل ربما يكون هذا الحكم بنفسه ، محفزاً لهؤلاء الذين يفتقدون المؤهلات الثقافية والفكرية ، على التكامل الثقافي ، ويحثهم على التعرف على التعاليم الاسلامية أكثر ، فلو توافرت لديهم الثقافة الاسلامية الكافية ، فحينئذٍ يجوز لهم مطالعة كتب الضلال ، فحرمانهم من كتب الضلال يشعروهم بالنقص ، تجاه الطبقة المثقفة ، التي أجيّز لها الاطلاع على كتب الضلال ، وهذا الشعور يحفزهم على تطوير أنفسهم ثقافياً .

سؤال :

لماذا لا يمكن تطبيق بعض القوانين الاسلامية في عصرنا الحديث ، كاجراء العقوبة المحددة للسارق ، أو الزاني ، أو شارب الخمر ، مع أننا نعتقد بأن الاسلام دين شامل ودائم ، وقوانينه تقبل التطبيق في كل عصر؟.

الجواب :

مما يؤسف له ، أن جهل المسلمين ، وعدم علمهم بشريعتهم المقدسة ، أدّى إلى أن يبت أعداء الاسلام سمومهم في صفوف المسلمين ، ولكن لو تعرفت البشرية على واقع الاسلام لأدركت انه الطريق الوحيد لسعادتها ، ولاتجهت إليه .

فعدم التزام المسلمين بشريعتهم المقدسة ، وجهلهم بها ، لم يؤد إلى تأخر المسلمين وانحطاطهم فحسب ، بل أعطى الفرصة أيضاً لأعداء الاسلام لنشر الانحرافات بين المسلمين .

منهج التربية في الاسلام :

ولا شك بأن الاسلام ، من أجل أن يكافح الانحرافات والمعاصي ، ومن أجل أن يقتلعها من جذورها ، شرع بعض القوانين الجزائية الصارمة ، ولكن يجب أن لا ننسى أن الاسلام قد شرع مناهج تربوية عديدة أيضاً ، كل ذلك من أجل أن يبقى المجتمع سليماً ، نظيفاً ، تسوده الفضيلة ، بعيداً عن الفساد والذنوب .

وكلنا يعلم بأن التعاليم التربوية الاسلامية غير محدودة ، وأن تطبيقها هو الذي يكفل للمجتمع أن يعيش في أمان وسعادة ، أن نظرية الاسلام في التربية ، تعني تنمية الايمان بالله في قلوب الناس ، ودفعهم إلى التفكير بالمعاد ويوم الحساب ، ودعوة الناس للفضيلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والكثير من الاصول والقوانين الرفيعة الأخرى ، التي يحفل بها الاسلام ، والتي يقف تطبيقها سداً منيعاً بوجه اشاعة المعصية والفحشاء والضلال .

وهناك نماذج عديدة في تاريخ الاسلام لتأثير المناهج التربوية الاسلامية في انقاذ بعض المنحرفين من أحوالهم ، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم .

(فالفضيل بن عياض) كان من السراق ، وقطاع الطرق المعروفين ، ولم يتخلص من شره إلا القليل من القوافل ، ولكن هذا السارق حين أراد في احدئ الليالي السطو على احدئ البيوت ، للتعدي على فتاة تسكن فيه ، وصادف ، انه كان هناك رجل مؤمن قريباً من ذلك البيت ، يتلو القرآن الكريم بصوت ملئ بالعذوبة والحنان ، وكان يقرأ هذا الآية الشريفة : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، وحين سمع الفضيل هذه الآية ، وطرقت سمعه في هدوء الليل وصمته ، سرعان ما انقلب رأساً على

عقب ، وتحول إلى انسان آخر ، وأصبح من الأفراد المشهورين بالفضيلة والمعرفة .

وأمثال هذه النماذج كثيرة في تاريخ الاسلام ، هؤلاء الذين انكشف لهم الواقع السيئ الذي يعيشونه ، وعادوا للصراط المستقيم بلا خوف من القانون وعقوباته ، بل رجعوا للصواب نتيجة تأثير المنهج التربوي لهذا الدين الحق ، الذي يكافح المعصية بشدة ، وبمختلف السبل ، فالاسلام قبل أن يتوسل بقانونه الجزائي لردع الناس عن المعاصي ، فهناك تعليماته التربوية الواسعة التي لها التأثير الكبير في ردعهم عن المعاصي ، وتنفر المجتمع بصورة عامة منها .

إذن فلو عاش الانسان في ظل الاسلام ، وفي أحضان هذه التعاليم التربوية الرائدة ، التي توجه البشرية وتدفعهم بقوة إلى الهداية ، والتربية الصحيحة ، ولكن لم تؤثر في مثل هذا الفرد ، كل هذه الأساليب التربوية ، التي قررها الاسلام لمحاربة المعصية ، واقتلاعها من المجتمع ، بل أنه يظل سادراً في غفوة ، غارقاً في المعاصي ، ألا يستحق ، ذلك الجزاء الشديد والعقوبات الصارمة .

إذن فلا بد من ملاحظة التعاليم التربوية الاسلامية ، وأن لا نكتفي بالنظر إلى قوانينه الجزائية فحسب .

ولأجل اقتلاع جذور المعصية من المجتمع الاسلامي ، يستخدم الاسلام أسلوبين .

فالأسلوب الأول الذي يستخدمه الاسلام لمحاربة المعصية هو الأسلوب التربوي .

وأما الأسلوب الثاني : وهو الأشد ، هو القانون الجزائي ، والاسلام هنا يستعمل الشدة والعنف إلى الحد الذي يجيزه العقل والمنطق ، ولكن يجب أن لا يغيب عن بالنا أن هذه الشدة والقسوة تستوجبها خطورة الذنب

بطبيعته ، إذ ان الاسلام لا يستهدف من قانونه الجزائي إلا مكافحة المعصية والانحراف ، فليس هو ، كالمبادئ الحديثة ، التي لا تحارب المعاصي والموبقات ، بل توافق عليها ، مما أدى ذلك إلى دمار المجتمعات الحديثة ، وسقوطها ، ان الاسلام حين يأمر بضرب شارب الخمر ثمانين سوطاً ، فمن أجل أن يرتدع المجتمع عن شرب الخمر ، وليتخلص من الأمراض الكثيرة التي تسببها الخمرة .

والعجيب ، أن العالم الحديث يرى في الخمر سماً مهلكاً وخطراً جسيماً للدماغ والدم والقلب والاعصاب وغيرها من أعضاء البدن واجهزته ، بل يؤثر في سلالة الانسان أيضاً ، ومع معرفته لهذه الآثار السيئة ، لماذا يداري شارب الخمر ، فان هذا الموقف يدفعه أكثر إلى شرب الخمر ، وإذا كانت الحكومات العالمية ترغب حقاً في قطع جذور السرقة ، إذن فلماذا تتعامل مع اللصوص والسرقة هذه المعاملة المتصفة بالمرونة ، إذا كانت ترغب حقاً بالقضاء على الفحشاء ، والتجاوز على أعراض الناس فلماذا ترأف قوانينها بالمنحرفين والمتجاوزين على الأعراض .

أجل أن نتيجة هذا الرياء والنفاق ، التظاهر بالرأفة والشفقة ، في عالمنا اليوم ، هو ارتفاع نسبة الجريمة ، تزايد حجم الجرائم ، والقتل والسرقة ، في العالم كله ، فلا بد ان نعترف بأن القوانين الجزائية ليس فقط ، لم تتمكن من ان تقتلع جذوره هذه الجرائم ، بل انها قد أمضتها وأعترفت بها عملياً ، وحرضت على اشاعتها ، فهي كذلك الطبيب الذي يحقن الجريح مسكناً ، مع انه يتمكن من معالجته ، ومداواة جرحه .

اما الاسلام فهو على العكس من هذه النظرة السائدة اليوم ، يستهدف جدياً القضاء على المعاصي والجرائم ، ويحاول بمختلف الأساليب ان يقتلع جذورها من المجتمع ، وانما شرع قانونا جزائياً مشدداً ، لانه يرغب

جدياً في ازالة السرقة ومحوها ، ليسودالا من المالي في المجتمع ، ومن هنا أمر بقطع اصابع السارق ، ان الاسلام يخالف التجاوز على أعراض الآخرين ، لذلك أمر بضرب الزاني مئة سوط ، حتى لا يعود مرة اخرى للزنا ، وحتى يكون عبرة للآخرين ليرتدعوا عن هذا العمل ، والاسلام يعتبر الخمر سماً مهلكاً للنسل ، ولسلامة المجتمع ، ولذلك امر بضرب شارب الخمر ثمانين سوطاً ، حتى لا يتكرر مثل هذا العمل في ذلك المجتمع ، وحتى تشيع فيه السعادة .

هل تصلح هذه القوانين للتطبيق في عصرنا ؟ :

ويثور هذا السؤال ، وذلك لان القوانين الجزائية الاسلامية وان كانت شديدة وصارمة ، لكنها الوسيلة الوحيدة لاقتلاع جذور المعاصي ، واثرها سريع وحاسم في هذا المجال ، ولكن مما يؤسف له ان العالم اليوم ، يعتبرها قاسية وحشية ، ولا تقبل التطبيق في عصرنا .

وجوابنا على هذا الاعتراض : أننا نعجب كثيراً لمثل هذا العالم الذي يشاهد نصب عينيهِ ، يومياً ، المئات من عمليات القتل ، والضرب بالسكاكين ، وقطع الاعضاء ، والتعدي على النوااميس والاعراض ، والمئات من الجرائم الاخرى ، التي تحدث نتيجة السرقة ، والتجاوز على اموال الآخرين ، ولا يراها وحشية قاسية ، ولكن قطع أربعة أصابع لأجل اقتلاع جذور السرقة ، والحد من الجرائم الناشئة من السرقة ، نلاحظ انه يعتبر هذا الجزاء عملاً وحشياً ، ولا يقبل التطبيق .

ونأسف ايضاً لهذا العالم ، الذي ينظر نظرة اللامبالاة ، للضرب بالسكاكين ، وقتل البشر ، والتجاوز على الاعراض ، والعريضة ، والصخب ، وسلب الامن العام ، الناتجة كلها من شرب الخمر ، ولكن

حين يضرب شارب الخمر ثمانين سوطاً ، من أجل أن تقتلع جذور هذا الفساد الاجتماعي ، يعتبر هذا الجزاء عملاً وحشياً ولا يقبل التنفيذ .

عالم المتناقضات :

أجل ، ان عالمنا حافل بالاضداد والمتناقضات ، فهو يظهر من ناحية ، بمظهر العطوف المشفق ، ولا يرضى بقطع أربعة أصابع ، ولكن هذا الغرب العطوف نفسه ، قد استعمر خلال سنين طويلة ، الملايين من البشر .

المستضعفين ، والامم الصغيرة ، ونهب ، ما شاء ، من ثراواتها وخيراتها التي تفضل بها الله عليها ، وجعلها تعيش في قبضة الجوع والفقر والمرض ، ان اوربا وامريكا ، العطوفة المشفقة ، التي ترى في ضرب ثمانين او مئة ، سوط ، عملاً وحشياً ، ولا يقبل التطبيق ، قد قتلت بوحشية ، مليون جزائري ، ولم يكن ذنبهم إلا المطالبة بحريتهم واستقلالهم ، وكانت لها من الجرائم التي يندى لها الجبين ، في الكونغو ، وفيتنام ونقاط اخرى ، من آسيا وافريقيا ، قد مارست فيها أبشع الجرائم ، وشنت حروب الابادة الجماعية ، من أجل استعمارها .

وأمركا هذه البلاد التي لا ترضى بقطع أربعة أصابع أو تشمئز من ضرب السوط ، هي بنفسها قد قتلت القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكي ، وقتلت ما يناهز المئة ألف من الأبرياء ، وضربت الكثير من البيوت والمصانع ، هذا هو عالمنا اليوم ، الحافل بالتناقضات .

وهناك الكثير من الأعمال والجرائم الوحشية ، التي نتجت من عدم تطبيق القوانين الجزائية الاسلامية ، التي شرعت لمكافحة الجريمة ونطال بعض هذه الجرائم يومياً ، في الصحف ، أو نسمعها من أجهزة الاعلام ، ويضيق المجال لو تعرضنا لذكرها .

مفاهيم معاصرة في الميزان

السيد هاشم الهاشمي

هناك بعض المفاهيم والمبادئ المعاصرة ، يجدر دراستها وتقويمها اسلامياً ، فربما اختلف مفهومها الغربي عن الاسلامي ، فان الاسلام لا ينكر الكثير منها ، بل يدعو إليها ويحث عليها ، كما يلاحظ ذلك في النصوص الشرعية ، ولكن ربما يفسرها تفسيراً يتلاءم ومبادئه .

من هذه المفاهيم : مفهوم (الحرية) ، ان الاسلام يؤمن بالحرية ويدعو إليها ، لذلك يعترف بجميع الغرائز والرغبات الفطرية وضرورة الاستجابة لها ، ولكن ضمن حدود معينة ، بينها الاسلام في أحكامه وتشريعاته المقدسة ، وبذلك يختلف عن الكثير من المبادئ أو الأديان المحرفة ، التي تدعو إلى الرهبانية ، وكبت هذه الغرائز قال تعالى :

﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾^(١). أو أنها تدعو إلى الإباحية المطلقة واشباع هذه الرغبات بلا حدود وما يترتب على ذلك من مفاسد مدمرة للفرد والمجتمع ، وإنما الاسلام يدعو لاشباع هذه الغرائز وتحديدها ضمن حدود بما يحقق كمال الانسان وسعادته في الدنيا والآخرة ، لذلك سميت الأحكام الاسلامية بالحدود ، في النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث الشريفة ﴿تلك حدود الله﴾^(٢).

وفي رواية صحيحة عن الامام الصادق عليه السلام ، عن الرسول ﷺ انه قال : «ان الله جعل لكل شيء حداً وجعل لمن تعدي ذلك الحد حداً»^(٣) ، والمراد من الحد الأول الأحكام الشرعية ، ومن الثاني الحدود والتعزيرات ، وهذه الصحيحة كما تثبت ان الأحكام الاسلامية حدود لرغبات الانسان ، وكذلك تدل على عدم جواز ارتكاب المعصية أو التجاهر بها في المجتمع الاسلامي .

وذلك لأن كل فرد أو مجتمع لا بد أن يلتزم بمجموعة من القوانين ، كضرورة لازمة لحياته الفردية والاجتماعية ، لذلك رأينا وجود القوانين في جميع الدول والشعوب ، وفي كل زمان ومكان ، فان الحرية المطلقة غير المحدودة بقانون تؤدي إلى الفوضى ، وفي رأي الاسلام ، ان القانون الذي يعبر عن الحرية الحقيقية والصحيحة للانسان ، وتتكفل في تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة تتمثل في عبودية الله ، والالتزام بالقانون الاسلامي الالهي ، وأما الحرية غير المحدودة فلا يعترف بها ، لما يترتب عليها من مفاسد للفرد والمجتمع ، وإذا كانت الحرية التي يعتقدونها البعض صحيحة ، ويعترف بها الاسلام ، بحيث يسمح للانسان أن يتصرف ما

(١) الحديد : ٢٧ .

(٢) البقرة : ٢٣ .

(٣) وسائل الشيعة ١٨ : ٣٠٩ .

شاء ، وأن يستجيب لغرائزه ، بمختلف الممارسات غير المشروعة ، فلماذا وحدت أحكام الحدود والديات والقصاص والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه في الشريعة الإسلامية ولماذا لم يسمح بالاباحية أو بممارسة المنكرات العملية في المجتمع الإسلامي كالاباحية الجنسية وشرب الخمر ، فإن الإسلام لا يسمح بذلك ، وخاصة التظاهر بذلك ، حتى لأولئك الذين لا يريدون الالتزام أو انهم يعتقدون بالاباحية حسب تصوراتهم ، كل ذلك من أجل تطهير المجتمع الإسلامي من عوامل الفتنة والانحراف . ومن أجل توفير المحيط المناسب لسعادته .

ومن هذه المفاهيم (تغير الشريعة) : حيث يعتقد البعض بأن الشريعة والأحكام الإسلامية متغيرة إما بكاملها ، أو بعضها حسب تطور وتغير الزمان ، بل حتى كلام الله والمعصوم الذي نتيقن بصدوره قابل للتغير ، ولا يملك الثبات أو انه استنباط بشري .

ولكن يمكن الجواب عن هذه الشبهة : بأن الشريعة تشتمل على أحكام ومجالات ثابتة ومتغيرة ، وقد ذكرناها في دراستنا حول النسخ والتغير في الأحكام والشرائع بصورة موسعة .

ونشير إليها هنا بصورة موجزة ، فأننا نعترف بوجود التغير وتأثير الزمان والمكان في بعض الأحكام والمجالات ، كالأحكام الولائية التي تصدر من الولي الفقيه في مجالات ولايته في (منطقة الفراغ) وحسب المصالح المشروعة ، وكذلك التغير في موضوعات الأحكام ، وكذلك التغير في مصاديق تلك الموضوعات وخاصة في المعاملات والعقود كما سنذكره ، ومنها تأثير العناوين الثانوية كنفى الضرر والحرَج واختلال النظام وأمثالها في تغير الأحكام الأولية ، وكذلك تراحم الأحكام من حيث الأهمية ، وترجيح الأهم في نظر الشارع المقدس كحفظ النفوس

والاعراض ، ومن مجالات التغير اكتشاف معلومات جديدة من الكتاب والسنة أو أدلة جديدة نتيجة لتطور العقل البشري وعلومه ، وكذلك نعترف بالتغير في آراء واجتهاد وفتاوى الفقهاء في بعض الأحكام الظاهرية التي تعتمد على الأدلة الظنية ومجالات التغير ، فإن الأحكام المتغيرة ، أو آراء الفقهاء والعلماء المستندة للأدلة الظنية غير الاتفاقية والمسلمة ، ليست ثابتة ، وإن كانت حجة للفقهاء ومقلديه ، لأن الحكم المتغير حجة في حدوده وظروفه وكذلك اختلاف وتطور الاجتهاد والفهم للنصوص والأحكام والموضوعات والأدلة القابلة للاجتهاد في مختلف المجالات ، أمثال فهم الموضوع والحكم منها وتوسعته لمصاديق أو موضوعات أخرى أو جديدة وغيرها من المسائل حسب القواعد المعتمدة المستخدمة في الاستنباط ، نظير امتداد الحكم حسب العلة المنصوصة أو المفاهيم وأمثالها ، المقتبسة من الكتاب والسنة والعقل والعقلاء وتجارب الآخرين وما يعرضها من تطور واكتشاف لمفاهيم وأساليب جديدة ، وغيرها من الأساليب التي يقتضيها الاجتهاد ، وهو من مميزات مدرسة أهل البيت من خلال فتح باب الاجتهاد وانفتاحه ، ورفض التقليد والجمود . وخاصة مع تفريق السيد البروجردي لمسائل الفقه ، للمسائل الأصلية المتلقاة من المعصومين ، والمسائل التفريعية ، أي الاجتهادية ، التي قام بها الفقهاء على ضوء الأصلية ، والغالب أنها تعبر عن احتياج زمان الفقيه ومحل ابتلائه ، فإن المسائل الأصلية يعتمد عليها الفقهاء في الاجتهاد في كل زمان ، وأما الثانية فهي قابلة للمناقشة والتغير ، باختلاف الاجتهادات ولكن في خصوص المجالات القابلة للاجتهاد ، لا في مثل الضروريات والقطعيات ، ولكن يمكن الاستفادة من طريقتهم ، إذن ففتح باب الاجتهاد والتجديد والمناقشة في

المسائل الاجتهادية من خصائص الفقه الامامي .

ولكن هناك الكثير من الأحكام الثابتة ، كالضروريات الدينية والمسلّمات والمتفق عليها بين المسلمين في أبواب العبادات والمعاملات والعقائد ، وما قامت عليها النصوص القطعية سنداً ودلالة ، مثل هذه الأحكام والمبادئ الثابتة ، ولا تقبل الاجتهادات والقراءات المختلفة ، من حيث قبولها أو انكارها ، ليتوصل البعض من خلال اجتهاده لقبولها ، والبعض الآخر لانكارها مع القطع بضرورتها وصدورها من الشارع المقدس ، لذلك لا بد من اثبات ضرورتها أو قطعيتها ، ولكن بعد ثبوت ذلك ، فلا تقبل التغير ، والاجتهادات المختلفة من حيث قبولها وانكارها ، وإن قبلته من حيث تطور الفهم ونضجه . أو في بعض التطبيقات والمصاديق وغيرها من مجالات التغير بالتوضيح الذي يذكره العلماء ، وربما كان مراد البعض من تغير الشريعة هو تغيرها في هذه المجالات ، أو في مجالات التغير التي ذكرناها وأمثالها ، وهذا معنى صحيح ، وأما لو كان المراد تغير الأحكام الثابتة ، أو تغير الشريعة بكاملها ، فهو غير صحيح .

ومما يبطل تغير الشريعة ، ويدل على ثباتها والكثير من أحكامها ، وعدم نسخ الشريعة بكاملها أو بأحكامها الثابتة ، يدل على ذلك خاتمية نبي الاسلام ﷺ ، وخلود الاسلام وعدم نسخه بدين آخر ، فإن هذه المبادئ من ضروريات الدين ، وإن حلال محمد حلال وحرامه حرام إلى يوم القيامة . وإذا كانت السنة محددة بزمانها ، أو استنباطاً بشرياً ، فسوف تلغى حجيتها ومرجعيتها للاستنباط ، وبذلك لا نعرف تفصيلات الأحكام لأن ما في القرآن الكريم احكام كلية غالباً ، مع أن السنة ليست

استنباطاً وانما بيان للأحكام الواقعية .

ونحن نعلم أن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد في متعلقاتها ، أي في الأفعال التي تعلق بها الأحكام ، فلا يأمر بفعل إلا وفيه مصلحة ، ولا ينهى عنه إلا وفيه مفسدة ، ولكن المصالح والمفاسد راجعة للبشر ، لأنه تعالى غني عن العالمين ، ولذلك ربما نتصور أن بعض الأفعال الشرعية كبعض أفعال الحج أو الحدود والديات أو سهام الارث أو الزكاة والخمس أو الحجاب وأمثالها من الأحكام في العبادات والمعاملات مما ثبت وقطع بصدوره من الشارع المقدس ، لا يتناسب مع زماننا ، وإنما كان يتناسب مع الزمان السابق ، أو أن نفوسنا لا تتفاعل معه أو لا تتناسب مع الأهداف العليا ، فلا يحق لنا الغاء حكم الحج أو تغييره ، لأجل هذه الظنون والاستحسانات ، وذلك لأنه تعالى بعلمه المحيط يعلم باشتمال الحج على مصالح فاعله للبشر في الدنيا والآخرة ، وفي كل زمان ومكان ، اكتشفنا ذلك من خلال اليقين بتشريعه وصدوره من الشارع المقدس ، دون أن يصدر منه نسخة أو تغييره ، وكذلك الحجاب ، فلاسلام اطروحته المعينة لاصلاح البشرية تختلف عن سائر المبادئ ، صادرة عن الله الخبير اللطيف بعباده ، وبذلك يتميز عن القوانين الوضعية والمبادئ البشرية الصادرة من البشر ، بما تحيط به من عوامل القصور ، فلا مبرر لتغيير الأحكام الالهية الثابتة ، حسب القوانين الوضعية والظنون البشرية ، وقد جعل الشارع المقدس أحكامه وتعليماته بصورة تتلاءم واطروحته ورؤيته في اصلاح البشرية ، ولا يمكن تصحيحها وتغييرها حسب الظنون غير المعتمدة ، والحديث يتوسع حول الفرق بين القوانين الوضعية والالهية له مجال آخر .

وعلى كل حال ، فإن الاسلام يشتمل على أحكام ثابتة ومتغيرة ، وقواعد كلية يمكنها معالجة جميع المتغيرات والمستجدات في كل زمان ومكان إلا أن يقال بأن الاسلام هو بعض المبادئ الكلية أو بعض المشاعر الروحية بلا شريعة وايدولوجية معينة ، وإنما يلزم تغير الشريعة بكاملها أو الأحكام الثابتة منها في كل زمان ، حسب تطور البشر ، أو على ضوء تلك المبادئ الكلية ، ونقطع بأن أي أحد من الباحثين المسلمين لا يقصد هذا الاتجاه في تغير الأحكام ، وإنما يدعيه بعض المتطرفين العلمانيين ، أو المتأثرين بالفكر المادي الغربي ، وقد قصدت مناقشة هذا الاتجاه المتطرف خاصة دون غيره في تغير الشريعة في مقالتي المنشور في هذه المجلة (العدد ٣١) أو يقال : بتغير بعض الأحكام غير الثابتة أو اثباتها وإنما تتغير أو تثبت حسب المقاصد استناداً للظنون والأدلة غير المعتمدة ، وهذا أيضاً غير صحيح كما ناقشه علماءنا .

ولكن نحن لا ننكر تغير بعض الأحكام غير الثابتة ، في مجالات التغير التي ذكرت بعضها أو اثباتها وحسب الأدلة المعتمدة وخاصة في المعاملات ، وحتى لو كانت ظنية ولكنها معتبرة وهذا التغير والاثبات رأي صحيح ذكره علماءنا في مختلف بحوثهم ، ولعل هذا هو مراد بعض القائلين بتغير الأحكام أو اثباتها حسب المقاصد الكلية .

ولكن وكما ذكرنا ، أننا من خلال ملاحظة تشريع الشارع المقدس للحكم غير مقيد بزمان ، وعدم نسخه بعد ذلك ، يتبين ملائمة لتلك القيم ، وثباته وعدم تغيره - إلا في مجالات التغير - لعلمه تعالى بعلمه المحيط أن هذا الفعل هو الملائم لها دائماً ، كالقصاص وسهام الارث ، والحجاب ، فهل يصح لنا أن نغير أصل الحكم ونلغيه ، لأجل تغير الزمان ، أو حسب

المبادئ الكلية أو حسب اهواء الناس ونظراتهم كسهم الارث أو القصاص ، وكيف نجزم انه لا يتلاءم زماننا أو مبادئ الاسلام معها ، ثم أي فعل نجعله بديلاً عنه يكون ملائماً لها ، مع اختلاف الآراء والأزمنة والأمكنة في تحديده ، كما لو بُدِّل القصاص أو سهم الارث ، إما بالغائه تماماً أو لسهم آخر ، وعقوبة أخرى ، فأَي مقدار نضعه بديلاً عنه ، هل يصح الاعتماد في الغاء أصل الحكم أو تبديله بآخر بمثل هذه الظنون غير المعتمدة .

ويجدر أن نذكر أن المراد من منطقة الفراغ هو موارد عدم وجود حكم الزامي معين كالمباح ، والواجب التخييري والكفائي بالنسبة لأفراده ، لذلك يمكن للولي أن يجعل حكماً الزامياً في موردها لبعض المصالح فيلزم المباح . أو يعين الوجوب في أحد أفراد الواجب التخييري أو الكفائي ، لأن القول بالفراغ عن أي حكم واقعي أو ظاهري ، في موضوع ينافي (شمولية الشريعة) ، التي تدل عليها النصوص المعتمدة ، وإن الشارع جعل أحكاماً ، وجعل قواعد واصولاً لمعالجة الموارد التي لم نتوصل لأحكامها الواقعية ، وإنما يرجع للعرف أو لأهل الخبرة في مجال تعيين المصداق لا التشريع في الغالب ، فمثلاً يجعل الشارع المقدس حكم الحرمة بصورة كلية (وهي حكم تكليفي) لموضوع كلي وهو (شرب الخمر) أو يجعل النجاسة (وهو حكم وضعي) بصورة كلية للخمر ، وأما أن هذا المائع الخارجي خمر ، وأنه مصداق للموضوع الكلي ، فيرجع في تعيينه للعرف ، أو لأهل الخبرة أو في مثال الجهاد ، حيث يرجع في أساليبه وأسلحته للعرف .

نعم يرجع لسيرة العقلاء عامة أو لسيرة المسلمين خاصة كمصدر

للافتاء والتشريع ولكن سيرة العقلاء بما هم عقلاء ، لا بما هم تابعون لأهوائهم وتقاليدهم ، وكذلك سيرة المتشريعة بما هم متشريعة لا بما هم غير مبالين بالشرعية ، فان بعض السير كذلك اما غير عقلانية أو غير شرعية ، ولكن - وكما ذكر العلماء - يشترط في شرعية السيرة شروط منها امضاء المعصوم لها واتصالها به ، فتستمد السيرة قدرتها التشريعية من موافقة المعصوم ، لا لخصوصية فيها ، ولذلك تدخل السيرة في قسم التقرير من (السنة) ، حيث عرفت بأنها (قول المعصوم أو فعله أو تقريره) ، ولكن التقرير الجماعي ، وهو نظير التقرير الفردي في الحجية ، إذ لا فرق في حجيتها ، بين تقرير المعصوم للسلوك الجماعي أو الفردي وكذلك الاجماع إنما يكتسب حجيته من جهة كشفه عن موافقة المعصوم له .

إذن فهناك مجالات كثيرة يرجع فيها للعقلاء أو المتشريعة ، أو العرف أو أهل الخبرة ، ولكن في مجالات معينة وضمن شروط خاصة ، ذكرها علماؤنا بدقة ، مقتبسين في ذلك من الكتاب والسنة ، والأدلة العقلية والعقلانية ، وكما ذكرنا ان الرجوع للعرف أو لأهل الخبرة غالباً في مجالات التطبيقات والمصاديق . أو في مجالات فهم معاني الفاظ النصوص التي لم يجعل الشارع المقدس لها معاني أو ممارسات شرعية معينة تختلف عن معانيها العرفية ، كما في الفاظ العبادات حيث وضع الشارع لها معانٍ شرعية وممارسات معينة تختلف عن المعاني العرفية ، أو ممارسات سائر الملل والنحل ، لذلك كانت أدلة العبادات تأسيسية ، وأما في مجال المعاملات ، فقد أخذ الشارع بمعانيها العرفية ، وامضى المعاملات والعقود التي يتقبلها العرف ، ولكن بشرط عدم مخالفتها للأحكام والقواعد الاسلامية المسلّمة ، كما لو استلزم الربا أو الغرر من

البيع، لذلك عبر عن أدلة المعاملات بأنها امضائية، أي امضاء للمعاملات والعقود العرفية، سواء التي كانت موجودة في زمان صدور النص، أو المستجدة، ولكن بشروط وتفصيلات مذكورة في الكتب الفقهية.

ولقد ذكرنا أكثر من مرة، مجالات التغير والثبات في الأحكام، ومدى تأثير الزمان والمكان في تغييرها، فهناك الكثير من الأحكام الثابتة ولا تقبل التغير بتأثير الزمان والمكان، كما لا تقبل القراءات والاجتهادات المختلفة، كالضروريات والمسلمات والقطعيات التي تعتمد على الأدلة والنصوص القطعية سنداً ودلالة، وإن أمكن القراءات والاجتهادات المختلفة، ولكن من خصوص العلماء وأهل الخبرة الفقهية في خصوص المسائل والنصوص القابلة للاجتهاد، وهي النصوص الظنية والمسائل الخلافية، فهذه يمكن أن تتغير بتغير الاجتهادات، بالإضافة لما ذكرناه من مجالات التغير في الأحكام، وأما القول بوقوع التغير أو امكانه في كل حكم اسلامي، فهذا مخالف للمبادئ الاسلامية، حيث ربما ادعى البعض تغير أحكام الشريعة بصورة عامة بتغير الزمان أو المكان. وقد ناقش العلماء هذه الفكرة في الكثير من بحوثهم ودراساتهم، وخاصة الحديثة.

وقد ذكرنا ان من مجالات تغير الأحكام، الأحكام الولائية، التي تصدر من ولي أمر المسلمين، فهذا الحكم قابل للتغير والنقض، ولكن في خصوص الحكم الولائي الصادر من المعصوم. فقد صرح الامام الخميني عليه السلام بأنه يملك حكم التشريع الدائم، فيما لو لم توجد قرينة على الاختصاص بزمان ومكان معين، فله صفة الحكم الشرعي الكلي من حيث بقاءه وشموله لغير زمانه، فحينما بحث عليه السلام عن منع الرسول ﷺ للاحتكار، ذكر بأن هذا المنع اما أنه حكم كلي شرعي، أو حكم سلطاني،

أي ولائي ، وكل منهما باق لما بعد زمانه ﷺ ، ودليل بقاءه استشهاده أمير المؤمنين عليه السلام بحرمة الاحتكار بمنع الرسول ، مما يدل على بقاء حكم الرسول ﷺ قال في كتاب البيع (بل هو - منع الرسول ﷺ للاحتكار - حكم كلي يظهر منه ﷺ عدم جواز حبس الطعام عند احتياج الناس إليه وفقده ، بل لو كان حكماً سلطانياً منه ﷺ فهو نافذ على الأمة إلى الأبد ، وليس أحكامه كأحكام سائر السلاطين ، بل أحكام سائر الأئمة عليه السلام أيضاً كذلك ، كما نرى أن بعض الأئمة عليه السلام استشهد في روايات الباب وغيره بأحكام رسول الله ﷺ ، فقوله ﷺ (لا تحبس) ظاهر في الحرمة كان المنع شرعياً أو سلطانياً ، وحكمه على الأولين حكمه على الآخرين - كالحكم الشرعي - كما يظهر من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة إلى مالك الأشتر الدالة على حرمة الاحتكار أيضاً ، قال عليه السلام : «فامنع من الاحتكار فان رسول الله منع منه» ، فان الظاهر منه انه أمره بالمنع اتكلاً على منع رسول الله ﷺ ، فان كان منعه شرعياً فهو ، وان كان سلطانياً يظهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن منعه باق ومتبع بعد وفاته^(١).

(إذن ، فالحكم الولائي الصادر من النبي ﷺ وكذا عن الأئمة أيضاً يعم جميع الأمة لعموم ولايتهم ، اللهم إلا أن تكون هناك قرينة على الاختصاص ، ويظهر للمتتبع في الروايات أن الأئمة عليه السلام كانوا كثيراً ما يستدلون في المسائل المختلفة بالأحكام الولائية الصادرة عن النبي ﷺ ، فولاية النبي ﷺ على المؤمنين الثابتة بالآية الشريفة لا تختص بالمؤمنين في عصره فقط ، وقوله تعالى : ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ يعم الأمر والنهي الولائيين أيضاً^(٢)).

(١) كتاب البيع ٣ : ٤١١ .

(٢) رسالة في التفسير والاحتكار : ٢٢ .

اننا حتى لو قلنا بتغير الأحكام في بعض المجالات ، من باب تغير الموضوع أو الحكم الولائي ، أو عروض العناوين الثانوية وأمثالها ، فإن هذه التغير لا يعني النسخ وهو ازالة الحكم الشرعي تماماً وعدم عودته ثانية ، حتى لو تغيرت الظروف ، بل ان هذا التغير يتحدد في ظروفه ، فاذا زالت ظروفه ، يرجع الحكم الشرعي الاولي إلى عالم المطالبة والتكليف ، فليس هذا التغير من النسخ ، لأن النسخ لا يمكن صدوره إلا من الشارع المقدس لا غيره كما وضحناه ، ومن هنا فالقول بتغير الشريعة ، وعدم ثباتها بمعنى النسخ فكرة غير صحيحة .

ولعل الأساس للقول بتغير الأحكام ، أو تعدد القراءات بصورة عامة ، النظرية التي تذهب لانكار الحقيقة المطلقة ، وان كل الحقائق والقيم نسبية ، تتغير حسب الزمان والظروف ، لذلك فليس هناك حق أو باطل ثابت ، فالحق والباطل متعدد ، يختلف باختلاف الظروف والآراء .

ولكن هذا الأساس النظري غير صحيح باطلاقه ، فلا يمكن انكار الحقائق المطلقة بصورة عامة ، فهناك الكثير من الحقائق المطلقة ، التي لا تقبل التغير والانكار ، فان الايمان بوجود الله تعالى حقيقة مطلقة ، فهل يصح القول بأن رأي المؤمن والمنكر صحيح ، وهل يمكن القول بإمكان تغير هذه الحقيقة ، كما أن هناك الكثير من القيم الأخلاقية ، يحكم العقل والعقلاء بحسنها وقبحها القائمة على الفطرة لا التقاليد والالتزامات الاجتماعية ، ولا يتغير هذا الحكم الصادر منهم ، في كل زمان ومكان ، إلا أن تطراً عناوين ثانوية على تلك الأفعال تغير من قبحها أو حسننها ، فكل عاقل ، وخاصة ممن لم يتلوث بالردائل والجرائم ، يحكم بقبح الظلم والاعتداء على نفوس الآخرين واعراضهم وأموالهم بدون حق ، وكذلك يحكم بقبح الكذب ما لم يطرأ عنوان ثانوي بغير قبحه ، كما لو لزم من

الكذب انقاذ نفس محترمة ، بل حتى النفس الملوثة بالرديلة ، وحتى المجرم والمتعدي على الآخرين بدون حق يشعر في أعماق نفسه ، بقبح عمله وبقبح الرديلة وأصحابها ، وحسن الفضيلة وأصحابها ، لأن الضمير والوجدان الأخلاقي الفطري في الانسان لا يموت وان تعرض للانحراف .

والعقلاء يحكمون بحسن العدل والامانة وأمثالها من الفضائل ، ان النسبية تصح في القيم القائمة على التقاليد والالتزامات الاجتماعية المتغيرة .

ان أمثال هذه النسبية وانكار الحقيقة المطلقة بصورة عامة ، تتعرض للكثير من الاشكالات ، وهي نظير القول بالتصويب الباطل ، ولعل من اثارها مشروعية وصحة الكثير من الأديان والمذاهب والمبادئ والاتجاهات الفكرية والعقائدية ، وصحة القراءات المختلفة للدين والنصوص ، وكذلك تبرير انكار القيم الاخلاقية فكراً وعملياً ، مع عدم وجود حق ، أو باطل معين ، وإنما الحق أو الباطل يتعدد بتعدد الآراء والظروف والقراءات وما يلزم ذلك من فوضى في المبادئ والمجتمعات . ومن هذه المفاهيم : ما يعتقده البعض بوجود قراءات متعددة ومختلفة للدين ، أو النصوص الدينية ، أو ان جميع هذه القراءات أو أكثرها صحيحة ، أو القول بأنه لا يصح التأكيد على دين أو مذهب أو اتجاه ديني معين ، ولا دليل على تفضيل دين أو مذهب أو اتجاه على آخر . ولكن إذا كان المراد من ذلك وجود قراءات مختلفة للدين أو للنصوص في الواقع الخارجي ، فهذا صحيح ، إذ لا شك بوجود مبادئ واتجاهات متعددة للدين ، وقراءات متعددة للنصوص الدينية خارجاً ، وأما لو كان المراد ان جميع هذه القراءات للدين أو للنصوص صحيحة فهذا ما ننكره ،

فهناك معيار للحق والباطل ، وهناك اتجاهات أو قراءات صحيحة وعلى حق ، وأخرى باطلة . هناك نصوص ظنية تقبل التفسيرات المتعددة ، ونصوص قطعية محكمة لا تقبل إلا قراءة واحدة - بالشروط التي سنذكرها - ، إذن فإذا كان المراد من ذلك صحة ومشروعية جميع القراءات والاجتهادات للنصوص الدينية ، وصحة كل رأي وفهم للنص الديني ، أو للدين بصورة عامة ، أو أن رأي الاسلام واقعاً تابع لذلك الفهم والاجتهادات والآراء المختلفة ، أو كان المراد امكان صحة ومشروعية جميع الأديان والمذاهب والاتجاهات الدينية ، لأن كل دين أو اتجاه هو قراءة ورؤية معينة للدين ، أو أن المراد تقبل جميع النصوص والأحكام والمعتقدات الدينية للقراءات والاجتهادات المختلفة .

ولكن يلزم من هذه الآراء - على تقدير وجودها - صحة ومشروعية جميع أو أكثر المذاهب والآراء والتيارات والمعتقدات الدينية ، لأجل مشروعية اختلاف القراءة للدين أو المذهب أو النصوص الدينية ، وهل يعقل أن يعترف الاسلام بذلك ، وهل يصح الحكم بصحة جميع الأديان والمذاهب مع ما في بعضها من التحريف أو النسخ ، أو المعتقدات والأحكام الباطلة ، مع مخالفتها للعقل والعقلاء والأحكام والنصوص الثابتة والضرورية والمسلمة والقطعية الصادرة من الاسلام ، إذ لا يمكن الحكم بصحتها واقعاً ، وأنها تمثل رأي الدين أو المذهب واقعاً .

نعم يمكن القول بمعدورية القائل ببعضها إذا كان قاصراً في رأيه وفهمه واتجاهه ولعل هذا هو مراد بعض القائلين بصحة القراءات المختلفة أو قراءة بعض مجالات التغير الصحيحة في الأحكام كما ذكرناها ، أما القول بصحة اتجاهه وفهمه واقعاً فيما إذا كان مخالفاً للأحكام والمعتقدات الضرورية للدين ، فهذا ما لا يمكن القول به .

كما أنه يلزم من هذا الرأي ، التصويب - بتعبير علمائنا - حيث اجمعوا على بطلانه ، وهو يعني عدم وجود الأحكام الواقعية المعينة ، وأن الأحكام تابعة لآراء المجتهدين أو انها تتغير حسب آراء المجتهدين لو كانت هناك أحكام واقعية ، مع أنه لا شك بوجود الأحكام الواقعية المعينة والمشاركة بين العالم والجاهل ، قد تتمكن من الوصول إليها وقد لا تتمكن ، ونعتقد بأن الكثير من تلك الأحكام الواقعية وصلت إلينا اما من طريق القطع أو الأدلة المعتمدة .

ويلزم التأكيد على أن القراءة المعتمدة للنصوص أو للدين ، هي التي تعتمد الأدلة الشرعية المعتمدة اسلامياً وان كانت الآراء الاجتهادية الظنية مختلفة .

والملاحظ أن أكثر هذه القراءات والاجتهادات المختلفة والمتعددة للدين - التي يدعيها البعض - ناشئة من الاعتماد على الأدلة الظنية غير المعتمدة ، أو التفسير بالرأي ، والتي رفضها القرآن الكريم والمعصومون ، ﴿وان الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾^(١) ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾^(٢) نعم الرأي أو الفهم الذي يعتمد على الأدلة الشرعية الظنية المعتمدة يكون حجة للمجتهد ومقلديه سواء أدرك الواقع أم لم تدركه ، أو اتفق عليه العلماء أو اختلفوا .

والملاحظ ان الكثير من الضروريات والمعتقدات والأحكام الثابتة من الدين والنصوص القطعية سنداً ودلالة لا تقبل تعدد القراءات ، ولا تقبل التغير ، لمن يعتقد بالمرسل والرسالة والرسول ، فهل ان وجود الله والتوحيد أو اصل النبوة ووجوب الصلاة والحج ، أو حرمة شرب الخمر ،

(١) النجم : ٢٨ .

(٢) الاسراء : ٣٦ .

أو الزنا ، وامثالها من الواجبات والمحرمات الضرورية تقبل التغير ، أو القراءة المختلة من حيث القبول والانكار ، لا من حيث النصيح في الفهم ، أو سائر مجالات التغير التي ذكرناها ؟ فهناك الكثير من المعتقدات والأحكام والنصوص الدينية غير قابلة للقراءة المختلفة ، أو التغير بل هي ثابتة وواحدة ، وهي تمثل الحق والصواب ، بينما غيرها على باطل وضلال وانحراف ، وان كان الجهل احياناً قصورياً ولكن الجهل القصوري في الانحراف والضللال ، لا يوجب عدم كونه انحرافاً وضلالاً ، فالخطأ والاشتباه لا يعتبر قراءة صحيحة وان كان غير عمدي ، وتوضيح مجالات الجهل القصوري والتقصيري ، ومغذوريته أو عدم مغذوريته في الأحكام والعقائد ذكرها علماؤنا بدقة وخاصة في الفقه .

نعم من معالم مدرسة أهل البيت (الاجتهاد) في المجالات التي تقبل الاجتهاد ، كما في الأدلة والنصوص الظنية المعتبرة التي لم يتفق على سندها ودلائلها ، فيمكن اختلاف العلماء في فهمها . واستنباط الحكم منها ، ولكن ذلك مختص بالخبراء والمتخصصين ، ولا يشمل غيرهم ممن لم يتزود بالثقافة الاسلامية ، ومعطيات الكتاب والسنة والعلوم المقتبسة منها . والحكم الذي يستنبطه المجتهد حجة له ولمقلديه ، دون غيره من المجتهدين ، ويمكن للمجتهد الآخر مناقشته ، أو فهم معنى آخر من النص ، أو استنباط فتوى أو رأي يختلف عنه . وبحوث العلماء ودراساتهم وكتبهم ، حافلة بهذه الآراء والاجتهادات والمناقشات المختلفة والمتعددة ، وربما كان للتطور العلمي والثقافة وتجارب الآخرين وعلومهم تأثيرها أيضاً في هذا المجال ، بشرط عدم مخالفته للقواعد والأحكام والمبادئ الاسلامية الضرورية والمسلمة ، ولكن هذا الاختلاف في الآراء والاجتهاد ، أو التغير في الأحكام ، ليس شاملاً لجميع

النصوص والأحكام، فهناك الكثير من النصوص والأحكام ثابتة وقطعية ولا تقبل التغير أو القراءة المختلفة من حيث قبولها وانكارها كما ذكرنا، وإن قبلته من حيث الظفر بأدلة جديدة أو تعميقها وتطويرها أو التوصل لبعض المعالم والتصورات حولها، كما في أصل وجوب الصلاة، أو الصوم أو الحج أو التوحيد أو المعاد وأمثالها، وربما كان مراد البعض من اعتبار تعدد القراءات واختلافها في النصوص والأحكام هو هذا المعنى، أو تعدد الرأي في النصوص الظنية. أو التعدد في مجالات التغير المشروعة التي ذكرناها فهذا رأي صحيح، وأما لو كان المراد باعتبار التعدد في الضروريات من حيث قبولها وانكارها، فلا يمكن القول بصحته إسلامياً.

وهل يمكن القراءة المختلفة حول وجود الله أو التوحيد، بأن تكون هناك قراءة أخرى وصحيحة تنكر وجوده أو توحيده، أو تنكر وجود المعاد كما يلاحظ أن بعضهم فسر المعاد بحصول الخلاص للبشر في هذه الدنيا مثلاً ولم يفسره بعالم الآخرة، أو فسر التوحيد، بالوحدة بين البشر، أو يفسر وجود الله بمعنى مادي مثلاً، وكذلك هل تمكن القراءة المختلفة حول أصل وجوب الصلاة، بأن تفسر بمعنى آخر غير الأعمال والركعات المعينة، وكذلك الحج والصوم وغيره من الأحكام الضرورية، فهل يمكن انكارها من باب القراءة المختلفة أو تفسيرها بغير معناها الإسلامي الضروري، نعم يمكن التطوير والاختلاف، في أدلتها، أو فلسفتها وحكمتها، أو التوصل لبعض المعالم والتصويرات عنها، وخاصة بما يستفاد من الكتاب والسنة، ويمكن الاستفادة في ذلك من معطيات العلوم والثقافة الحديثة، وهذا كله مما قام به العلماء والمفكرون والباحثون المؤمنون من الاستفادة من الأساليب والمعطيات الحديثة في

دراسة الأحكام والمعتقدات والمفاهيم الإسلامية ، كما قاموا بالاجتهاد في تلك الفتاوى والنصوص القابلة للاجتهاد ، كما أن طريقتهم في البحث العلمي محاولة الاستفادة من مختلف التجارب والمعلومات والعلوم في الوصول إلى الرأي والاجتهاد والأكثر صواباً بشرط عدم مخالفتها للمبادئ الإسلامية المسلّمة وكتاباتهم القديمة والحديثة حافلة بذلك .

إذن فإذا كان المراد من هذه النظرية نظرية تعدد القراءة للدين أو النص الديني ، ومكان اختلاف القراءة في بعض الأحكام والنصوص الظنية كاختلاف الفقهاء في المسائل الاجتهادية ، فهذا رأي صحيح ، وهو موجود عند علماءنا ، وأما لو كان المراد مكان اختلاف القراءة في جميع الأحكام والتعاليم حتى الثابتة ، وفي جميع النصوص حتى القطعية - وصحة جميع هذه القراءات - فهذا غير صحيح إسلامياً ، فهل يمكن قراءة الدين أو النص الإسلامي بصورة يلغي الحجاب أو القصاص أو يلغي الفرق بين الرجل والمرأة في الحقوق أمثال الارث والدية ، فلا توجد قراءات متعددة صحيحة في الثوابت والضروريات والقطعيات بهذا المعنى .

وبإيجاز : فهناك الكثير من الضروريات والمسلمات والمحكمات والنصوص الدينية القطعية سنداً ودلالة كالمتواترات لا تقبل القراءات والاجتهادات المختلفة ، بل ليس لها إلا قراءة واحدة ، نعم في النصوص الظنية والمتشابهات والأحكام غير المسلمة ، فإنها تقبل القراءات والاجتهادات المختلفة ، ولكن يختص ذلك بالمختصين ، مع محاولة تجنب التفسير بالرأي ، والاعتماد على الظنون غير المعتبرة .

ومنها : ما يمكن أن يقال حول فهم النص وخاصة النص الديني بأن فهم النص متأثر بمعتقدات الانسان وميوله ومعلوماته وآرائه وزمانه

ومكانه ومحيطه وتوقعات القارئ وافتراضاته واهدافه من قراءة النص ، وكذلك هو متأثر بالتراكمات الثقافية والايديولوجية والمذهبية وربما كان البعض منحرفه تؤثر في عقل المسلم وفي فهمه للنص ، وغيرها من العوامل .

ولا شك بأن النظريات الحديثة في فهم النص ، مما يجدر التعرف عليها ، لتأثيرها في فهم النص الاسلامي ، مع التأكيد على أن علماءنا لم يكونوا غافلين عنها ، ويجدر ان نؤكد ان بعض هذه النظريات في هذا المقال حول فهم النص أو تعدد القراءة وامثالها ، وان كانت علمية عند تأسيسها في الغرب ، ولم تستهدف الدين ، ويمكن الاستفادة منها بصورة ايجابية ، حتى في النص الديني ، ولكن البعض استفاد منها في هذه المجالات استفادة سلبية بل ربما منحرفة ، وتوضيح هذا الموضوع بصورة موسعة ذكرناه في مقال آخر ، ونشير هنا إلى بعض نقاطه بايجاز :

فان هؤلاء يذكرون بأن توقعات المفسر والقارئ من النص وقناعاته ومعلوماته المسبقة لها تأثيرها في فهم النص وخاصة النص الديني . فهو حينما يبحث في النص يتوقع وينتظر الوصول لمعلومات وافتراضات واجوبة معينة ، وكذلك لابد أن يحمل معلومات مسبقة عن محتويات النص ، ولو بصورة اجمالية ليفهمه ، ثم ان للكاتب توقعاته من كتابة النص ، فلا بد أن نعرف توقعاته من النص لفهمه ، فربما اختلفت عن توقعات القارئ منه ، فربما أدنى اسقاط القارئ توقعاته وميوله على توقعات الكاتب إلى سوء الفهم ، ومن هنا ربما خضع في تفسيره لهذه التوقعات والمعلومات والقناعات المسبقة ، فلا يصل إلى المراد الحقيقي للنص ، وإلى توقعات الكاتب التي ينشدها من خلال كتابه . كما أن

اختلاف زمان الكاتب ومكانه عن زمان القارئ ومكانه والتراكمات الثقافية والايديولوجية والمذهبية. ربما أثرت في فهم النص ، والوصول إلى المراد الحقيقي للكاتب وذكروا : انه لابد من معرفة ظروف الكاتب التاريخية والاجتماعية والنفسية ، وظروف مخاطبيه وخصوصياتهم ، وامكانيات الكاتب الكتابية والثقافية وغيرها ، ليفهم النص ، وكذلك لابد من معرفة المحور للنص ورسالته ، فإذا لم نعرف ذلك المحور فلا يفهم النص كما هو حقه ، فان أمثال هذه العوامل تؤثر في فهمه .

بل ربما كان مراد بعض هذه النظريات في فهم النص ، وخاصة المعاصرة ، انه حتى لو أمكن الوصول لمراد الكاتب وتوقعاته من نصه ، فليس المهم ذلك ، وإنما المهم أن يفسر كل مفسر كل نص حسب معلوماته وتوقعاته وتجاربه هو ، لأن الكاتب أحد المفسرين ، فلا قيمة لمراده ، وإنما المطلوب أن يعرف كل قارئ تصوراته عن النص ، لذلك تتعدد القراءات حسب القراء ، وإذا كان التفسير بالرأي ، وهو أن يفرض المفسر قناعاته على النص مذموماً ، فعند اصحاب هذه النظرية هو التفسير الصحيح ، ولكن هذا الرأي غير صحيح اسلامياً ، لذلك أكد على تجنب التفسير بالرأي ، فاننا نريد أن نتوصل من خلال النصوص الشرعية لمراد الشارع ، لا لتصوراتنا ويلزم التفسير ضمن ضوابط معينة ذكرنا بعضها ، لا حسب امزجة كل قارئ وعوامله الذاتية .

ولكن قد وجهت من قبل الباحثين ، حتى في الغرب ، اشكالات عديدة على هذه النظريات الحديثة حول فهم النص ، فهذا التشكيك في الفهم ، وعدم الوصول للمعنى الحقيقي وتوقعات المؤلف ، وعدم التمكن من الفهم الموضوعي ، وأمثالها ، وان قناعات القارئ والمفسر ومعتقداته وتوقعاته ومعلوماته المسبقة ، وزمانه ومكانه ، تمنعه من فهم النص كما يريده الكاتب ، لا يمكن تقبله بصورة عامة في جميع النصوص

والقراء .

فلاحظ مثلاً أنه ربما يبحث عن النص ، وهو يهدف وينتظر الوصول لمسائل ومعلومات واجوبة معينة ، ولكن يتوصل إلى مسائل أخرى ربما تكون أوسع مما توقعها ، أو مغايره لما كان يهدفه من خلال قراءته للنص . وربما لا تكون له اية معرفة مسبقة لمحتوى النص ، ولكن من خلال قراءته يتوصل لمحتواه . ويتعرف على معلومات جديدة ، كما لو دخل مكتبة مبعثرة لم يسبق له دخولها ، يأخذ كتاباً منها ، فيرى أنه يبحث حول افلاطون مثلاً ، دون أن يبحث عن غيره أو عن موضوع آخر كالرياضيات مثلاً ، فيوجد فهم من هذا الكتاب في الجملة ، ولا يتوقف فهمه على توقع وانتظار مسبق .

إذن فربما لم يحمل أية فكرة عن النص ، أو يتوقع شيئاً ، أو أنه كان يتوقع أمراً آخر ، ولكن بعد قراءته يتوصل لمعلومات وقناعات جديدة وتوقعات أخرى ، بالاضافة إلى أن علماءنا دائماً يؤكدون ويحاولون التجرد الموضوعي حين قراءة النص ، أو خلال عملية الاستنباط ، عن قناعاتهم وظروفهم وتوقعاتهم ومعلوماتهم والكثير من العوامل الذاتية ، فربما كان الفقيه يؤمن بالفلسفة ويقرأها ولكن يحاول مهما أمكن عدم التأثر بالمعلومات والفهم الفلسفي الدقيق ، خلال بحثه الفقهي ، الذي يعتمد الفهم العرفي ، فلا يمكن القول بخضوعه الجبري دائماً لقناعاته ومعلوماته المسبقة .

أجل .. في معرفة المعنى الدقيق والمراد الجدي والواقعي للنص ، أو الحكم أو المبدأ الشرعي من النص الديني - بصورة دقيقة - هناك قواعد وأساليب ذكرها علماءنا وخاصة في الفقه والاصول والكلام . وبالخصوص في مباحث الالفاظ ، وما يمكن أن يعرضها من تطور وتجديد ، بمقتضى فتح باب الاجتهاد وانفتاحه . وما يمكن أن يستفاد من

تجارب الآخرين وتطور العلوم أيضاً، بما لا يتصادم وأحكام ومبادئ الشريعة الحقة، وضرورياتها ومسلماتها، فهناك أساليب عديدة ذكرت أو تذكر في أساليب معرفة المعنى أو الحكم من النص خاصة، حيث يعتمد على ظهور اللفظ في معنى في زمان النص ومكانه إذ ربما طرأ على المعنى تغير بفعل الزمان والمكان وربما كانت لظروف النص تأثيرها في فهم النص بدقة، وكذلك لمعرفة آراء سائر المذاهب المعاصرة للنص الصادر من المعصوم تأثيره في فهمه، أو ان القضية اللفظية صدرت على نحو القضية الخارجية أو الحقيقية، والتفريق بين المفهوم ومصاديقه وتطبيقاته التي قد تقبل التغير والتطوير - وكذلك - بحوث العام والخاص والمطلق والمقيد، وأمثالها، من الحكومة والورود، وحمل أحدهما على الآخر، ومباحث تعارض الأدلة وأساليب العلاج، أو صدور القول من المعصوم لبيان الحكم الواقعي الجدي أو للتقية، أو التعرف على أدلة جديدة في الاستنباط كالاستفادة من حساب الاحتمالات، هذه الأساليب وغيرها، مما هي موجودة، أو مستجدة، وهي في الغالب أساليب عقلانية، وعرفية، لعموم المسلمين، أو لبعض المتكلمين، أمثال المعصومين، كلها لها تأثيرها في فهم النص الديني فهماً دقيقاً، بحيث يعتمد عليها الاجتهاد الشرعي، كما اعتمدها علماءنا في بحوثهم المختلفة، وذكروها غالباً في بحثهم الفقهي أو الاصولي.

فان أمثال هذه الأساليب والقواعد، وأمثالها، تكفي في معرفة معاني النصوص الواضحة المعنى، ومعرفة أحكامها ومرادها الجدي، حيث أن أمثال هذه النصوص، كما ذكرنا، لا تقبل القراءات والاجتهادات المختلفة وإنما لها، قراءة واحدة، من حيث القبول والانكار، كالأحكام الضرورية والقطعية، والمسلمات وأمثالها، التي تدل عليها النصوص الواضحة، التي لا تقبل الاجتهاد المتعدد فيها، وأما النصوص الظنية أو المتشابهات،

فيمكن التوصل لمعانيها ، واستخراج الحكم منها ، من خلال المحكمات ، واعتماد الأساليب والطرق ، وفي هذه النصوص ، ربما اختلفت التفسيرات والآراء ، لأنها قابلة للتفسير .

فتكفي معرفة لغة النص وقواعدها ، والقواعد والأساليب العامة أو الخاصة بالنص الديني ، في معرفة الالفاظ الواضحة المعنى ، والوصول لمراداتها الجدية ، وأما النصوص الظنية ، التي ليس لها ظهور جازم في المعنى ، أو المتشابه ، فيمكن تفسيرها على ضوء الالفاظ الواضحة ، ومسلماته وأساليبه ، وفي هذا المجال ربما اختلفت الآراء في فهم النص ، ولكن الكثير من نصوص الكتاب والسنة واضحة المعنى ، ويكفي في فهمها ما ذكره من قواعد وأساليب ، حيث يمكن من خلال القراءة الموضوعية الدقيقة للنص الوصول لفهمه وتوقعاته ومحوره ، ولا يتوقف فهم الكثير منها على وجود تلك المعلومات القبلية أو معرفة امكانيات الكاتب ، أو معرفة توقعات النص وظروفه التاريخية ، فربما لا يعرف القارئ لغة النص أو توقعاته وظروفه فيتعلمها ، أو يواجه الكتاب لأول مرة ، فيفهم النص ، وان كان فهماً عاماً كما سنذكره ، فكيف عرف أهل الجاهلية ، أو غير المسلمين بل حتى المسلمين الكثير من معاني القرآن أو السنة وتعاليمه ورسالاته من خلال قراءته فهناك فهم عام يدركه كل أبناء اللغة من النصوص ، فيما لو عرفوا لغة النص وقواعده ، ولا يتوقف على معرفة ما ذكر من قبلات وتوقعات ومحاور ، وانكار هذا الفهم خلاف الوجدان - كما سنذكر - ثم انه على تقدير القول بالتأثير الجبري لقبليات القارئ وميوله وظروفه التاريخية في فهم كل نص . وعدم تمكنه من التجرد الموضوعي في فهم واقعه ، حيث لا يمكنه التوصل إلى فهم مراد النص وتوقعاته ومحاوره ورسالاته وإنما يفهم معلوماته وتوقعاته هو ، فإذا كان هو مراد البعض من التأثير ، فهذا

يستوجب النسبية في فهم النص وقراءته لأن لكل قارئ ميوله وظروفه ومعلوماته وتوقعاته ، فتنوع القراءات ، وإذا حكمنا بصحتها جيمعاً ، فماذا تكون النتيجة بحيث يكون كل فهم من قبيل التفسير بالرأي ، بحيث يفرض القارئ قناعاته على تفسير النص ، وهو ما رفضته الأحاديث الشريفة وعلمائنا؟ ولعل الأساس لنسبية الفهم والقراءة ، وتعددتها للنص الديني ، أو صحتها ، أمثال هذه النظرية الغربية .

ولكن كما ذكرنا ، أن الكثير من النصوص القطعية والواضحة يمكن فهمها ، وحتى الظنية ، يمكن فهم النص بدقة ، من خلال ما ذكرناه من أساليب ، في معرفة لغة النص في زمانه ومكانه ، وأقسام النص ، وقواعده وأساليبه ومسلّماته ، وكذلك ما يؤثر في فهم النص بدقة من معرفة شأن النزول ، وظروف صدوره بالمعنى الذي ذكرناه ، وأمثالها ، مما ذكره علمائنا ، وفي النصوص العلمية التخصصية تحتاج لمعرفة تخصصية وهذا بحث آخر ، حيث أننا من خلال هذه المعرفة يمكننا الوصول لفهم النص . وسيأتي أن على الباحث مهما أمكن محاولة التجرد الموضوعي حين قراءة النص ، حتى لا يخضع للتبعية والتقليد الأعمى في الفهم ، أو إلى التفسير بالرأي - بالمعنى الذي ذكرناه في الحلقة السابقة - ، والعوامل الذاتية ، والتراكمات الثقافية ، والايديولوجية . وخاصة إذا كانت منحرفة ، ومحاولة التخلص من هيمنتها على تفكيره وفهمه وقراءته ، وهذه المهمة وإن كانت شاقة أحياناً بالنسبة لبعض الأفراد ، أو بعض النصوص ، وخاصة الظنية والمتشابهة ، ولكن هناك نصوص واضحة لا تحتاج كثيراً لذلك ، ولكن على كل حال . يمكن للقارئ التخلص من هذه التراكمات الثقافية والايديولوجية والعوامل الذاتية ، ليقرأ النص قراءة موضوعية ، كما ذكرنا ، وليست هذه المهمة ممتنعة ، في جميع النصوص القطعية والظنية .

إذن فالعلماء أساليب عديدة في فهم النص والاستنباط ، والوصول للمراد الاستعمالي أو الجدي ، ويواصلون التجديد .

إذن فإذا كان المراد من هذا الرأي في فهم النص ، ان المعلومات السابقة مؤثرة في فهم النص ، وأنه لابد أن يحمل القارئ بعض المعلومات ليفهم النص سواء الواضح أو الظني أو المتشابه ، فهذا صحيح ، ولكن بالمعنى الذي ذكرناه ، وهو معرفة اللغة وقواعدها وبعض القواعد والأساليب المؤثرة في فهم النص الواضح وغيره ، وتساعده على الفهم العام ، ومعرفة المراد الاستعمالي أو الجدي ، ولعل مراد بعض القائلين بتأثيرها في فهم النص ، أو في فلسفة الفقه هو هذا المعنى ، وهو رأي صحيح ، يلزم على كل باحث وخاصة في الفقه معرفتها ، مع التأكيد على عدم غفلة علماءنا عن الكثير منها ، وعن مسائل فلسفة الفقه ، ولكن يجدر التعرف على آراء ومسائل فهم النص ، وفلسفة الفقه وخاصة الحديثة من أجل الاستفادة منها في فهم النص أو الفقه أو تقويمها ، وأما إذا كان المراد ان صناعات القارئ وتراكماته الثقافية والايديولوجية ، ومعتقداته ومعلوماته وظروفه وتوقعاته ، تمنعه جبرياً من فهم النص ، والتعرف على مراد الكاتب وتوقعاته ومحوره في مختلف النصوص ، حتى النصوص الواضحة ، فهذا لا نقبله بعمومه ، فهناك الكثير من النصوص وخاصة الواضحة يمكن فهمها على ضوء القواعد والأساليب المذكورة ، والوصول لمحاورها وتوقعات الكاتب ورسالته من النص . وكذلك لا نقبل ما ذكر ، بأن المفسر يلزم أن يفهم معلوماته وتوقعاته هو من النص ، لا مراد الكاتب وتوقعاته ، وان أمكنة الوصول لمراد الكاتب ، إذ نحن نريد معرفة أحكام الشارع وتعاليمه من خلال نصوصه ، لا تصوراتنا . ثم ان التفسير يلزم أن يكون ضمن ضوابط معينة ذكرنا بعضها ، لا حسب أمزجة كل مفسر وعوامله

الذاتية.

نعم يحتاج القارئ والمفسر لمعلومات مسبقة تساعد على فهم النص، كاللغة والنحو والصرف ومعرفة أساليب المتكلم في الكلام سواء كانت أساليب عامة لجميع المتكلمين، أو مختصة لأمثال هذا المتكلم الخاص، كما لو اعتمد المتكلم على قرائن متصلة أو منفصلة للكلام، فلا يمكن الأخذ بكلامه دون البحث عن القرائن، فمثلاً لا يؤخذ بالعام إلا بعد البحث عن المخصص، وكذلك ملاحظة القرائن الحالية واللفظية، أو كون المتكلم في مقام بيان المراد الجدي أو غير الجدي كما لو كان في مقام التقية، أو الهزل وأمثالها، فلا بد من التعرف على أمثال هذه المعلومات والأساليب لفهم النص، والتوصل للمراد الاستعمالي أو الجدي للمتكلم وهذا مما لا ينكره علماؤنا، وقد اعتمدوه خلال بحوثهم في فهم النص الديني، وذكروا أمثال هذه الأساليب والقواعد في الفهم، خلال بحوثهم وخاصة في علم الفقه والاصول.

كما أن الكثير من هذه الأساليب لها تأثيرها في معرفة المراد الجدي للمتكلم، لا المراد الاستعمالي، حيث يكفي في فهم النص معرفة اللغة وبعض المعلومات، دون أن تؤثر في فهمه، بحيث تحجبه عن الوصول لمراد المتكلم، بل انها تساعد على الوصول لمراده وفهم ما يريد المتكلم أو الكاتب حقاً واقعاً.

وقد ذكروا ان من شروط الفهم حتى فهم النص الديني تأثير العلوم الأخرى، فماله تأثيره في قبول الدين له تأثيره أيضاً في فهم النص الديني وهناك الكثير من الأمور لها تأثيرها في قبول الدين، فمثلاً لا بد من الاعتماد على الكثير من المقدمات الكلامية والفلسفية من أجل الاعتقاد أو اثبات الله تعالى وتوحيده والنبي والمعاد والامامة والوحي والقرآن وأمثالها، لا بد من تنقيح هذه المقدمات والمرتكزات وتصحيحها حتى

يمكنه الاعتقاد أو اثبات هذه المعتقدات ، ومثل هذه المقدمات لها تأثيرها أيضاً في فهم الدين ، والنصوص الدينية ، ولا يمكن فهم الدين بدونها .
ولكن يمكن أن يلاحظ على ذلك :

اننا نجد بعض الباحثين غير المتدينين أو غير المسلمين لا يؤمنون بالاسلام ، ولكنه يفهم الاسلام والنص الاسلامي ولو كان فهماً عاماً فإذا كان شرط القبول هو شرط الفهم ، فيلزم أن لا يفهم غير المسلم الدين أو النص الديني ، لأنه لا يتقبل تلك المعتقدات ، ولم يحاول البحث عن تلك المقدمات والمرتكزات العقائدية ، وتنقيحها وتصحيحها ، نعم فهم الكتاب والسنة بمرتبه العاليه الخاصة التي تبعت على الايمان والاعتقاد ، فانه مشروط بالايمان ، وبالبحث عن تلك المقدمات ، والاعتناع بها وتصحيحها ، ولكن كلامنا في ذلك الفهم العام ، فهناك فهم مشترك بين المسلم وغيره للنص الديني ، فانه يفهم معنى النص ومحتوياته ، دون أن يحاول تقبل تلك المرتكزات العقائدية ، كذلك يمكنه فهم رأي القرآن حول البيع والشراء والتوحيد والايمان وأمثالها ، فيما لو لم يكن مغرضاً في محاربة الاسلام كبعض المستشرقين . ثم من قال بخطأ جميع التراكمات الثقافية والمذهبية . فان بعضها صحيح لاعتمادها على الكتاب والسنة الصحيحة فلها تأثيرها الايجابي في فهم النص . وربما ساعدته معلوماته المسبقة في فهم واقع النص أكثر . ولو كان لمعتقداته وتراكماته وخاصة إذا كانت منحرفة تأثيرها الجبري ، فكيف أمكن للبعض الانتقال من دينه أو مذهبه لآخر ، نعم ربما كان تأثيرها على سبيل الاقتضاء لا العلية التامة والجبرية ، فيمكنه التخلص منها ، كما يمكن للمنحرف الذي عاش بيئة منحرفة الاتجاه للهداية ، ولكن يحتاج لمشقة أكبر في التخلص منها ، من ذلك الذي عاش بيئة طاهرة ، وهكذا من عاش تراكمات ثقافية منحرفة يحتاج لمشقة أكبر في التخلص منها في بحثه لتكون نظرة موضوعية .

لذلك على الباحث أن يجهد مهما أمكن في بحثه لتكون نظرتة موضوعية أكثر مجردة من التأثيرات المنحرفة ، فنحن لا ننكر تأثيرها ومشقتها ، ولكن ننكر استحالة التخلص منها ، لذلك نرى علماؤنا يحاولون مهما أمكن أن يكون اجتهادهم موضوعياً ، يتجردون خلاله من شتى المؤثرات والآراء ، والتبعية والتقليد لها ، لذلك كثيراً ما جددوا آراءً أو ناقشوها . ولا ننكر اشتباه البعض في الاجتهاد ، أو وجود روح التبعية ، أو تأثير المؤثرات الثقافية والايديولوجية في بعض الناس والباحثين ، ولكنها ليست ظاهرة عامة .

وكذلك ربما يدخل الباحث في البحث عن النص الديني ، من الكتاب والسنة ، بمقدمات وقناعات عقائدية وإسلامية معينة ، ولكنه يتوصل من خلال قراءته إلى خلاف قناعاته ، فمثلاً يدخل في قراءة الكتاب والسنة مع الاعتقاد بأنه يبحث عن الدنيا ويهتم بها ، ثم يتوصل بعد قراءته أنه يهتم بالآخرة أو بالدنيا والآخرة .

إذن فللمعلومات المسبقة تأثيرها في فهم النص ، ولكن بالمعنى الذي ذكرناه ، من معرفة معاني الالفاظ وبعض المعلومات وأساليب الكلام ، وهذه تساعد على الوصول لمراد الكاتب ، لا أنها تحجبه عن الوصول إليه .

وقد ذكرنا في المقال المذكور : أن هناك مراحل لدلالة اللفظ ، الدلالة التصورية أي فهم المعنى من اللفظ سواء كان مقصوداً للمتكلم أم لا ، والدلالة الاستعمالية التفهيمية أي فهم المعنى المقصود للمتكلم من اللفظ ، والدلالة الجدية ، بأن يكون المعنى الذي قصد المتكلم تفهيمه ، مراداً له جداً وواقعاً ، فإذا أخبر فيقصد الأخبار حقيقته وإذا أمر فيقصد الأمر واقعاً ، لا أنه تكلم به من باب الهزل ، أو التقية والمجاز وأمثالها . وفي المرحلتين الأولى والثانية ، لا نحتاج في فهمها من النص

للمسبقات العقائدية أو القرائن العقلية ، غير ما ذكرناه من معرفة اللغة وبعض المعلومات ، بل يشترط تجرده عن تلك المسبقات والقرائن ، ليفهم النص الظاهر من الكلام ، حسب التعهدات العقلائية العامة في باب استعمال اللفظ ، وأن كل متكلم يريد من اللفظ المعنى الظاهر منه ، فلا بد من تجريد الذهن ليفهم المعنى الظاهر من اللفظ .

وأما المرحلة الثالثة : أي المراد الجدي للمتكلم ، والتوصل إليه ، فيعتمد على أصل عقلائي ، وهو اصاله التطابق بين المراد الاستعمالي والجدي ، وأن المعنى الظاهر من الكلام حسب الدلالة الاستعمالية هو المراد الجدي للمتكلم واقعاً لأنه تكلم به من باب الهزل أو التقية ، أو بقصد معنى مجازياً آخر ، وإلا لو كان يريد غيره لنصب قرينة على ذلك ، لذلك لو وجدت قرينة قطعية على عدم إمكان ارادة المتكلم للمعنى الظاهر من اللفظ ، فلا يؤخذ بظاهره ، بل لابد من حمله على معنى يتلاءم وتلك القرينة القطعية ، ومن هنا يأتي دور القرائن ، والأساليب التي ذكرناها في الكشف عن المراد الجدي للنص ، فمثلاً لو دل النص على أن لله تعالى جسماً ، فلا بد من حمله على معنى آخر ، لاستحالة نسبة الجسم له تعالى ، فمثل هذه القرائن القطعية لها تأثيرها في فهم المراد الجدي فحسب ، وكذلك ما ذكر من تأثير معرفة شأن النزول والمحيط الذي صدر فيه النص في فهمه ، ومعرفة القرائن المتصلة والمنفصلة ، وأمثالها ، إذن فلا بد من تجرد الذهن من القرائن الخارجية في فهم المراد الاستعمالي ، وإنما نحتاج إليها في فهم المراد الجدي ، وما ذكر من توقف فهم النص على معرفة تلك المسبقات والقرائن بصورة مطلقة غير صحيح .

فالملاحظ أن علماءنا في مجال فهم النصوص بصورة عامة ، والنص الديني بصورة خاصة ، تعرضوا للكثير من الأساليب التي لها تأثيرها في هذا الفهم ، وهي أساليب عقلائية عامة أو مختصة بالكتاب والسنة ، مع

التأكيد على أن البحث بصورة أوسع وأعمق يحتاج لدراسة أوسع .
ويلزم ان نؤكد على امكان الوصول إلى الكثير من المفاهيم والتعاليم
والأحكام الواقعية من خلال النصوص الدينية القطعية ، من المحكمات
والنصوص والظواهر المسلّمة من الكتاب والسنة الشريفة ، وان كانت
هناك بعض الظواهر في بعض الأدلة الظنية سنداً أو دلالة ، التي تستند
إليها فتاوى الفقهاء واجتهاداتهم ، وآراء العلماء قابلة للتغيير واختلاف
العلماء في فهمها وهذا ما لا ننكره لاعتراف علمائنا بأن الكثير من
الأحكام ظاهرية يمكن أن تصيب الواقع أو تخطأه ، ولكن هناك الكثير من
المفاهيم والأحكام والمعتقدات قطعية في الفهم ، لا تقبل الغموض
والتغير والاختلاف .

وقد بعث الاسلام لهداية البشر وايصالهم إلى الكمال والسعادة في
الدنيا والآخرة ، وما يضمن الكمال والسعادة هو الاسلام الحقيقي ، لا
فهم الانسان بالمعنى الذي يحجبه عن التوصل للأحكام والمبادئ الالهية
الواقعية بصورة مطلقة . فهل يتلاءم هذا العجز المطلق عن اىصال
الشارع لمفاهيمه وتعاليمه أو عجز البشر عن الوصول إليها مطلقاً ، مع
أهداف التشريع . وربما يصح ذلك في النص البشري الذي تؤثر فيه شتى
العوامل ، لا في مثل النص الالهي الصحيح الذي يقصد تفهيم البشر
وهدايتهم إلى يوم القيامة .

ويدل على ذلك تصريح القرآن الكريم بأنه عربي مبين ، ودعوة البشر
إلى فهمه والتدبر فيه ، وأخذ الأحكام من الكتاب والسنة ، لأجل التوصل
إلى كمالهم وسعادتهم ، وإلا إذا لم يمكن فهمه فما جدوى التأكيد على
فهمه ، وأخذ الأحكام منه ، بل سوف تنتفي مرجعية هذه المصادر
وحجيتها في الاستنباط ، وقد ناقش علمائنا في علم الاصول في
موضوع حجية الظواهر ، وظاهر الكتاب الشريف هذه الآراء التشكيكية

حول فهم النص القرآني ، أو النص بصورة عامة .

ويلزم أن نؤكد أن الاسلام يعترف بالرجوع في الكثير من المجالات للعرف والعقلاء ، وأهل الخبرة والشورى ، وخاصة في تحديد موضوعات الأحكام أو مصاديقها ، أو تطبيقاتها ، وخاصة في مجال المعاملات والعقود والايقاعات ، بل يعترف حتى بالمعاملات المستحدثة ، بشرط عدم مخالفتها للأحكام والقواعد الاسلامية العامة ، ومن هنا يختلف مفهوم (الديمقراطية) والرجوع لرأي الشعب في الاسلام عن مفهومه الغربي ، فبالاضافة لما ذكرناه حول الحرية ، بأن الاسلام لايعترف بالاباحية بلا حدود وقيود ، وكذلك يلاحظ أنه في المفهوم الغربي يكون للشعب حق التشريع أيضاً ، ومن هنا نشأ الاعتماد على القوانين الوضعية ، ورفض القوانين والتشريعات الالهية . ثم أن الرجوع لابد أن يكون للعقلاء بما هم عقلاء ، لا بما هم خاضعون للتقاليد والأهواء وعوامل الارهاب والاغراء وأمثالها ، وهذا أيضاً ذكره علمائنا حين بحثهم عن حجية حكم العقل والعقلاء وسيرتهم .

ولكن الهدف من بعثة الأنبياء والشرائع الالهية هداية البشر لطفاً بهم ، لا التبعية لاهوائهم الباطلة ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض﴾ ، ومقياس الحق في القانون تأثيره في تحقيق الكمال النهائي للانسان ، وقربه من الله ، لا موافقته لأهواء بعض الناس ، ولكن وكما سنذكر ان الاسلام يؤكد وخاصة في مجال التبليغ على عدم الاكراه ، وعلى التدرج في بيان الأحكام ، ومداراة الناس والحكمة والموعظة الحسنة وأمثالها .

والملاحظ ان الكثير من هذه الآراء التي ذكرناها ، حول الحرية ، والقراءات المختلفة ، وتغير الشريعة ، ورفض المقدس والثابت ، والرجوع المطلق للناس حتى في مقام التشريع وأمثالها ، بمفهومها

المنحرف ، لا بمفهومها الاسلامي الصحيح ، حيث لا ينكر الاسلام هذه المفاهيم ، ولكن يفسرها بما يتلاءم والاسلام ، وبما يبعتها عن الانحراف واثارها السلبية كما ذكرنا ، ومن هنا فنسبة انكار الاسلام لهذه المفاهيم غير صحيحة ، وربما كانت مغرضة ، ولكن محاولة تفسيرها بمفهومها الغربي المنحرف ، ناشئ من التأثر بالثقافة الغربية والعلمانية دون محاولة التعرف على الثقافة الاسلامية ومعطيات الكتاب والسنة ، وجهود علماء المسلمين ، وخاصة مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وبذلك تأثر أمثال هؤلاء بنظرة الغربيين لأديانهم ، المسيحية واليهودية ، وكتبهم السماوية ، التوراة والانجيل وقياس الاسلام أو القرآن الكريم بهما ، مع أن القياس بينهما مع الفارق ، فإن تلك الأديان أو الكتب السماوية أما أنها منسوخة ، أو محرقة ، وأما الاسلام فليس منسوخاً ، لما ذكرناه من خلوده وخاتمية نبي الاسلام ، وأما القرآن الكريم فإنه لم يتعرض للتحريف ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١).

ونحن لا نخالف الاستفادة من الثقافة الغربية وعلومها وتجاربها ومعطياتها الفكرية والثقافية والصناعية وأمثالها ، من المجالات الايجابية ، بل نرى من الضروري مواكبة التطورات الحديثة ، بل لا يمكننا تجنب هذا التأثير ، ولكن يلزم علينا أن نحافظ على أصالتنا وثقافتنا الاسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، والتزود منها ، لنا ولأبنائنا ، حتى لا نتأثر بالمجالات السلبية والمنحرفة من هذه الثقافة والحضارة ، فإن الملاحظ ان البعض غريب عن الثقافة الاسلامية الأصيلة ولا يحاول التعرف عليها ، بل ربما لا يعترف بها ، ويعتقد بتخلفها ، ويحاول فحسب قراءة الثقافة الغربية ، أو المتأثرة بها ، ويعتقد بتفوق وصحة كل ما

تحمله الحضارة والثقافة الغربية ، حتى في مفاسدها وشهواتها وآرائها المخالفة للدين والمذهب ، وعلمانياتها وأمثالها من المجالات السلبية والمنحرفة ، ويحاول الترويج لهذه الثقافة بين المسلمين بمختلف الأساليب ، من خلال الصحافة ووسائل الاعلام والسينما والخطابة والكتابة وغيرها ، وبعض هذه الأساليب ربما كانت مثيرة ومغرية للبعض ، وبذلك ربما أثرت في انكار بعض الأحكام والمعتقدات الاسلامية الأصيلة أو التشكيك فيها ، حيث لم يتعرف على الثقافة الاسلامية ، ورأي الاسلام فيها ، وإنما تعرف فحسب على الثقافة الغربية أو العلمانية ، فلا يملك قوة التقويم والتمييز بين السليم والسقيم منها ، حيث ذكرنا اننا لا نخالف هذه الثقافة أو الجوانب الايجابية منها ، وإنما نخالف سلبياتها وانحرافاتنا ، اتباعاً للمنطق القرآني ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (١).

ان الاسلام لا يكره أحداً على اعتناقه ، كما تشهد لذلك النصوص والتاريخ الاسلامي ، فلم يكره حتى وهو في ذروة قوته أحداً على اعتناقه ، حيث كان يعيش غير المسلمين في بلد الاسلام بكل أمان ، ولكن بعد أن يزيل عوامل الفتنة والانحراف ، من الطغاة والمنكرات الشيطانية المثيرة ، والألسنة والاقلام المسمومة التي تتخذ أساليبها سُلماً لاطماعها وشركاً لاصطياد المخدوعين ، أو التي لم تستخدم الأسلوب العلمي والموضوعي ، بل اسلوب التآمر والاثارة الشيطانية والسباب والخداع وأمثالها ، أجل بعد أن نزول عوامل الفتنة ، من خلال الكلمة والموعظة الحسنة ، والحكمة ، أو بالقوة ضمن شروط معينة لا مطلقاً ، كما يلاحظ في مجال الحدود والتعزيرات وبإذن الحاكم الشرعي لا لكل أحد ويتطهر

الفرد أو المجتمع منها ، فسوف يمكنه أن ينظر الاسلام ولسائر المبادئ برؤية علمية وموضوعية متحرراً من الاغلال ، لذلك رأينا الكثير من الأفراد والشعوب اندفعوا لاعتناق الاسلام بعد زوال عوامل الفتنة التي تحجب البصر والبصيرة ، وخاصة في البلاد المفتوحة .

ان القرآن الكريم يصرح ﴿ لا اكره في الدين ﴾^(١) فلا يكره أحداً على اعتناق الدين ، بل ان الايمان لا يخضع للاكراه ، ولا بد أن يصدر عن قناعة شعورية ، ولكن إنما لا يكره أحداً على اعتناقه بعد ازالة عوامل الفتنة . وبطبيعة الحال لو ازيلت عوامل الفتنة ، فان الانسان سوف يختار الاسلام ، لأنه يملك الحجج والأدلة القوية والمحكمة على اثباته . وذلك لأن «الاسلام يعلو ولا يعلى عليه» كما ورد عن الرسول ﷺ ، ومن جملة تفسيرات هذا الحديث الشريف ، أن الاسلام يعلو على سائر الأديان والمبادئ بالحجة والبرهان (لأن حقيقة الاسلام مستندة إلى الحجج الواضحة والبراهين اللائحة بحيث يفهمها كل عاقل مميز ، ويتضح ذلك جلياً لمن يلاحظ الآيات القرآنية ، وكيفية استدلاله تعالى على المبدأ والمعاد وغيرهما ببيان واضح يفهمه أي أحد بلا احتياج إلى مقدمات بعيدة بخلاف سائر الأديان)^(٢) والمبادئ .

وأخيراً يجدر التأكيد على هذه الملاحظة : ان من مميزات مدرسة أهل البيت ﷺ وعلماؤها (الاجتهاد) ، وان فهم فقيه واجتهاده ورأيه ليس حجة على فقيه آخر أو مقلديه ، وإنما هو حجة لنفسه ومقلديه ، ومن هنا رأينا اختلاف العلماء في الفتاوى والآراء ، ولكن إنما يكون ذلك في المسائل الخلافية والظنية أو المتشابهات التي تعتمد على الأدلة الظنية سندا أو دلالة . دون الضرورية أو المسلّمة أو المتواترة ، والنصوص القطعية

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) مصباح الفقاهة ١ : ٤٩١ .

سنداً ودلالة ، وأمثالها مما ثبت صدوره جزمًا من الشارع المقدس ، سواء في مجال الأحكام أو المعتقدات التي لا تقبل الاجتهادات والقراءات المختلفة ، وإنما يبحث عن طرق معرفتها ، ووجودها وإثباتها .

أما ادعاء أن العلماء يرددون آراء العلماء السابقين وتفسيراتهم للنصوص سواء في الأحكام أو العقائد ، دون أن يحاولوا الإبداع أو التجديد أو الاشكال ، فهذا ينافي ميزة الاجتهاد ، ويخالف واقع بحوثهم وكتاباتهم ، فكم رفضوا تفسيرات السابقين واجتهاداتهم ، وتوصلوا إلى تفسيرات وآراء أخرى ، نعم لو ثبت عندهم صدور الرأي قطعياً من الشارع المقدس خضعوا له .

وكذلك اتهامهم ، بأنهم يفرضون آراءهم على الآخرين بدون دليل ، فهو غير صحيح ، فإن أي فقيه لا يفرض رأيه على فقيه آخر ، وكثيراً ما حاول مناقشته .

أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام تتميز عن الكثير من المدارس بالاجتهاد الحر وبالحوار العلمي الموضوعي ، ورفض التقليد واجترار آراء الآخرين ، وفرض الآراء بالاكراه والجبر وذلك لأنها تملك الحجة والبرهان الأقوى في مختلف المسائل والمجالات ، ولكن ذلك يختص بالخبراء المتخصصين بالدراسات الاسلامية ، كما يقتضيه حكم العقل والعقلاء .

كما أن من سيرة علمائنا الاستفادة الصحيحة من تجارب الآخرين وعلومهم حتى غير المؤمنين ، في مختلف بحوثهم ، كما يلاحظ استفادتهم من علوم النحو واللغة والبلاغة وأمثالها ، ومن معطيات العلوم الحديثة كحساب الاحتمالات ، أو النظريات العلمية والفلسفة الحديثة وغيرها ، ولكن بشرط عدم مخالفتها للمبادئ الاسلامية المسلّمة والثابتة من الكتاب والسنة .

منهجية الحوار في الاسلام

❦ بعض عبد الرزاق (هولندا)

بدأ الحوار قبل وجود البشرية ، ففي اللحظة التي أعلن فيها سبحانه وتعالى أنه سيخلق بشراً استفسرت الملائكة عن هذا المخلوق الجديد . استجابت لأمر الله فسجدوا كلهم إلا إبليس رفض الانصياع للأمر الالهي ، وهنا بدأ حوار آخر بين الله وإبليس . نقاش واحتجاج انتهى بتأجيل العقاب الالهي حتى يوم القيامة .

هنا يمكننا أن نقارن بين الإله الجبار يبدو مستعداً للحوار والجدال والمناظرة ، وبين هذا الإنسان العاجز الذي يرفض الحوار مع الآخر . القوي مستعد للحوار والضعيف يرفضه ، وهذا بداية مسار البشرية الذي اختطه الأنبياء ﷺ .

ما هو هدف الحوار؟ هل هو مجرد إيصال الأفكار المختلف عليها إلى

رؤية واضحة ، من أجل إيجاد قناعة مشتركة حولها ، ثم توحيد المواقف تجاهها؟ أي هل يقتصر الحوار على أداء الجانب الفكري أو العقائدي من القضية؟ أم يتضمن جوانب أخرى؟ الحوار هو الالتقاء بين طرفين لهما وجهات نظر مختلفة وقناعات متباينة . وقد يحمل كل طرف عقدة تجاه الآخر بسبب الأجواء المشحونة بالتعصب والعداء . فالحوار يجعل كلاً منهما يلتقي الآخر ، يحاوره ، يطرح أفكاره عليه ، ببذل جهوده لإقناعه . هذه العملية تساهم في تقليص حدة التوتر والتعصب تجاه أحدهما للآخر حين يلتقون على مفاهيم مشتركة تبعث مشاعر الود والطمأنينة .

الحوار في الإسلام يحمل صفة تأسيسية تطفئ على مجمل النشاطات الفكرية والعقائدية . فالحوار أسلوب حضاري يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة وفي تغيير القناعات الخاطئة باتجاه التكامل والحق . والحوار أسلوب عملي في حركة الصراع في القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية لأنه أفضل وسيلة يستطيع الإنسان بواسطتها التعبير عن أفكاره وآرائه في رفضه أو قبوله لأفكار الآخرين ، في موقع الاختيار والحرية .

والقرآن الكريم كتاب حوار ، ينفث على المشاركين والملحدين والمنافقين وأهل الكتاب وكل (الآخر) المغاير لنا في الدين أو المذهب أو الاجتهاد . لذلك يجب أن نعمل على إيجاد مجتمع الحوار الذي ينفث فيه الإسلام على كل الأفكار المضادة ، وينفتح المجتمع المسلم على المجتمعات الأخرى . ولا بد من تحصين الحوار بالضوابط التي تمنع استغلاله لأغراض أخرى ، فإن وجود المشاكل فيه لا يعني إلغائه ، بل يعني العمل على دراسة هذه المشاكل ، ليجتمع لنا الحوار والمسؤولية والحرية المنضبطة في نطاق النظام العام للأمة .

إننا نواجه الكثير من الإتهامات التي تتحدى الصورة الحقيقية للإسلام في عقلانيته وموضوعيته وقوته الفكرية في مواقع الحوار لترسم له صورة الدين الذي يرفض العقل والمنطق. إن الحوار قادر على مواجهة الفكر المضاد والحركة المضادة ، وهو الذي يقرر مصير المواجهة الفكرية والسياسية والفلسفية مع (الآخر).

إن غياب الحوار كممارسة أصيلة بين أبناء الأمة الواحدة ، بين الحاكم والمحكومين ، أدى إلى نمو الإرهاب الفكري والإختناق السياسي لدى الشعوب المسلمة . وغياب الحوار يعني استبداله بالعنف الذي تمارسه الحكومات ، ويؤدي إلى عنف مضاد للتيارات السياسية والفكرية المحرومة من حق التعبير عن آرائها وأفكارها ومواقفها .

إن الذي يرفض الحوار مع الآخر يعاني من ضعف فكري وعجز أيديولوجي . فهو لا يملك الحجة القوية التي تؤكد رأيه أمام الخصم ، أو لا يملك المنطق العقلاني الذي يدحض حجة الرأي المخالف له ، فيضطر هذا الضعيف في فكره وحجته ، لتغطية ضعفه بالأساليب التهويلية بإثارة الإتهامات التي لا تركز على أساس ، أو الإنفعالات العاطفية التي تثير الواقع الشعبي السطحي ، وتدفعه إلى اتخاذ المواقف الغوغائية ضد الفكر الجديد .

ولعل من مشاكل حركة الحوار في المجتمع ، تلك العصبية الحادة التي يعيشها الناس في التزامهم بموروثاتهم الفكرية ، وعاداتهم التقليدية ، أو في مواقفهم الحادة في خطوطهم الاجتماعية أو السياسية بفعل العقلية الحادة التي تواجه الفكر الآخر أو الموقف المضاد بطريقة انفعالية لا بطريقة عقلانية . وهذا ما يعانيه الواقع الإسلامي من فقدان روحية الحوار داخل تنوعاته المذهبية ، في ما يلتزمه هذا المذهب أو ذاك

من المفردات المتصلة بتفاصيل العقيدة أو الشريعة ، لأن ذلك قد يمثل انتقاصاً من حالة الثبات التي يريدها المذهبيون للخطوط الفكرية أو الفقهية ، لأن الحوار قد يؤدي إلى نوع من الإهتزاز الذي يتهدد بالسقوط تحت تأثير الحجة القاطعة التي قد تثبت بطلانها أو ابتعادها عن الحقيقة .

الحوار والجدل

يمثل الحوار المعنى الأشمل للنقاش بين طرفين حول مختلف القضايا . أما الجدل فيتضمن معنى الصراع الفكري والعقائدي . وردت مفردة (الحوار) ثلاث مرات في القرآن بصيغة (يحاورة) (الكهف : ٣٤ و ٣٧) ، وبصيغة (تحاوركما) (المجادلة : ١) . أما مفردة (الجدل) فقد وردت ٢٧ مرة . ويعود ذلك إلى طبيعة الواقع الذي عاشه الاسلام ، فقد واجه التحديات الفكرية داخل الذات الانسانية من شرك وكفر وضلال ونفاق . كما واجه التحديات الخارجية من القوى الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت تسيطر على حياة الانسان في المجتمعات التي لم تؤمن بالاسلام .

وفي الوقت الذي يؤكد القرآن الكريم على أهمية الحوار ؛ يرفض فيه الجدل على أساس كونه قائماً بذاته ، فيتحول محترفه إلى شخص جدلي ، لا هم له في المجال الفكري إلا أن يتغلب على خصمه ، أو أن يبقى يلف ويدور لإشغال الفراغ بمجادلات تضيع الوقت وتبتعد عن الهدف . فهذا النوع من الجدل هو المرفوض ﴿ وقالوا آللهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ (١) .

إن الحوار الذي يستهدفه الاسلام يتضمن جانبين :

١ - الدفاع ضد الفهم السيء للإسلام كنتيجة طبيعية للممارسات الفكرية أو السلوكية الخاطئة المحسوبة على الإسلام ، أو العرض الخاطئ . ونعاني اليوم في الاعلام الغربي الكثير من هذا الفهم الخاطئ سواء كان مقصوداً أو عفويا .

٢ - الدفاع ضد التحديات والإشكالات التي يثيرها الآخرون ضد الإسلام ومعالجته لمشاكل الحياة وقضايا الفكر والعقيدة .

منهج الحوار والجدل

هناك عدة أمور يجب مراعاتها في الحوار وهي :

١ - الاتفاق على الفكرة أو الموضوع الذي يرغب الطرفان في مناقشته ، سواء نفيه أو اثباته ، لأن الجهل بالفكرة وبتفاصيلها يحول الحوار إلى أسلوب من الشتائم والمهاترات التي يُغطي بها كل طرف ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع عن فكرته . بينما تجعل المعرفة كلا منهما واعياً لما يطرح وما يستقبل من فكر ومستعداً له ، ومهيئاً أدواته وأسلحته من حجج وإثباتات ونصوص وغيرها ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أثامهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير ﴾ (١) .

٢ - الأسلوب السلمي والهادئ في العرض والنقد بعيداً عن العنف والحدة . ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ (٢) .

٣ - الأدب في الكلام وتحاشي الكلمات التي تجرح الخصم وتسيء إلى

(١) المؤمن : ٥٦ .

(٢) فصلت : ٣٣ .

كرامته أو شرفه أو تسفّه عقيدته ، أو تؤدي إلى سبّه وشتمه . ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (١) .

٤ - عدم التقول على الطرف الآخر وطرح مفاهيم وآراء منسوبة إليه وهو يرفضها أو استخدام نصوص وأحاديث يشك أنها ضعيفة وغير معتبرة في عقيدته أو مذهبه أو توجّهه السياسي .

٥ - عدم استخدام مصادر خصوم الطرف الآخر لأنها تتضمن آراء غير حيادية بل عدائية في الغالب ، بل يجب استخدام مصادر الطرف الآخر مما يعتقد أنها صحيحة وموثوقة لديه .

٦ - عدم احراج الخصم بشكل يضطر معها للعناد حفاظاً على كرامته وموقعه ، بل محاولة اقناعه ببسر وسهولة ، ومنحه وقتاً كافياً للتفكير والتأمل ، فلسنا معه في حلبة صراع بل مناقشة أفكار .

٧ - استخدام الأمثلة التي تقرب الفكرة إلى ذهن الطرف الآخر لتبسيط القضايا المعقدة .

٨ - لا يعني وجود طرفين في مناظرة أو حوار أن أحدهما يحمل كل الحقيقة والآخر لا يحمل شيئاً من الحق ، بل هناك حقائق يجب على الطرف الآخر أن يسلم بها لتكون قاسماً مشتركاً في المرحلة الأولى من الحوار ، ثم يناقشان ما اختلفا عليه بهدوء وصبر ولين .

أمثلة من الواقع

لمّا كان حضور هذه الجلسة من المثقفين والجامعيين فقد ارتأيت أن أعرض بعض الأمثلة في أساليب الحوار أو مناقشة فكر الآخر ونقده ، بما

تحمله تلك الأساليب من ايجابيات وسلبيات ، من خلال بعض المؤلفات التي عرضت فكر الآخر أو انتقدته لتتبع مدى الدقة والموضوعية والمنهج العلمي الذي ندعو إليه .

أولاً: نقد النظريات المادية

وأبرز المؤلفات في هذه المحاور هما كتابا الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته (اقتصادنا وفلسفتنا) حيث يعرض السيد في الأول المذاهب الاقتصادية للرأسمالية والماركسية ثم يقارنها بالأطروحة الاسلامية في الاقتصاد . يتميز عرض السيد بالدقة والموضوعية معتمداً المصادر المعروفة لهذه النظريات ، مثلاً قد اعتمد على الترجمة العربية للمؤلفات المتعلقة بالماركسية التي كانت تصدرها دور النشر السوفييتية . كما أنه اعتمد على عدة ترجمات لكتاب رأس المال (بعضها مترجم من الألمانية وهي اللغة الأصلية للكتاب) .

لقد بلغت دقة السيد وموضوعيته في عرض الماركسية حتى أن الكثير من الشيوعيين العراقيين كانوا يوصون أتباعهم بقراءة ما عرضه السيد للماركسية في كتاب (اقتصادنا) دون قراءة الجزء المتعلق بالرد عليها . لأن الكثيرين من الماركسيين لم يفهموا الماركسية بالدقة التي فهمها السيد الصدر رحمته وعرضها في كتابه . ثم يردّ السيد على جميع مفردات الماركسية ردّاً علمياً هادئاً ، يعترف فيها أحياناً بالإنجاز العلمي لبعض المفكرين رغم أنه كان مشغولاً بهدمها ، لكنها الأمانة العلمية . ويمتاز السيد بالتركيز على الطرح الاسلامي في تفنيد النظريات المادية ، وتحاشي التميز المذهبي ، حتى أن بعض الاخوة المغاربة قد أخبرني أنه حينما درس كتاب اقتصادنا لم يعرف مذهب الكاتب إلا بعد أن أطلع على

مؤلفات أخرى .

ولا يفوتني أن أذكر كتاب (قصة الايمان) للشيخ نديم الجسر ، وهو لبناني سني ، قد ناقش بهدوء وموضوعية الأفكار المادية . ولم يمنعنا انتماءه المذهبي للإستفادة من كتابه ، كما لم يمنع من دراسة مؤلفات غيره من رواد الثقافة الاسلامية .

ثانياً: الرد على أهل الكتاب

سأختار كتابين في هذا الصدد: الأول لمؤلف شيعي هو كتاب (الرحلة المدرسية) للشيخ محمد جواد البلاغي الذي رد فيه على التوراة والإنجيل وما ورد فيهما من تحريف وتناقضات . هذا الرجل لم ينقل من ردود جاهزة كما يفعل الكثيرون بل تعلم اللغة العبرية وكان يجيد الفارسية والانجليزية ، ودرس كتب العهدين الجديد والقديم ، وراجع عدّة طبعات وبمختلف اللغات كي يتجنب الفهم الخاطئ للنصوص التوراتية والإنجيلية . يناقش الشيخ البلاغي العقائد اليهودية والمسيحية من خلال حوار مصطنع بين (عمانوئيل) الشاب الذي يبحث عن قناعات جديدة لفهم المسيحية ووالده (ابن اليعازر) وبين قسّ يأتي لزيارتهما . يتميز منهج البلاغي بالرد العلمي الهادئ المستند على النصوص المسيحية واليهودية ، والأدب الجمّ في السؤال والجواب ، دون تشويه أو إساءة ، مع طرح المسلمات العقلية والحجج الجدلية في مناقشة القضية المعروضة .

والكتاب الآخر هو (المناظرة الحديثة) بين الشيخ أحمد ديدات ، وهو سني من جنوب أفريقيا ، والقسّ سواجارت المسيحي الأميركي . وفي هذه المناظرة يحتج ديدات بالكتاب المقدس والطبعة الأكثر وثاقة والتي

تدعى (نسخة الملك جيمس) المطبوعة أصلاً عام ١٦١١ م . ثم يناقش المخطوطات القديمة للإنجيل والتي يعود تاريخها إلى ٣٠٠ سنة بعد المسيح ، حيث يوضح مدى التحريف والحذف الذي تعرضت له بعض عبارات الإنجيل . وكان القسّ سواجارت قد أعلن أنه (إذا احتوى النص على كلمة محرفة أو كلمة في غير موضعها ، فالواجب يقضي بإهمال الكتاب كله) وهذا ما لم يفعله رغم أن الشيخ ديدات أورد له عدداً كبيراً من الكلمات المحرفة .

يؤكد ديدات في مناظراته دائماً (أن هذا الإنجيل هو من طباعتكم ، فلم نطبعه نحن أو ننشره ، كما أنه لم يطبعه اليهود) أي أن المصدر الذي يعتمد عليه في مناظرته هو مصدر موثوق لدى الطرف الآخر . فحين يحتج على القسّ بما ورد في الكتاب الموثوق لديه ، فإما أن يقتنع بما ورد فيه ثم يذعن للحق ، أو يدعي أن هذا الكتاب غير صحيح أو غير موثوق لديه .

ثالثاً: الردود بين السنة والشيعية

وهذا الأمر ذو حساسية خاصة نظراً لثبوت القاسم المشترك بين المذاهب الإسلامية بالإيمان بالتوحيد والنبوة والمعاد والقرآن والقبلة الواحدة ومصادر التشريع والصوم والصلاة والحج والزكاة والخمس ، رغم وجود اختلافات جزئية في التفاصيل . وقد كان للصراعات الطائفية في العهود الماضية دور في تأليف الكثير من كتب الردود المذهبية والكلامية التي تتميز بالحدة والعصبية والتسفيه والشتيم وغيرها . وللأسف جاءت الأجيال المعاصرة لتتنظر إلى تلك المؤلفات بقدرسية وأنها من التراث الإسلامي العريق ، ليس لمحتواها العلمي بل لقدمها

وسمعة مؤلفيها التاريخية ، فصارت جزءاً من متبنيات المسلمين . وأخذ البعض يكرر ما ورد فيها ، وينتهج نفس الأساليب المموجة التي تسخر من الآخر وتتهمه بشتى الاتهامات .

سأطرق لبعض المؤلفات المنصفة وغير المنصفة التي كتبها السنة عن الشيعة وبالعكس كي نتعرف على مكان الخلل . ولا يسعنا عرض العديد من المؤلفات ، فهذا غير يسير ، لذلك سأنتقي بعض المؤلفات التي توضح الفكرة .

١ - يعرض الدكتور فهمي الشناوي ، وهو مصري سني ، في كتابه (الفكر السياسي عند الشيعة) لمفردات الفقه السياسي الشيعي في قضايا الحكم والحاكم والامام والحكومة والمجلس التشريعي والدستور الاسلامي والانتخابات وغيرها . ويتميز كتابه بالموضوعية والعرض الصحيح للفكر السياسي الشيعي من مصادره . ولا يخفي الكاتب اعجابه بالموضوع حيث يعبر عن نفسه في نهاية بحثه وكما جاء في مقدمته (فأنا أشبه بالمستشرق الذي يكتب عن الاسلام دون أن يكون من أهله مع اختلاف كبير ، هو أنني عندما انتهيت من دراسة فكر الشيعة السياسي ، وجدت أنه هو الفكر السياسي الاسلامي ، حتى أنني أقرر أنه من الظلم أن يحمل هذا الكتاب عنوان الفكر السياسي عند الشيعة ، والأحق أن يكون اسمه الفكر السياسي الاسلامي) .

٢ - ألف السيد مرتضى العسكري مجموعة كتب تتطرق لقضايا الخلافات المذهبية من وجهة نظر تاريخية وعقائدية ، ومن بين كتبه كتاب (عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى) أثبت فيه أن هذه الشخصية مجرد أسطورة ولا وجود تاريخياً لها ، وأنها من مختلقات سيف بن عمر التميمي ، ثم يتابع مسيرة هذه الأسطورة في كتب التاريخ المعتمدة

القديمة (الطبري ، ابن عساكر ، أبو الفداء ، الذهبي ، ابن الأثير ، ابن كثير وابن خلدون) أو المتأخرين (محمد فريد وجدي ، البستاني ، أحمد أمين ، حسن إبراهيم حسن) والمستشرقين (فان فلوطن ، نيكلسون ، دونالدسن ، ولهاوزن ، ودائرة المعارف الإسلامية) . وتبلغ الدقة العلمية عند السيد العسكري بأن يضع مخططا يتابع فيه انتقال الرواية من مؤرخ إلى آخر ، وكيف ينقل أحدهم عن الآخر دون تمحص أو روية ، حتى تنتهي الرواية بالطبري الذي يرويها عن سيف بن عمر ، ليستدل بها في النهاية أنه الراوي الوحيد لها .

بعد ذلك يخطو السيد العسكري خطوة أخرى حين يتتبع ترجمة سيف بن عمر في كتب الرجال السنّية أمثال «لباب الأنساب» لابن الأثير ، و «الاشتقاق» لابن دريد ، و «تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني وغيرها ، ثم يُقيّم أحاديث سيف من وجهة نظر حديثيّة ، حيث يتابع ما قاله عنه مؤلفو الأسانيد والصحاحات والتواريخ وكتب الرجال من المتقدمين من السنّة ، والتي يجمعون فيها على أن سيف بن عمر هو كذاب ، متروك الحديث ، ليس بثقة ، ضعيف ، يروي الموضوعات وينسبها للثقة ، أتهم بالزندقة ، إذن هذا الرجل بشهادة أهل السنّة وضاع للروايات والقصص .

ثم يتابع السيد العسكري الروايات التي وضعها أو غيّرّها سيف بن عمر والتي وردت في كتب الطبري وابن عساكر ، وقارن بينها وبين الروايات التي وردت بطرق أخرى غير سيف بن عمر وبين ما فيها من وضع واختلاق واختلاف .

وهكذا نجد السيد العسكري يلتزم بمنهج علمي صارم يتابع الحدث التاريخي في بطون الكتب ، ويحقق في رواته ودرجاتهم في الجرح

والتعديل ، كي يصل بالنهاية إلى رد هذه الأسطورة بشكل لم يجرؤ أحد على رده رغم مرور ٤٥ عاماً على صدور أول طبعة له . ويورد السيد العسكري في نهاية الجزء الأول بعض الردود العلمية النزيهة التي جاءت ثم يرد عليها بهدوء وبنفس المنهج .

٣- قام الدكتور حسن حنفي بتأليف كتاب قيم من خمسة مجلدات ، استغرق تأليفه عشر سنوات ، وهو سلسلة (من العقيدة إلى الثورة) يتطرق فيه إلى علوم الكلام والتوحيد والفقه ، ومناهج الفرق الإسلامية التي تناولت موضوعات العلم والعقائد والنظريات الفلسفية ، ومفاهيم الوجود والعدم وصفات الله ، والتجسيم والتنزيه والعدل والقضاء والقدر ودور العقل والقيبح والحسن ، والوحي والنبوة والمعجزة ، واعجاز القرآن ، والمعاد والقيامة والروح ، واليوم الآخر والجنة والنار ، وقضايا الحكم والامامة وجوبها وثبوتها .

والدكتور حنفي أستاذ جامعي وله دراسات وندوات ومؤتمرات في العالم . والكتاب جهد كبير بذله الكاتب في تتبع الآراء والنظريات للفرق الإسلامية أثناء استقصاءه لكل مفردة إسلامية . ورغم أنه اعتمد على مصادر كل فرقة إسلامية كالأشاعرة والمعتزلة إلا أنه لم يعتمد على مصدر شيعي واحد ، رغم أنه غالباً ما يورد آراء الشيعة في المسائل التي يتعرض لها في دراسته القيمة وينسب تلك الآراء إلى الشيعة . لقد خالف الدكتور المنهج العلمي الذي يؤكد على الاستشهاد بأقوال علماء المذاهب أنفسهم ومن خلال مؤلفاتهم الموثقة التي يؤمنون بها ، لكنه اعتمد على كتب أعدائهم وخصومهم الذين ما فتئوا ينسبون إليهم كل شبهة أو ضلالة أو كفر أو مروق عن الدين . ترى لماذا أنصف المعتزلة وهم فرقة بائدة لا وجود لها اليوم ولم ينصف الشيعة المعاصرين له . هل كان

السبب عدم توفر المصادر الشيعية لدى الكاتب ؟ فهذا بعيد عن الواقع لأن كتب الشيعة متوفرة في المكتبات في أنحاء العالم . إن الكاتب كان متعمداً أن لا يعتمد على الكتب الشيعية في نقل آراء الشيعة لأنه يذكر ذلك صراحة في نهاية الجزء الخامس ص ٥٥٥ ما نصه (ولم نعتد على العقائد الشيعية ونصوصها لأنها لا توجد في وعينا القومي كجزء من التراث الحي ولغلبة الاتجاهات الصوفية والفلسفية عليها) .

إذن القضية قومية ، وهو ايعاء أن الشيعة ليسوا من العرب ، كما أنه منهج اقصائي في تغييب الآخر المخالف مذهبياً حتى عن البحث العلمي والأكاديمي ، وكيف يمكن أن تعبر عقائد المعتزلة عن (التراث الحي) وهي فرقة منقرضة ، بينما لا يعبر المذهب الشيعي عن هذا التراث وهو المنتشر بين أكثر من ١٥٠ مليوناً من البشر ، بين العرب وغير العرب ؟

لقد التقيت الدكتور حسن حنفي في ندوة فكرية عقدت في ٣٠ مايس ١٩٩٧ في روتردام ، وقد طرحت عليه ذلك الإشكال وقلت له : كيف يمكنك وأنت رجل أكاديمي أن تعتمد آراء الشيعة من كتب البغدادي والشهرستاني والأشعري وابن حزم وهم خصوم الشيعة ؟ فأجابني بهذا الجواب الدبلوماسي : أنا كالنحلة ، فإذا وجدت في أعوجاج قومني . أكتب أنت الجزء السادس للسلسلة للرد على حسن حنفي . فقلت هذا لا يبرر الخطأ الذي ارتكبته ، وكيف تقوم النحلة المعوجة . فغير الموضوع قائلاً : أنا كتبت مقالاً خاصاً عن المفكر الاسلامي السيد محمد باقر الصدر رحمه الله ، وزرت ايران ...

٤ - هذا المنهج الخاطئ في عدم اعتماد كتب الطرف الآخر حين مناقشته ، مازال باقياً للأسف بين الأكاديميين . فهذا اكاديمي سعودي اسمه ناصر بن عبدالله القفاري ، يؤلف رسالة دكتوراه تقدم بها إلى

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بعنوان: (أصول مذهب الشيعة الامامية الإثني عشرية، عرض ونقد) (الطبعة الثانية ١٩٩٤). وقد عاهد الكاتب نفسه بالمنهج العلمي بقوله (قد عمدت في بداية رحلتي مع الشيعة ألا أنظر في المصادر الناقلة عنهم، وأن أتعامل مباشرة مع الكاتب الشيعي حتى لا يتوجه البحث وجهة أخرى. وحاولت جهد طاقتي أن أكون موضوعياً ضمن الإطار الذي يتطلبه موضوع له صلة وثيقة بالعقيدة كموضوعي هذا ... والموضوعية الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة، وأن تختار المصادر المعتمدة عندهم، وأن تعدل في الحكم، وأن تحرص على الروايات الموثقة عندهم أو المستفيضة في مصادرهم ما أمكن). إذن الزم المؤلف نفسه بنقل آراء الشيعة من مصادرهم، فهل التزم بهذا الأمر في كتابه؟ للأسف كلا. ففي موضوع (التجسيم) (ج ٢ ص ٥٢٧-٥٢٨) ينقل (الشيعة أربع ضلالات)، ١- الغلو في الإثبات وما يسمى بالتجسيم، ٢- تعطيل الحق جل شأنه من أسمائه وصفاته، ٣- وصف الأئمة بأسماء الله وصفاته، ٤- تحريف الآيات بدافع عقيدة التعطيل للأسماء والصفات. ثم يبدأ بنقل آراء منسوبة «للروافض» (والأجدر أن يقول الشيعة الامامية ولا يستخدم إسماء يلزم من الطرف الآخر) ينقلها عن (منهاج السنة) لابن تيمية، و (مقالات الاسلاميين) للأشعري، و (الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي وكل من خصوم الشيعة. هكذا ولم يذكر أي مصدر شيعي مع أنه يذكر في مقدمته أنه قرأ كتاب (الكافي) للكليني الذي يتضمن الفصل الأول منه واسمه (كتاب التوحيد) الرد على المجسمة وإبطال الرؤية والنهي عن الجسم والصورة وتفاصيل أخرى تبين موقف الشيعة بهذه القضايا.

وهناك أمر آخر ينزلق إليه الكاتب وهو اجتزاء الرواية الشيعية بالقدر

الذي يخدم أهدافه . فلكي يثبت موضوعيته وأنه يأخذ من مصادر الشيعة
يورد سطرأً واحداً من رواية جاءت في كتاب (التوحيد) للشيخ الصدوق
حين سأل أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام، اسمه أبو بصير : هل يرى
المؤمنون الله عزوجل يوم القيامة ؟ فقال عليه السلام : نعم . إلى هنا ينقل
الأكاديمي هذه الرواية التي يوحي هذا الجزء المقتضب منها بالرؤية
العينية في حين أن بقية الرواية تشير إلى الرؤية بالبصيرة والعقل . كل
ذلك من أجل أن يثبت المؤلف أن الشيعة أيضاً وأئمتهم يؤمنون بالرؤية
البصرية لله عزوجل . وهذا خلاف الأمانة العلمية والنقل الصحيح من
مصادرهم .

٥ - وقد نثير مشاعر البعض حين نتطرق إلى الكتب العدائية المليئة
بالحقد والتعصب الأعمى ، والتي تدعمها بعض الجماعات السنيّة التي لا
هم لها إلا محاربة المذهب الشيعي ولو بالافتراء والكذب والبهتان . خذ
مثلاً كتاب (مختصر التحفة الإثني عشرية) الذي ألفه عبد العزيز غلام
حكيم الدهلوي (الهندي) واختصره السيد محمود شكري الألوسي
(العراقي) الذي قدمه هدية للسلطان عبد الحميد الثاني . ومازال الكتاب
يطبع ويوزع مجاناً في المساجد والمكتبات . في الباب الأول (في ذكر فرق
الشيعة وبيان أحوالهم وكيفية حدوثهم وتعداد مكائدهم) يذكر فيه ثلاثاً
وثلاثين فرقة شيعية ، كثير منها لم يسمع بها أحد كالسبئية والمفضلية
والسريغية والبريغية والكاملية والجناحية والبيانية والمنصورية
والغرابية والذبابية والدّمية والمقنعية بل وحتى البهائية . وبعضها
مجرد رأي أو مقولة منسوبة إلى شخص يدعى أنه شيعي ليصبح هذا
الفرد فرقة شيعية لها أتباع وأنصار ومؤيدون !! وأما الآراء التي ينسبها
لهذه الفرق المختلفة فهي عقائد غريبة وقبيحة وفيها شرك وغلو تجعل

القارئ ينفر من كل ما له صلة بالشيعية ، فهذا هو الغرض الرئيسي للكتاب .

ولا يكتفي الكاتب بنسبة تلك العقائد الباطلة إلى الشيعة بل يفترى عليهم حين يتحدث عن (سورة الولاية) التي (يزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت) ، بل وينشر صورة لهذه السورة المزعومة يقول أنها وردت في كتاب (فصل الخطاب) للطبرسي وقد أخذها الدهلوي عن مجلة الفتح التي أخذتها عن المستشرق دايفز براين والمستشرق الألماني نولدكه . وقد نقل هذه الصورة الكاتب محب الدين الخطيب في كتابه (الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية الإثني عشرية) والذي ترجم إلى الانجليزية .

ومن الكتاب المتعصبين الباكستاني إحسان إلهي ظهير الذي ألف كتاباً بعنوان (الشيعة والسنة) رداً على دعوات الوحدة الاسلامية ، تلك الدعوات التي (كثرت استعمالها حتى كاد أن ينخدع بها السذج من المسلمين لو ما عرفوا ما وراءها من كيد ودس ودهاء . فليست هذه الكلمة ، إلا كلمة حق أريد بها باطل) (المقدمة) . وفي الصفحة الأولى يطالعنا هذا الكاتب بمنهجه الذي يصف فيه الشيعة بأنهم (ربيبة اليهود ، وفصيلتهم في بلاد الاسلام ... يريدون أن يترك المسلمون عقائدهم ومعتقداتهم في الله وفي رسوله وأصحابه الذين جاهدوا تحت رايته ، وأزواجه الطاهرات اللائي صاحبنه في معروف ، وفي الكتاب الذي أنزله الله عليه من اللوح المحفوظ ، نعم يريدون أن يترك المسلمون كل هذا ، ويعتقدوا ما نسجته أيدي اليهودية الأثيمة من الخرافات والترهات في الله) ص ٦ . وهدف الكاتب كما يقول كاتبه : (وقد أثبتنا في مختصرنا هذا أن الشيعة ليست إلا لعبة يهودية ، ناقمة على الاسلام ، وحاقدة على

المسلمين ، وعلى رأسهم رسول الله (ص ١٤ .

هذه هي الموضوعية ، وهذا هو الأدب الذي علّمناه القرآن الكريم ، وهذه هي المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة . وهذا هو الحكم المسبق على مذهب اسلامي عريق بأئمتهم عليهم السلام وتاريخه وعلمائه وفقهائه ومؤلفاته وتصانيفه واجتهاداته ، والإدانة قبل المحاكمة ، والنشائم والسباب بدل النقد الهادئ المؤدب .

ولا نريد أن ندخل في القضايا الخلافية في العقائد لكننا نشير إلى قضية تاريخية واضحة ينكرها إلهي ظهير حيث يدعي أن (أكثر أهل فارس في الشيعة لما يجدون فيها التسلية بالسباب على الصحابة ، عمر وعثمان ، فاتحي ايران ومطفئي نار المجوسية فيها) ص ٥٦ ، ناسياً أن ايران بقيت لأكثر من ألف سنة سنّية المذهب ، وبرز فيها كبار فقهاء وعلماء السنة الذين يرجع إليهم الكاتب أمثال البخاري ومسلم النيسابوري وأبو داود السجستاني ومحمد بن عيسى الترمذي وأبو عبدالله النسائي وابن ماجة القزويني وأبو حنيفة النعمان والطبري والرازي المفسر وغيرهم ، مما لا يسع المجال لذكرهم ، ولم تدخل ايران مذهب التشيع إلا في القرن السادس عشر الميلادي بعد وصول الصفويين إلى السلطة .

إذن كانت ايران أكثر من ثلثي تاريخها سنّية المذهب . بينما يتصور إلهي ظهير أنها دخلت التشيع منذ صدر الاسلام ، ويبني على هذا الرأي الخاطئ استنتاجاته وتأويلاته التي ينقلها من المستشرق الانجليزي جورج براون ص ٥٧ .

٦ - قبل تسعين عاماً سافر السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي إلى مصر والتقى شيخ الأزهر آنذاك سليم البشري ، وتداولوا أمور الأمة

الاسلامية والخلافات المذهبية ، وأنه لا داعي لتلك الخصومة المستمرة .
واتفقا على معالجة الخلاف بأسلوب علمي رصين من خلال أسئلة خطية
يطرحها الشيخ البشري ويجب عليها خطياً السيد شرف الدين على أن
يدعم أجوبته بالعقل والنقل الصحيح عند الفريقين . تجمعت تلك
القصاصات وسمي بالمراجعات وعددها ١١٢ مراجعة ، والتي بدأت في
٦ ذي القعدة ١٣٢٩ (٢٩ تشرين الأول / أكتوبر ١٩١١) وانتهت في ٢
جمادي الأولى ١٣٣٠ (١٩ نيسان / ابريل ١٩١٢) .

كشف العالمان الجليلان عن قمة في أدب الحوار وخلق المناظرة
الاسلامية ، فتعجب من عبارات الإطراء والثناء كل واحد للآخر وهما
يخوضان قضايا تاريخية وعقائدية حساسة ، في رحلة مشتركة بحثاً
عن الحقيقة . وهذه المناظرات تمثل قدوة لكل من يريد خوض غمار
الجدل مع الآخرين . ويتكامل منهج العالمين الجليلين بالاحتجاج بالأدلة
القوية من المصادر الموثوقة لدى الطرفين ، فلا اسفاف ولا تهريج ولا
كتمان حق ، ويبحر السيد شرف الدين برفيقه في بحار العقائد والتفاسير
والتواريخ وكتب الرجال وغيرها حتى يوصله إلى شاطئ الهداية . وفي
الختام يُعبر الشيخ سليم البشري عن إعجابه بالسيد وفضله عليه ، فيقول
في المراجعة رقم ١١١ (أشهد أنكم في الفروع والاصول ، على ما كان
عليه الائمة من آل الرسول ، وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً ،
وأظهرت ما كان خافياً ، فالشك فيه خبال ، والتشكيك تضليل ... وكنت -
قبل أن أتصل بسبيك - على لبس فيكم لما كنت أسمعه من ارجاف
المرجفين ، واجحاف المجحفين ، فلما يسر الله اجتماعنا أويت منك إلى
علم هدي ومصباح دجى ، وانصرفت عنك مفلحاً منجحاً ، فما أعظم نعمة
الله بك علي) !

٧- انتشر كتاب المراجعات بصورة واسعة في العالم الاسلامي ، واستبصر الكثيرون بعد قراءته ، لما تضمنه من منهج علمي وحوار هادئ يمس شغاف القلب والعقل معاً . ولم يرق لبعض الدوائر التي تريد للتوتر أن يحدد مسار العلاقة بين السنة والشيعية ، وللتعصب والحق أن يحل بدلاً من الوحدة والتآلف أو على الأقل عدم التعرض للآخر ، فقام أحدهم ، محمود الزعبي ، بتأليف كتاب يرد فيه على كتاب المراجعات سماه (البيانات في الرد على أباطيل المراجعات) عام ١٩٨٦ . وجاء في مقدمته التي تعبر عن نفسية حاقدة مريضة حيث يقول : (يعتبر كتاب المراجعات من أهم كتب الرافضة التي عرض فيها مؤلفه عبدالحسين الموسوي مذهبه - مذهب الرفض - بصورة توهم الكثير من أهل السنة بصدق ما جاء فيها ، لا سيما أولئك الذين لم يسبق لهم معرفة عقيدة الرافضة وأساليبهم الماكرة ، والتي تركز على الأدلة الكاذبة الموضوعة ، والتلاعب بالأدلة الصحيحة سواء بالزيادة فيها أو الإنقاص منها ، أو بتحميلها من المعاني ما لا تحتمله . كل هذا يفعلونه نصرة لمذهبهم ، وتأيداً لباطلهم) ص ٥ .

ويذهب الزعبي أكثر من ذلك حين يزرع الشك في حدوث هذه المناظرات بين السيد شرف الدين والشيخ سليم البشري . فقد آلمه أن يؤيد شيخ الأزهر هذه الحقائق ، وليس باستطاعته الطعن في علمية وكفاءة أحد شيوخ الأزهر الكبار ، لذلك لجأ إلى هذا الادعاء دون أن يعرض أدلته ، كما أقلقه تأثير البعض من أهل السنة واهتداؤهم إلى التشيع ، حيث يقول : (ولما كانت هذه المراجعات لا أصل لها من الصحة ، بل هي محض كذب وافتراء ، ولما مر على ظهور هذا الكتاب قرابة ثلاثين عاماً ولم نجد أحداً من علماء السنة قد ردّ على هذه المراجعات المكذوبة

جملة وتفصيلاً. ولما كان هذا الكتاب قد أثر في بسطاء المسلمين وعامتهم، جهلاً منهم بعقيدة الرافضة، وأصولهم المخالفة لأصول الاسلام الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة، وظناً منهم بصدق هذه المراجعات غير مدركين تدليس وكذب صاحبها حيث أظهر موافقة شيخ الأزهر على كل ما عرضه من أدلة مكذوبة وفي الوقت نفسه لم يجدوا من يكشف لهم كذب هذه المراجعات ويبين لهم ما أشتملت عليه من زيغ وضلال. ولما كان تحذير المسلمين من عدوهم وفضح كل الطوائف والفرق الخارجة عن الاسلام أمراً واجباً على كل داعية، بل هو من أعظم القربات إلى الله حيث يميزون الخبيث من الطيب ويبينون سبيل (المجرمين) ص ٦.

فالدافع والهدف واضحان وهما تكذيب ما ورد في المناظرات، وتكفير الشيعة باعتبارهم خارجين عن الاسلام. وبذلك نخلق حاجزاً نفسياً وعاطفياً وعقائدياً جديداً بين المسلمين، ولتواصل حملات العداة والكراهية والتفرقة والبغض.

واعتمد الكاتب أسلوب عرض أصل الكتاب أي المراجعات ثم يعلق على بعض القضايا والأمور في الهامش. ويفتقد الكتاب للمنهج العلمي في الرد والنقد بل يعتمد أسلوب التقول، وأن السيد يقصد كذا وكذا. فرغم أن السيد يذكر في المراجعة رقم ٤ أنه (لا يرتاب في اجتهاد أئمة المذاهب الأربعة، ولا بعدالتهم وأمانتهم ونزاهتهم وجلالتهم علماً وعملاً)، لكن الزعبي يقول (كلام المؤلف في هذه المراجعة يوحي (لاحظ استخدام كلمة يوحي) بأن أئمة المذاهب الأربعة يناصبون أئمة أهل البيت العداة، ويسيروا على غير مذهبهم، وهذا غير مسلم) ص ٢٤. وفي مكان آخر يقول الزعبي رداً على عبارة لشرف الدين (وفي قوله

إشارة واضحة إلى أن الجمهور (وهم أهل السنة) قد خالفوا الأئمة من آل محمد! ولم يتمكنوا من تحصيل نية القربة لله في عملهم على مذهبهم! يا لله! ما هذه الجرأة التي جعلته يجازف بهذا الحكم، فيحرم أهل السنة ومجتهداتهم حتى من أجر النية) ص ٢٥.

ويستمر في هذا النهج الذي يحاول اكتشاف ما في نفس وذهن الطرف الآخر، وليس على ما يرد لسانه أو ما يخطه قلمه. إنه يجتهد في ترصد الخصم من أجل صيد كلمة أو عبارة يحاول تأويلها وتفسيرها في الاتجاه الذي يريده هو بعيداً عن المعنى المقصود منها. فينتقي ما يشاء من القضايا المطروحة ويترك ما يشاء. مثلاً يهرب الزعبي من الحديث عن فتح باب الاجتهاد لدى السنة فيدفع بها إلى التاريخ، ويكتفي بالقول (وهي قضية خلافية ليس بين السنة والشيعة، بل بين أهل السنة أنفسهم، ولكل من مؤيدي فتح باب الاجتهاد، أو اغلاقه، آراؤه وأدلته، وكلا الطرفين لا يقولون برأي من غير تمحيص، بل القضية بحاجة ومتكلم فيها في كتب الأصول قديماً وحديثاً) ص ٣١.

ويحاول الزعبي بشتى الوسائل تكذيب أدلة السيد شرف الدين فتراه يكذب صحة نسبة كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بل يدعي أن الشريف الرضي هو الذي ألفه ص ٣٦. هكذا فالأمر ميسور هو إنكار كل ما يدعم أدلة الخصم دون أن يأتي سوى دليل من فرقته حيث يعتمد على ما ذكره كتاب (ميزان الاعتدال)، وكتاب (المنتقى من منهاج الاعتدال) لمحب الدين الخطيب، و (الفتاوى الكبرى) لابن تيمية.

ويقوده منهج الإنكار إلى نفي الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فتراه يتهم السيد شرف الدين، العلامة الفقيه المحقق بوضع روايات منسوبة للإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام). ففي معرض تفسير

شرف الدين لآية ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ وآية ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ، حيث يذكر أن الباقر والصادق عليه السلام يقولان : الصراط المستقيم هنا هو الإمام ، ولا تتبعوا السبل أي أئمة الضلال ، فتفرق بكم عن سبيله ونحن سبيله . وهنا يحتج الزعبي بنفس أسلوب الإنكار فيقول : (من أين الدليل على أن قول الباقر والصادق هنا صحيح ؟ وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن هذا من الكذب على الباقر والصادق رضي الله عنهما . وحيداً لو ذكر المؤلف سند هذه الرواية ، لكنه يعلم أنها غير مقبولة فلعله أسقطها أو أن الكلام مجرد تفسير بالهوى منسوب زوراً للباقر والصادق !) ص ٨٨ لقد كان بإمكانه الاكتفاء بالمطالبة بسند الرواية وهذا أمر لا غبار عليه ، ولكن اتهم السيد شرف الدين بأنه أسقط السند لأنها غير مقبولة أو يتهمة بنسبة الرواية لأئمة أهل البيت عليهم السلام زوراً ، فهذا غير لائق ، كما لا دليل عليه أيضاً إلا سوء النية التي على الباحث أن يتجرد منها ليحافظ على موضوعيته وحياده وأمانته . هذا إضافة إلى أن السيد شرف الدين غالباً ما يحيل سند الرواية في الهامش إلى الكتب المعتمدة ، لتجنب الإطالة في المراجعة .

ورغم منهجه الباطل في التهميش والحواشي فقد أحسن الكاتب إذ طبع لنا كتاب المراجعات كله ليطلع ذوي العقول على منهج السيد شرف الدين وأدلتة القوية من القرآن والسنة ، فيكون بذلك قد أسدى خدمة للتشيع دون أن يعلم .

٨ - يميل بعض الغربيين إلى اعتناق الاسلام ، وخاصة في السنوات العشر الأخيرة ، لما فيه من ميزات وصفات ينفرد بها عن الديانات الأخرى ، ويدخل هؤلاء الاسلام من خلال الباب المذهبي الذي فتح أمامهم ، فلو كان من أقنعهم بالاسلام سنياً أصبح الغربي مسلماً سنياً ،

وإن كان من أقنعه بالاسلام شيعياً صار هو شيعياً أيضاً ، لأن المسلم الغربي الجديد لا يملك فكرة ، في الوهلة الأولى ، عن المذاهب الاسلامية أو ليست من اهتماماته في تلك المرحلة المبكرة . ولكن ما أن يبدأ تعلم الاسلام عقيدة وأحكاماً وتاريخاً يبدأ بتلقي الفوارق والاختلافات بين المذاهب . وتعتمد نظرتة للمذاهب الأخرى ، عدا مذهبه ، حسب المعلومات التي تلقاها من مشايخ مذهبه . فإذا كانت معلومات متوازنة وموضوعية ، عاش حالة التوازن والوعي الحقيقي ، وأما إذا تلقاها بأسلوب التكفير والتفسيق والاتهام بالضلالة ، فستعتبر كل ما تلقاه صحيحاً تجاه الآخرين ، على الأقل في الفترة الاولى من تلقيه تلك المعلومات . بالطبع قد يملك هذا المسلم الغربي عقلاً نيراً ووعياً يجعلانه يبحث عن تلك المذاهب بطرق غير التي قيلت له أو وصلت عبرها معلوماته عن تلك المذاهب الاسلامية . وهذه حالة نادرة إلا إذا تهيأت له فرصة جيدة وامكانات قوية.

على أية حال يبقى هؤلاء المسلمون الجدد متأثرين بمشايخ وكتب مذهبهم الاسلامي ، وينظرون للآخرين من خلال مواقف هؤلاء المشايخ أو مؤلفات المذهب . وهذا الأمر بحاجة إلى دراسة مستفيضة لكنني أشير إلى قضية واحدة :

مراد هوفمان سفير ألمانيا في المغرب ، اعتنق الاسلام ، ودافع عنه ، وانتقد الحضارة الغربية ، ألف عدة كتب منها مذكراته التي يذكر فيها كيفية اسلامه ، ومنها كتابه الشهير (الاسلام هو البديل) الصادر في ١٩٩٣ . يبدأ الكاتب مقدمته بقول لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه : «الانسان عدو ما يجله» .

يتناول الكتاب عدة قضايا فكرية وعقائدية وقانونية واجتماعية . وفي

فصل (جمهورية أم ملكية ؟ - سنة مقابل شيعة) يقع الكاتب فيما حاول أن يحترس منه ، ألا وهو الجهل ! ورغم أنه يؤمن بأن (علياً كان بلا شك أقرب الناس إلى شخصية الانسان الكامل) وأنه المرشح الأفضل للخلافة بعد النبي ﷺ حيث يقول (فلو كان لعلي أن يكون أول خليفة للمسلمين ، لكان له كثير من الأسباب الجلية التي تثبت شريعة خلافته ، بما فيها الأقدمية في الاسلام والفضل والمناقب) لكنه مع ذلك يعتقد (أن انتخابه كان سيؤسس للمبدأ «الملكي» في الاسلام) ص ١٣٠ .

ويعتقد بأن (الرسول ﷺ) لم ينصح أمته بخليفة محدد له ، وذلك لتجنب عدم تكافؤ الفرص بين المرشحين لذلك المنصب) ص ١٣٣ . وانطلاقاً من الديمقراطية التي يعيشها مراد هوفمان ، لا يستطيع تفادي اسقاطاتها على فكره ووعيه ، لذلك يقول : (فقد حافظ الاسلام السني ، وذلك بفضل اختيار أبي بكر وعمر وعثمان للخلافة ، على قدرته على إحياء المبدأ الديمقراطي الشمولي وتثبيته) ص ١٣١ . وهذا يعكس سطحية في التفكير وكيفية قراءة التاريخ ، بل ويناقض الواقع التاريخي لأن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب استلم الخلافة عبر ولاية العهد حيث أوصى له بها الخليفة الأول أبو بكر الصديق والذي (كانت بيعته فلتة وقى الله المسلمين شرها) . ورغم انتقاده لعشيرة بني أمية الارستقراطية التي كانت من أكثر القبائل التي حاربت محمد ﷺ وأكثر في أذيته ص ١٣٤ ، لكن مراد هوفمان يعتقد أن مطالبة علي عليه السلام بالخلافة كانت تعني تكريساً وتثبيتاً للحكم الملكي الوراثي . ثم يضيف (وقد أضفى الشيعة على أئمتهم طابع العصمة المطلقة أخلاقياً وعقائدياً ، وهم يكونون بذلك قد رفعوهم منزلة تلو منزلة الرسول ﷺ نفسه) ص ١٣٥ .

هكذا ينسب الرأي دون وعي أو مصدر يعتمد عليه بل هو مما تعلمه أو

قرأه في مصادر خصوم الشيعة . ويمضي هذا الدبلوماسي المثقف في تشنيعه على الشيعة ، لا لهدف إلا ارضاء لنزعة العداء التي تعلمها ، وقد يعتقد أنه يتقرب إلى الله تعالى بسب الشيعة والنيل منهم، فيقول (لقد نشأت لدى الشيعة في هذا السياق العقيدة العجيبة ، إن لم نقل الدهشة ، عما يسمى بالامام الثاني عشر (المستتر) الذي غاب عن الأنظار عام ٨٧٢ م ص ١٣٥ . ويقول أيضاً (يعتقد الشيعة بأن لعلماء الدين أو الفقهاء أن يقرروا الأخذ بظاهر القرآن أو الأخذ بباطنه . وهذا ما قد يشجع على انتشار الفهم النخبوي المتختم بالسرية والصوفية للقرآن ، ويساعد على نشوء رجال دين يذكروننا بالمزدكية) ص ١٣٦ . هكذا يطرح آراءه دون دليل أو مصدر أو حديث أو تفسير ، بل مجرد سماع من بعض المشايخ أو ترديد لكتب الخلافات الطائفية .

«قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُقَاوِرُهُ
أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا» .

القرآن الكريم - الكهف ٣٧

قصيدة : الحرف ... والسيف

✻ هاشم محمد

نظمت هذه القصيدة بمناسبة ذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ

باسم ميلادك استهلّ نشيدي
حيث رفّ الهدى بكل الوجود
وأطلت بشائر العدل في عص
ر تهاوى في ظلمة التنكيد
وتذكرت كيف حرّرت جيلاً
من وحول الهوى وأسر الجمود
وصرعت الطغاة بالحرف والسيف
ف فغابت دنيا الليالي السود
تلك بدرّ وخندق وحنين
حفرت بالدماء درب الخلود

هوذا (حمزة) يشقُّ غمارَ الـ
 وحرب لم تُثْنِه حرابُ الحشودِ
 و(عليّ) يخوض سوحَ المنايا
 رافعاً ثورةَ النبيّ الجديدِ
 وصحابٌ لم يرهبوا في سبيلِ الـ
 سُلَّه سوطَ التنكيلِ والتشريدِ
 إنّها سُنَّةُ الحياة وقد ما
 تت شعوبٌ تهوى حياةَ العبيدِ
 قد وضعت الأغلالَ عن أمةٍ عا
 شت طويلاً، ليلَ الضلالِ المبيدِ
 فاستفاقت من غفوةِ الذلِّ واجتا
 حت بعزمِ الايمان كلَّ السدودِ
 وتحدث كلَّ الطغاة وخيلُ الـ
 سُلَّه زحفٌ يمضي بخطوٍ عنيدِ
 فطوثٌ قيصرًا وأهوت بكسرى
 وتردت يأساً طيوفُ اليهودِ

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«السَّيِّفُ فَاتِقٌ وَالذِّينُ رَاتِقٌ ،
 فَالذِّينُ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالسَّيِّفُ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ» .

(غرر الحكم)

قصيدة :

نشيد الحسين

✽ السيد محمد مهدي الهاشمي

أي ذكرى تحتفي فيها قلوبٌ وعيون
وتحيي يومها الدامي دموعٌ وشجون
باسمها تهتف أجيالٌ وتهتزّ قرون
وتتاجي طيفها الباكي قيودٌ وسجون
لك يا يوم الشهيد جئتُ أبكي بنشيد
فتقبّل دمعاً ضاقت بمجراها الجفون
يوم عاشوراء لا تنسُ مآسيه العصور
هو في الفكر شعاعٌ هو في القلب شعور
ثار فيه السبط، والحرُّ على الضيم يثور
وتماذى بآبن - ميسون - طموحٌ وغرور
موقف يشجي المشاعر عنه فكر الدهر قاصر
فهو في التاريخ نار وهو للتاريخ نور

ترك البيت حسين الطهر خوفاً من يزيد
وهو كهف يلتجى في ظلّه كلُّ طريد
رامياً فجاً لفجّ طاوياً بيداً بيد
ناوياً أن يحكم الكوفة بالنهج الحميد

فله فيها عهود وجنود وبنود
وسيوف من حتوف وقلوب من حديد



غير أن الفلك الجاري على حكم القضاء
قد أبى إلا بأن ينزله في - كربلاء -
لتنفيض الأرض في أندى دموعٍ ودماء
وترى أفجع مأساة بها عين السماء

آه يا يوم الحسين لك تبكي كل عين
قدّست في دمك الزاكي دماء الشهداء



أين من سبعين ألفاً في الوغى سبعون باسل
ذاك للعيش وذا للموت قد جاء يناضل
بارك الله لهم ما تركوا عدلاً لعاذل
ومضوا للخلد أحراراً كما تقضي السمائل

خلفوا السبط وحيداً يصرع الطاغى المريدا
ما سمعنا قبله أن يغتدي المخدول خاذل



هاجم الجيش بسيفين كلام وحُسام
 فققضى حقهما بين احتجاج واصطدام
 ظامياً يستقبل الموت، وماء النهر طامي
 باسمًا شوقاً إلى الله ودمع العين هامي

شغل الحب وجوده فلذا اجتاز حدوده
 عبر الدنيا إلى الأخرى بأمن وسلام

* * *

وزّعت أعضائه البيض ورصّته الحوافر
 وعلى السمر تعالى رأسه كالنجم زاهر
 كيف ترضى سُنّة القرآن أن تُسبى الحرائر
 وعلى النيب تجوب البيد من جانٍ لجائر

أبنات الوحي تُوسر وحجاب الله يُحسر ؟
 آه ما أفجع ذكراها على مرّ الأعاصر !

« الحسين عبدة كلِّ مُؤمِنٍ »

الامام الصادق (ع)

بحار الأنوار ٤٤ : ٢٨٠

قصيدة : الزمان

الطغرائي

هو الرئيس مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد الاصبهاني .
ولد عام ٤٥٣ هجرية .
تولّى ديوان «الطغراء» فسقى بالطغرائي وهو من ولد أبي الأسود الدؤلي .
كان كاتباً وشاعراً ومنشئاً، وعلماً من علماء اللغة ، ومُفرداً من رجال البلاغة والفصاحة .
أشهر قصائده (لامية العجم) في الحكمة ، وقد شرحت في مجلدين كبيرين .
استشهد عام ٥١٤ هجرية ، وقيل عام ٥١٨ هجرية .
قصيدة الزمان : قالها في الحسين بن علي عليه السلام .

أما الزّمان ففي تنبيهه عبر^(١) لولا الغشاوة^(٢) في أجفان مسبوت^(٣)
عصراه^(٤) قد حذرانا كيد^(٥) سحرهما كما سمعت بهاروت وماروت^(٦)

(١) عبر : مواعظ .

(٢) الغشاوة : ما يغطي العين .

(٣) المسبوت : الذي غلب عليه النعاس والنوم .

(٤) العصران : الغداة والعشي ، أو الليل والنهار .

(٥) الكيد : المكر والخدعة .

(٦) هاروت وماروت : ملكان بمدينة بابل كانا يعلمان الناس السحر ، وإذا علّما أحداً قالاً له إنما نحن

أُخُون^(١) بصر فيه^(٢) من يؤس ومن نعم
ولا تخصّ بمقت^(٤) بعض سيرته
لو كان يعجبني شيء لأعجبني
أو ما رأيت حظوظ الدهر قد عكست
ومبسم^(٨) ابن رسول^(٩) الله قد عشت
فاقنع من الدهر بالميسور^(١١) تغن^(١٢) به
قوت بماء سماء أمسكا رمقاً^(١٦)
ولا تبيل^(٣) بالذي أتى وما يوتي
فليس في الدهر شيء غير ممقوت
فيه شماتة مبكوت بمبكوت^(٥)
فالماء للضب^(٦) والرمضاء^(٧) للحوث
بنو زياد بشعر منه منكوت^(١٠)
فما خلاق^(١٣) لما أربى^(١٤) على القوت^(١٥)
فما التنافس^(١٧) في درّ وياقوت^(١٨)



- فتنة ويحذرانه السحر وعمله .
(١) أخون به : تعجب من هونه .
(٢) صرفيه : قلبه في الخير والشر .
(٣) لا تبيل : أي لا تبالي .
(٤) المقت : البغض ، والممقوت : المبغوض .
(٥) المبكوت : المغلوب أو المنكوب .
(٦) الضب : سطحية تعيش في رمال الصحراء .
(٧) الرمضاء : الصحراء الحارة الرمال .
(٨) المبسم : الفم ، أو مقدم الأسنان .
(٩) أرابد به الحسين بن علي (ع) شهيد كربلاء .
(١٠) منكوت : مضروب بالقضيب ، والبيت إشارة إلى ضرب يزيد لقم الحسين (ع) بقضيب كان في يده .
(١١) الميسور : المتوفر ببسر .
(١٢) تغن : تصيح مستغنياً .
(١٣) خلاق : نصيب وافر .
(١٤) أربى : زاد .
(١٥) القوت : الزاد اليسير الذي يسد الجوع .
(١٦) الرمق : بقية الحياة ، وأمسك رمقه : سد جوعه .
(١٧) التنافس : التفاضل والتسابق .
(١٨) الدر والياقوت : نوعان من الأحجار الكريمة .

أهل البيت عليهم السلام

في روايات الصفاة

روايات أم المؤمنين أم سلمة

✽ قاسم السوداني

أم سلمة هي صورة الايمان الراسخ والعقيدة الصحيحة والاستقامة على المبدأ والولاء لأهل البيت عليهم السلام حيث كانت هذه المرأة من بين نساء الرسول صلى الله عليه وآله المفضلة لديه والمقدمة عنده لما لمسها من صلاحها واستقامتها، حيث كان أبرز شيء في حياتها هو حبها لأهل البيت عليهم السلام وانقطاعها إليهم ونصرتها لهم في وقت قل فيه الناصر وكثر فيه الخائل.

ولأم سلمة مكانة رفيعة في العلم ورواية الحديث فكانت أعلمهن بالكتاب والسنة بعد خديجة عليها السلام وحتى أن عائشة نفسها قالت لها: انت أول مهاجرة من أزواج الرسول صلى الله عليه وآله وانت كبيرة امهات المؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك.

وقال^(١) عنها شمس الدين محمد أحمد بن عثمان الذهبي : السيدة المحجة الطاهرة هند بنت اسيد بن المغيرة ... من المهاجرات الأول وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين ، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين عليه السلام فوجمت لذلك وغشي عليها وحزنت عليه كثيراً ؛ لم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى جوار ربّها .

وقال : كانت تعد من فقهاء الصحابيّات^(٢) ويكفي في علمها واجتهادها رجوع الصحابي (الكبير) جابر بن عبد الله الأنصاري إليها والعمل بفتواها مع جلالته من بين الصحابة .

روى ابن أبي الحديد عن جابر قال : «لما خفت بسراً وتواريت عنه قال لقومي : لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر فأتوني وقالوا : ننشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت ، فحقنت دمك ودم قومك ، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتليننا وسبيت ذرارينا ، فاستنظرتهم الليل ، فلما أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر فقالت : يا بني انطلق فبايع أحقن دمك ودماء قومك فأني امرت ابن أخي أن يذهب ويبايع ، واني لا اعلم انها بيعة ضلالة»^(٣) . وأم سلمة هي : هند بنت أبي أمية : حذيفة بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي^(٤) .

وأما عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكناني .

هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، وهاجرت إلى المدينة .

تزوجها الرسول ﷺ في شوال سنة ٤ للهجرة وشهدت وقعة خيبر

(١) أم سلمة ، لمحمد زكي بيضون : ١٣٢ .

(٢) اعلام النبلاء ٢ : ١٤٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٢ : ١٠٠ .

(٤) كان أبوها أحد أجواد قريش المذكورين ، وكان يعرف بـ (زاد الراكب) فكان إذا ذهب في سفر لا يدع أحداً من رفقته يحمل معه زاداً .

وقالت : سمعت وقع السيف في أسنان مرحب^(١) .

حيث يبلغ مسندها (أي الأحاديث المروية عنها ٣٧٨ حديثاً)^(٢) .

توفيت سنة ٦٢ هجرية وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً ودفنت بالبقيع حيث كان عمرها ٨٤ عاماً .

وأم سلمة هي المرأة العظيمة التي جمعت الفضائل والمكارم وهو ما لم يحصل لغيرها من المسلمات حيث حرصت أشد الحرص على حفظ أحاديث الرسول الأكرم ﷺ .

١ - قال أبو عبدالله الجدلي : حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم ، فدخلوا على أم سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول : يا شبيب بن ربعي ، فأجابها رجل جلف جاف : لبيك يا أمتاد .

قالت : يسب رسول الله ﷺ في ناديكم ؟ !

قال : وأنى ذلك ؟

قالت : فعلي بن أبي طالب ؟

قال : إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا .

قالت : فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى»^(٣) .

٢ - وعنه أيضاً قال : دخلت على أم سلمة فقالت لي : أيسب رسول الله ﷺ فيكم ؟

قلت : سبحان الله أو معاذ الله .

قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من سب علياً فقد سبني»^(٤) .

(١) الاستيعاب ٢ : ٧٨٠ .

(٢) سيرة أعلام النبلاء ٢ : ١٤٣ .

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٢ : ١٢١ .

(٤) خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٩٩ ، المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٢١ .

٣- وعنه أيضاً قال : دخلت على أم سلمة فقالت : يا أبا عبد الله أيسب رسول الله فيكم ؟
قلت : معاذ الله .
قالت : أليسوا يسبّون علياً ومن أحبه ؟
قلت : بلى^(١) .

٤- قال أبو ثابت مولى أبي ذر : كنت مع علي يوم الجمل فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس ، فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أم سلمة فقلت : اني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شرباً ولكنني مولى لأبي ذر ، فقالت : مرحباً ، فقصصت عليها قصتي .
فقالت : أين كنت حين طارت القلوب مطائرها ؟
قلت : إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الظهر .
قالت : أحسنت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «علي مع القرآن والقرآن مع علي بن يقترقا حتى يردها علي الحوض»^(٢) .

٥- قالت رضي الله عنها : «سمعت النبي ﷺ يقول لعلي : لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق»^(٣) .

٦- قالت رضي الله عنها : «سمعت رسول الله يقول : علي بن أبي طالب والأئمة من ولده بعدي سادة أهل الأرض ، وقادة الغر المحجلين يوم القيامة»^(٤) .

٧- عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال : «دخلت على أم سلمة ورأيتها تبكي وتذكر علياً وقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : علي مع الحق والحق مع

(١) أسباب الأشراف ٢ : ١٨٢ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٣٠ .

(٣) أم سلمة : ٥٧ .

(٤) أمالي الصدوق - المجلس الخامس والثمانون : ٥٢١ .

علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

٨ - عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها : «ان النبي ﷺ دعا علياً ﷺ وفاطمة والحسن والحسين فجعل عليهم كساء له خيرياً ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين أذهب عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً»^(٢).

٩ - قالت رضي الله عنها : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله»^(٣).

١٠ - عن أبي ثابت قال : سمعت أم سلمة رضي الله عنها تقول : «سمعت رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد أمتلأت الحجرة من أصحابه : أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينتقل بي وقد قدمت إليكم القول مقدرة إليكم ، ألا إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ؛ ثم أخذ بيد علي ﷺ فرفعها فقال : هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي خليفتان بصيران لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض فأسألهما ماذا خلفت فيهما»^(٤).

١١ - قالت رضي الله عنها : «سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو أخذ بيد علي ﷺ : الحق بعدي مع علي يدور معه حيث دار»^(٥).

١٢ - عن صالح بن ميثم قال : سمعت أم سلمة رحمة الله عليها تقول : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : شيعة علي هم الفائزون»^(٦).

١٣ - وأخرج ابن حرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ : «ان رسول الله ﷺ كان في بيتها على منامة له ، عليه كساء خيري ، فجاءت فاطمة ﷺ ببرمة

(١) تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢١.

(٢) سعد السعود : ٢٠٤.

(٣) الاختصاص : ٧٤.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي : ٣٠٥.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي : ٣٠٥.

(٦) مشكاة الأنوار : ٩١ وفي انساب الاشراف ٢ : ١٨٢ . بلفظ مقارب.

فيها حريرة ، فقال رسول الله ﷺ : ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً فدعتهم ، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله ﷺ ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فأخذ النبي ﷺ بفضل أزارده فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأوماً بها إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالها ثلاث مرات . قالت أم سلمة رضي الله عنها : فأدخلت رأسي في الستر فقلت يا رسول الله : وأنا معكم ؟

فقال : أنت على خير ، مرتين»^(١) .

١٤ - وروي الطبري حديثاً مطولاً عنها جاء فيه : «يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة .

يا أم سلمة اسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي في الآخرة غدا يوم القيامة .

يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي .

يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ...»^(٢) .

١٥ - عن أم المساور الحميري ، قالت : دخلت على أم سلمة فسمعتها تقول : «كان رسول الله ﷺ يقول : لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن»^(٣) .

١٦ - عن أم سلمة قالت : «أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على علي . فعمدنا إلى البيت . ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفسناه بأيدينا . ثم أطعمنا تمرأ وزبيباً

(١) الدر المنثور ٥ : ١٩٨ .

(٢) بشارة المصطفى : ٥٩ .

(٣) المسند الجامع ٢٠ : ٦٤٥ .

وسقينا ماءً وعمدنا إلى عودٍ ، فعرضناه في جانب البيت ليلقي عليه الثوبُ
ويعلق عليه السقاءُ . فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة»^(١) .

١٧ - عن أم الحسن ، ان أم سلمة حدثتهم : «ان النبي ﷺ شبر لفاطمة
شبراً من نطاقها»^(٢) .

١٨ - عن شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة تتحدث : «زعمت أن
فاطمة جاءت إلى النبي ﷺ تشتكي إليه الخدمة . فقالت : يا رسول الله ، والله
لقد مجلت يدي من الرحنى ، أطحن مرةً وأعجن مرةً ، فقال لها رسول الله ﷺ : أن
يرزقك الله شيئاً يأتك ، وسأدلك على خير من ذلك ، إذا لزمته مضجعك ، فسبحي الله
ثلاثاً وثلاثين ، وكبري الله ثلاثاً وثلاثين ، وأحمدي الله أربعاً وثلاثين ، فذلك مائة فهو
خير لك من الخادم ، وإذا صليت الصبح فقلولي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ،
وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، بعد صلاة
الصبح ، وعشر مرات بعد صلاة المغرب ، فان كل واحدةٍ منهن تكتب عشر حسنات
وتحط عشر سيئات وكل واحدةٍ منهن كعتق رقبة من ولد اسماعيل ، ولا يحل لذنب
كسب ذلك اليوم ، أن يدركه إلا أن يكون الشرك ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو
حرسك ، ما بين أن تقوليه عدوةً إلى أن تقوليه عشيةً من كل شيطان ومن كل سوء»^(٣) .

١٩ - حديث عبد الله بن وهب بن زمعة ، ان أم سلمة أخبرته : «أن
رسول الله ﷺ دعا فاطمة عام الفتح فناجاها فبكّت ثم حدّثها فضحكت ،
قالت : فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عن بكائها وضحكها . قالت :
أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموت فبكيت ثم أخبرني أنني سيدة نساء أهل الجنة . إلا
مريم بنت عمران فضحكت»^(٤) .

(١) المسند الجامع ٢٠ : ٦٣٩ .

(٢) المسند الجامع ٢٠ : ١٧٦٠٧ - ١١٢ .

(٣) المسند الجامع ٢٠ : ١٧٦٣٢ - ١٢٧ .

(٤) المسند الجامع ٢٠ : ٦٩٠ .

٢٠- عن والد عطية الطغاوي ، أن أم سلمة حدثته قالت : «بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً . إذ قالت الخادم : إن علياً وفاطمة بالسُدة . قالت : فقال لي : قومي فتنحي لي عن أهل بيتي . قالت : فقممت فتنحيت في البيت قريباً ، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين . وهما صبيّان صغيران ، فأخذ الصّبيين فوضعهما في حجره فقبّلهم . قال : واعتنق علياً بإحدى يديه ، وفاطمة باليد الأخرى ، فقبّل فاطمة ، وقبّل علياً ، فأعْدق عليهم خميصة سوداء فقال : اللهم إنيك لا إلى النار أنا وأهل بيتي . قالت : فقلت : وأنا يا رسول الله فقال : وأنت»^(١) .

٢١- عن سلمى ، قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت : ما يبكيك ؟ فقال : «رأيت رسول الله ﷺ تعني في المنام ، وعلى رأسه ولحيته التراب . فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفاً»^(٢) .

٢٢- عن سعيد بن أبي هند . قال : قالت أم سلمة : «كان النبي ﷺ نائماً في بيتي . فجاء حسين يدرج . قالت : فقعدت على الباب فأمسكته مخافة أن يدخل فيوقظه . قالت : ثم غفلت في شيء فدبّ فدخل فقعد على بطنه قالت : فسمعت نحيب رسول الله ﷺ . فجئت . فقلت : يا رسول الله ، ما علمت به . فقال : إنما جاءني جبريل ﷺ وهو على بطني قاعد . فقال لي : أتعبه ؟ فقلت : نعم ؟ قال : إن أمتك ستقتله . ألا أريك التربة التي يقتل بها ؟ قال : فقلت : بلى . قال : فضرب بجناحه فأثاني بهذه التربة . قالت : فإذا في يدك تربة حمراء وهو يبكي ويقول : يا ليت شعري من يقتلك بعدي»^(٣) .

٢٣- عن سعيد بن المسيب ، عن أم سلمة قالت : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٤) .

(١) المسند الجامع ٢٠: ١٧٦٥١- ١٥٦ .

(٢) المسجد الجامع ٢٠: ١٧٦٥٧- ١٦٢ .

(٣) المسند الجامع ٢٠: ١٧٦٥٨- ١٦٣ .

(٤) المسند الجامع ٢٠: ١٧٦٧٠- ١٧٥ .

الإحسان

(١)

الشيخ عبد اللطيف الأسدي

المقدمة

لو لم يتحل الإنسان إلا بالإحسان لكفاه أن يكون جديراً بالقرب من الله والفوز برضاه ، وأن يحظى بموضع عناية الله به ومحل إكرامه له ، إذ كان الله دائماً مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، ومعية الله للإنسان تحقق انتصار الإنسان على ذاته وتمرده على أنانيته ، وهذه مسألة في غاية الأهمية في حياة الإنسان بين أبناء مجتمعه ، ففي ظل نظام الإحسان تعيش الأمة حياة كريمة حرة ومنعمة تسودها عدالة السماء وتظللها أشعة الخير والفرح . ويعطف القرآن المجيد الإحسان على العدل في قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، ليتحقق الصلاح في أطراف الأرض فيشعر الكل بشعور رقابة الله ، وتربطهم روابط الحب في الله فتنسكب رحمته على عباده ، فتتدفق ينابيع تلك



الرحمة ثجاجة في قلب ونفس ومشاعر كل انسان ، وفي روحه ووعيه ،
وتضمير الجميع نفحة اللطف الإلهي ليسلم القلب وتطهر الروح ويصفو
الضمير فتتهذب الأخلاق وترقّ الطباع ، فهو سبحانه بذلك وبإرادته
يهديه إليه ويختاره ولياً له .

وقد زخر القرآن الكريم بمفردات الإحسان من حيث المعنى العام
والهدف والمنطلق فركّز عليها وأولاهها قيمها السامية التي تصبّ كلها في
قناة بناء شخصية الفرد والمجتمع المؤمن الواعي لإرساء قواعد النجاة
والهدى في الأرض ، وبناءً على ذلك فقد حفلت حياة أئمة الهدى صلوات
الله عليهم أجمعين بمعطيات الإحسان في كل اتجاه إذ لا نرى مكاناً ولا
زماناً إلا وعامل الإحسان لديهم هو المحور في سلوكهم مع كافة الناس ،
فهم ﷺ يستوحيون من واقع القرآن مبادئ تربية الانسان وبناء
شخصيته لأقامة صرح الحياة كما أرادها الله تعالى ، فهم الوجود
التطبيقي لحياة القرآن ، وهم الصفوة المختارة لتعليم القرآن وهم القلب
الناضج في أمة القرآن ، فسلوكهم وتفكيرهم ومنهجهم القرآن . وتظل
مسيرة عطاء القرآن قائمة ودائمة لا تنقطع مادام الحاكم هو القرآن ، ولا
يبرح الانسان وهو يلتف حول مناهج القرآن ومبادئه حتى يحقق ارادة
الله في الأرض على ضوء ما جاء به القرآن .

ومن خلال النصوص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وفي أفق
السيرة النبوية المطهرة وحياة أئمتنا ﷺ سأركز البحث على موضوع
الإحسان فقط دون موضوع العدل ، ولكن سأختصر في ذلك على ما ورد
في هذا المعنى في إطار أحاديث الرسول الأكرم محمد ﷺ وأقوال أئمتنا
صلوات الله عليهم مستعيناً بالمصادر المتوفرة لدي قدر الإمكان لتكون
تلك الأحاديث والأقوال محوراً لتوضيح مفهوم الإحسان الذي نحن
بصدد البحث عنه ، ولكي لا أطيل الحديث على القارئ العزيز سأختار من

كل طائفة من الأحاديث والأقوال لفروع الإحسان فأبحثها متحاشياً
الإطالة في تحقيق الغرض .

في بداية هذا البحث المتضمن لفروع الإحسان التي وردت في شأنه
يواجهنا حديث الرسول القائد ﷺ وقد ذكر أيضاً في تحف العقول كما في
ميزان الحكمة وقد رواه الامام علي عليه السلام : «جبلت القلوب الى من أحسن إليها ،
وبغض من أساء إليها»^(١) . وعلى ضوء هذا الحديث نلتقي بماهية الإحسان
في مفهومه اللغوي إذ لا يفوتنا ذلك مادام هو موضوع بحثنا عنه ، فهو من
حيث هذا المعنى اسداء كل معروف في كل مجالات الإحسان التي
يشملها هذا المعنى لكل مخلوق دون تمييز . وسمي إحساناً لأنه يجمع
بين الإحسان العملي والإحسان الروحي ليكون منهجاً إنسانياً عاماً
تتحرك على أساسه مشاعر البشر الخيرة نحو السمو ، فهو بالنسبة
لصاحب الإحسان شعور بالمسؤولية تجاه الآخرين دون تفريق ، وأما
بالنسبة للطرف المقابل شكر نعمة المخلوق في مجال شكر نعمة الخالق .
فطبيعة نفس المرء أن تميل دائماً إلى من يحسن لها ، والابتعاد عمّن يسيئ
إليها ، وتتناسب درجة الشكر المقابل مع مقدار ما بذل من الإحسان ، وإذا
كان الإحسان إلى الناس ينظم علاقة المحسن بمن يحسن إليهم ؛ فإن هذا
الإحسان هو إحسان لنفس المحسن ينظم علاقته به ، وينعكس على
أخلاقه وسلوكه ليكون محسناً في نفسه بالدرجة نفسها . يقول تعالى :
﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ، وبالمقابل : ﴿وَإِنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا﴾^(٢) ، يعني فلها
أسأتم .

ولعل المنّ نوع من الإساءة إلى نفس الانسان المحسن إذا شعر بأنه
محسن لغيره وله الفضل في ذلك عليه ، فيذكره بحاجته إليه فتقلب

(١) رسول الله (ص) ، بحار الأنوار ٧٧ : ١٤٠ ، ف - كنز العمال ج ٤٤١٠٢ ، تحف العقول : ٢٢ .

(٢) الاسراء : ٧ .

صورة الخير في أعماق نفسه إلى ضدها ، وقول معروف خير من صدقة يتبعها أذى . ورد السائل ببذل يسير لا يطفئ معه المن في نفس المعطي فيمن على سائله وإلا فقول جميل ينسجم مع المحتوى الفكري والروحي لموقع الإحسان بين الناس في الأرض ، فكل اختراق لهذه الصورة المشرقة للإحسان بينهم تشويه لمعالمها وأبعادها وطبيعتها ووجهها الصقيل ، إذ من فضل الله عليكم احتياج الناس إليكم ، وإحسان المحسن إلى غيره امتداد لإحسان الخالق المنعم عليه ، والمن والمعروف كله من الله تعالى لأنه مصدره وهو المفيض له على الخلق طراً ، وإذا وقع المعروف والفضل بين الناس وهو من الله في طول معروف الله وفضله على خلقه ؛ فقد سمت حياة الناس إلى المستوى الرفيع الذي حث عليه القرآن الكريم ، وربى عليه الأئمة الأطهار عليهم السلام أتباعهم عليه . ولكن حذار من نسيان الفضل بيننا وحرمان النفس منه بالمن على من أحسنا إليه . يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ، فمن لم يشكر نعمة المخلوق ؛ لم يشكر نعمة الخالق ، وهذه كلها ردود فعل ايجابية تشعر المرء بكرامته ، وموقعه الاجتماعي المرموق إزاء ما يعمل من أجل الآخرين ، وتعكس صورة الواقع الحي المتحرك ، وتترجم المسار الذي تعتنى به التربية الاسلامية لبناء الشخصية الخيرة الهادفة .

فإذا أحسن الانسان إلى الناس ، فقد استعبد قلوبهم ، وأمال النفوس حتى المغلقة منها إليه .

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان إحسان وفي إطار هذا السلوك العام الهادف تجد النفوس المتطلعة إلى النور طمأنينتها وسكونها وبهجتها فإذا كانت مطمئنة راضية ؛ استقامت حياة المرء في ظلها وحسنت ، وانجاب عن الأجواء كل ما يعكر صفوها وينغص ودها . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي

في عبادي وادخلي في جنتي» ، فتنال سعادتها وفوزها بجنات النعيم ، وتحظى بالقرب من الله مع من أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

بعد هذه المقدمة ندخل صلب الموضوع ويواجهنا الإحسان أولاً فتجملهُ الآية الكريمة : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ ، ومع الحديث لأقوال أثمتنا كما يلي :

«أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه وبسط بالقدرة يديه»^(١) .

«الإحسان غريزة الأخيار ، والإساءة غريزة الأشرار»^(٢) . فإذا كان الإحسان غريزة الأخيار ، فالإساءة غريزة الأشرار كما أشار إلى ذلك الامام علي عليه السلام ليضع الانسان أمام تصرفه ايجاباً وسلباً وهو يزاوِل نشاطاته الاجتماعية بين نقيضين متضادين من الطبيعة البشرية التي تنطوي عليها النفس في طبيعتها وخبثها ، في تزكيتها ودسّها ، وعلى ضوء التربية الواعية للنفس ومشاعرها ، واشتراك عناصر الخير في رفدها ، وخلق الأجواء النبيلة لها نستطيع أن نوجد شرائح منظمة من البشر تلبي حاجة النفس وهي تتطلع إلى مواقع النور الالهي لتشرق تلك النفوس المشرّبة إلى نور ربها فتفيض عطاءً ثراً ، وتتفجر عيون لطفٍ مترعة بالصفاء والمحبة . فالفطرة التي فطر الله عليها الناس لا تبديل لها تنسجم مع النشاطات الخيرة للانسان وتصرفاته في اطارها ، فإذا شذّ عنها شملته طبيعة الأشرار فتصرف وفق أهوائها وزيفها وانحرافها ، وابتعد بذلك عن نهج الحق ، فلا يلتزم بطاعة ، ولا يفكر إلا بما تمليه عليه طبيعته ، فتتعدم لديه الرؤيا ، فتسبب له الانحراف عن الفطرة السليمة ، والميل عن الطريق السوي .

(١) الامام علي (ع) ، غرر الحكم .

(٢) م . ن .

أما إذا سمت الغرائز عن حضيضها واستقامت وفق منهج السماء الذي رسم لها الطريق في سلوكها المحبب، استقامت حياة الانسان وسلمت مشاعره وعواطفه وانطباعاته من الانحراف والزيغ والشذوذ، إذ تعاني الانسانية اليوم وفي ظل الحضارات المنحرفة التي تشجع الانحراف وتتاجر بمصلحة الانسان تعاني القلق المزمن والخوف من المستقبل وتعاني الضياع والفشل وفقدان الأمل، وتواجه انعدام الثقة بالنفس، وسيطرة الأنا وطغيان المادة والغرور، فتعرضت حياة أغلب الأمم إلى الفقر والجهل والمرض بسبب النزاعات الاقليمية والدولية المسلحة التي تجتاح أكثر بقاع الأرض من أجل السيطرة على ثروات الشعوب ومنابع الخير في الأرض، وسبب كل ذلك انحسار الدنيا عن منهج القرآن، ومبادئ الاسلام وقيمه الالهية.

ثم يقول عليه السلام «زينة العلم الإحسان»^(١). ما أروعه من تعبير! إذ يعتبر الإحسان زينة للعلم، ومنطلقاً لطلبه وغرة في جبينه، والعلم مفخرة الدنيا على الاطلاق وهو زينة لها بحد ذاته ومع ذلك فإذا لم يزينه الإحسان ويظل مساراً؛ تنعدم روحه ويبتعد عن هدفه، وليكن العالم متصفاً بالإحسان لإكمال مسيرة العلم التي يضطلع بمهامها، فإذا أحسن هذا العالم في توضيح علمه لطلابه، فقد حقق هدف العلم ووضع موضعه ولكن مكللاً بالإحسان.

ويوجه الامام أنظار المسلمين فيرشدهم إلى التمسك بمبادئ الإحسان السامية فيقول: «عليك بالإحسان فإنه أفضل زراعة، وأربح بضاعة»^(٢). أي جامع هذا الذي يشير إليه الامام عليه السلام فيصف الإحسان بهذا الوصف

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

الدقيق الرائع ؟ إذ يربط بين مفهوم الزراعة بأفضلها ، ومفهوم البضاعة بأرباحها ، ويعتبر الإحسان جامعاً لهما ، وأساساً لحركتهما في المجتمع ، فقوام الحياة يعتمد على هذين العنصرين المهمين وبانعدامهما تنعدم حياة الانسان ، إذ تبقى مجرد حياة لا خير فيها يكتنفها الخراب ، وتسودها عوامل اليأس والضياع .

وعن اسحاق بن عمار قال أبو عبد الله عليه السلام : «أحسن يا اسحاق إلى أوليائي ما استطعت فما أحسن مؤمن ولا أعان إلا خمش وجه إبليس وقرح قلبه»^(١) . حري بنا أن نتفاعل مع النصوص المرتبطة بمفهوم الإحسان في كل أبعادها الروحية والفكرية والنفسية ونعتمدها سلاحاً نقوى به على محاربة النفس وهواها ودرح الشيطان ومكائده فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً ، وسيلنا في ذلك هو أن نحسن إلى أنفسنا أولاً ، وإلى أولياء أئمتنا سلام الله عليهم ثانياً ، والدنيا ساحة معروف ، وميدان صراع ومواجهة ، وسلاح دفع الشر والضرر عنها هو الإحسان كما أراد الله تعالى . ودور الانسان على هذه الساحة وهو محورها أن يكون محسناً فيها ؛ قوياً في ارادته ، واثقاً من نفسه ، لا تأخذه لومة لائم ، متقائلاً دائماً ، محارباً لهوى النفس ، مستعيناً بالله على الشيطان حتى نخدش وجهه وقرح قلبه .

ثم يقول عليه السلام : «رأس الايمان الإحسان إلى الناس»^(٢) . ويقول : «نعم زاد المعاد ؛ الإحسان إلى العباد»^(٣) . ويقول : «زكاة الظفر الإحسان»^(٤) . ويقول : «صنائع الإحسان من فضائل الانسان»^(٥) .

(١) الامام الصادق ، بحار الأنوار ٧٤ : ٣٠١ .

(٢) الامام علي (ع) ، غرر الحكم .

(٣) م . ن .

(٤) م . ن .

(٥) م . ن .

ويصور الامام علي عليه السلام في نهاية هذا الفصل الإحسان بتعبير رائع وتصوير دقيق إذ يقول : «لو رأيتم الإحسان شخصاً؛ لرأيتموه شكلاً جميلاً يفوق العالمين»^(١). صورة رائعة لهذا الإحسان ترسم بهذا التجسيد الدقيق توضح جمال الإحسان بأبهى صورة لا يضارِعها وصف على الإطلاق، فلو تمثل الإحسان وتحول إلى شخص؛ لشوهد وهو يحمل جمال الدنيا يفوق بجماله العالمين.

الإحسان والمحبة

يقول عليه السلام : «الإحسان المحبة»^(٢). «من كثر إحسانه، أحبّه إخوانه»^(٣). «سبب المحبة الإحسان»^(٤) «من كثر إحسانه؛ كثر خدمه وأعوانه»^(٥). «من أحسن إلى الناس؛ استدام منهم المحبة»^(٦).

ما هذا التوافق القائم بين الإحسان كمنهج وبين المحبة كدافع في ترسيخه وتعميقه لبناء الشخصية الهادفة الواعية؟ فهو منطلق إنساني رحب لها يستوعبها وهي تجسده في حياة الأمة، بل هي محرّك لاستمرار عطائه النثر ونبعه الصافي، لتشييع الطمأنينة في الحياة، وتسود حركة المجتمع وسعادته في ظلها، فتعزّز وحدته، وينجاب عن الدنيا شرورها، ويندحر الشيطان في كل موضع يحط رحاله فيه، وتنمو العلائق الطيبة بين أبناء الأمة فتشعر النفوس برضاها، وتزخر حياة الانسان في ظلال هذه الأجواء بالعطاء وتفيض بالعطف والسعادة

(١) م. ن.

(٢) م. ن.

(٣) م. ن.

(٤) م. ن.

(٥) م. ن.

(٦) م. ن.

والبركات . فتصب أقوال الامام المتقدمة كلها في طاعة الخالق سبحانه ورضاه ، فكثرة الخدم واستدام المحبة وكسب الاخوان إنما توفرها الأقوال الرقيقة والألفاظ المهذبة ، ونيل محبة الناس إنما يرسخها البذل والعطاء ، فمصدرها هذا المعنى السامي الذي يجمع عناصرها ذلك الإحسان ن미رها العذب ، وكيانها الجميل الذي يفوق العالمين .

بالإحسان تملك القلوب

قوله ﷺ : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » .
معنى جبلت : خلقت وأنشئت وفطرت على حب من أحسن إليها ، وأسدئ معروفاً لها ، فتميل إليه وتبادله الحب والمودة والوفاء وتخلص له الاحترام والتقدير ، ولكن هذه القلوب بميلها الفطري وطبيعتها التي جبلت عليها تنفر ممن أساء إليها ، وتبتعد عمن يعتدي عليها ولو بكلمة بسيطة تافهة تنزلق على اللسان ولا يقصدها صاحبها فما بالك بانفلات اللسان بالألفاظ النابية ، والتصرفات غير المسؤولة ، فقد تحدث ثورة عارمة بالعلاقات فتدمرها ، وتشعل نار العداوة بين الناس أو حتى بين المحبين أنفسهم ؟

إن الحب والبغض حالتان تتنازعان بالقلب فتوزعه وتشطره إلى شطرين فيميل القلب المحب إلى من أحبه وأحسن إليه ، وينفر ممن أبغضه وأساء إليه ، وناهيك عن ذلك فحتى قلب من أضمر حبا لجميع الناس ، فقد يعتريه صدام النفور بسبب تصرفات شائنة تصدر من الآخرين رغم الصفح وغض البصر عنها أكثر من مرة ، ورغم اسداء النصيح والإرشاد والتوجيه لعل أصحابها يثوبون إلى الرشيد وينتبهون عن الغي .

ولكن القلب السليم الذي يفيض بحبّ الله يشعر دائماً بحبّ الآخرين ،
والميل إليهم ، وسلوك الانسان في نطاق هذا الحبّ ينسجم تماماً مع ما
يريده الله تعالى أن يكون عليه هذا الأمر دائماً . والحب فيفيض يسكب به
الخالق في قلب مَنْ يشاء من عباد له لمن يستحقه ، وهذا القلب النابض
بحبّ الله مجرى هذا الفيض الالهي ، وموطن لطفه به وعطفه عليه .
فصاحب القلب العطوف يتودد إلى الناس ويشعرهم بحبه لهم ، يشعرهم
بذلك بشعور المؤمنين الصالحين ، وبذلك يكسب ودهم ، وينال رضاهم
ويصبح موضع احترامهم له ومحل ثقتهم به . فيميلون إليه ، وينعطفون
عليه فيغمرهم بمودته ويحسن لهم معاملته .

وقلب من يبغض الناس ، ويحمل الحقد عليهم قلب بعيد عن رحمة الله
وعطفه ، وقريب من الشيطان ووسوسته ، قلب قاس ومنكوس قد رانت
عليه الذنوب فلا يرى موضعاً للخير وقد أسدي إليه ولا يبصر نوراً
يهتدي عليه ، خالٍ من كل رحمةٍ ومتجرد عن كل عطف ، يشذ في أعماله ،
وينحرف في تصرفاته وسلوكه ، الاساءة عنده إلى الآخرين إحسان
بالنسبة إليه وليس بإحسان ، يصرح بالسئية إذا قارنها ويبتعد عن
الحسنة إذا وجد طريقاً إليها ، لأن طبيعته قد تشربت بالسوء ، وطفحت
بالجحود .

فالقلب السليم هو قلب المحسن المغفور بالحبّ رقيق في مودته
ينساب مع الفطرة وينسجم مع كل عمل حسنٍ ، يتصرف بوعي وإيمان ،
ويتحرك في كل اتجاه متوخياً مرضاة ربّه ، مستوحياً مفاهيم حياته
ومشاريع عمله من مناهج القرآن وسيرة المصطفى ﷺ وحياة
الأئمة عليهم السلام .

والانسان عبد الإحسان مادام هذا الإحسان رمزاً يعتز به المحسن في

إحسانه ، فيحافظ عليه لأنه مؤثر لعزّته ، وانتصار روعي على ذاته ، ومحرك لمسيرته ، ومعنى العبودية هنا تعنى في هذا المجال الانساني العام الاعتراف بشكر نعمة من يحسن إلى الناس فيعتزون به ويميلون بأخلاقهم إليه .

فحالة امتلاك القلوب إنما يجسدها الإحسان إليها بالبذل المادي ، والخلق السامي يقول ﷺ : «الإحسان يستعبد الانسان»^(١) «الانسان عبد الإحسان»^(٢) . «الإحسان يسترق الانسان»^(٣) يمتلك الانسان إذا كان كريماً حينما يحسن إليه ، ولكن اللئيم لا ينفع معه مثل هذا الإساءة بل يعتبره شيئاً يجب أن يمنحه على الرغم من وجود الفارق بين المحسن وبين هذا الذي يتعامل بهذا المستوى الواطئ من التفكير :

فإن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
وفي نهاية مطاف هذا الفصل لفروع الإحسان في امتلاكه قلوب البشر
نلتقي بنوع آخر منه وهو ينسجم كذلك مع افقه وطبيعته وخواصه ،
يقول ﷺ : «إحتج إلى من شئت تكن أسيره ، واستغن عن من شئت تكن نظيره ، وتفضل
على من شئت تكن أميره»^(٤) . فالأسر والنظارة والامارة أنماط سلوكية
متحركة متباينة تختلف أبعاد كل منها عن الآخر ، تعكس تصرف
الانسان في حركته داخل بيئته ومجتمعه ، وفي اطار انطباعاته
الشخصية التي تضيف عليه نوع سلوكه وتصرفه . ونظرته للحياة في كل
هذه الاتجاهات تتوقف على مدى ما يتمتع به من ثبات الشخصية
واهترازها ، ونوع المزاج الذي يواكبها ، ويتفاعل على ما حوله من هذه

(١) م . ن .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن .

(٤) الامام علي (ع) ، بحار الأنوار ٧٧ : ٤٢١ ، ارشاد المفيد .

الأنماط السلوكية الثلاثة ليترجمها إلى واقع عملي يناسبها .

فإذا شاء أن يكون أسيراً لغيره ؛ فليكن محتاجاً إليه بالوقت الذي باستطاعته أن يكون نظيراً له إن لم يكن متفضلاً عليه ، وإن أحب أن يكون نظيراً لذلك الغير ؛ فليستغن عنه وإن كان محتاجاً إليه ، إذ خليف المرء أن يكرم نفسه وأن لا يذلّها ، فكرامته مرتبطة بعزّة نفسه ، فيترفع عن مد يده إلى الغير فيهين كرامته ، بإشعاره بحاجته إليه ، ومنّه عليه . فالمفروض بالإنسان أن يعتمد على نفسه في إصلاح شأنه وتنظيم مواقع حياته ، فالحياة الحرّة الكريمة التي ينشدها الاسلام ، ويحثنا عليها أئمتنا عليه السلام هي المسار الطبيعي المباشر لحركتنا في كسب العيش الرغيد ، وما أجملها من حياة إذ يعيش الانسان الواعي في ظلّها سعيداً معزّزاً بعيداً عن تفضل الغير ومنّه عليه !

ثم إذا أحب أن يكون الانسان أميراً على غيره ، فليفضل عليه ولكن في حدود الالتزام لأوامر الاسلام في ذلك ، فقد رسم الاسلام المنهج الشامل لهذا العطاء بالطريقة التي شرّعها وأكد عليها ، فالأمر الوسط في البذل والعطاء هو المناخ الموافق للإحسان في حياة الانسان داخل مجتمعه . وأئمتنا سلام الله عليهم هم الهداة لهذه البشرية ، وهم قادة الدنيا أخلصوا العمل وخدموا الله تعالى وأطاعوه فأولاهم عنايته ، واختصهم برحمته ، سلكوا بنا طرق النجاة لتحقيق مرضاة الله فهم منطلق الإحسان وهم قادته ، وهم موضع كرامة الله لهم بإحسانه إليهم ، وبإحسانهم إلى خلقه ، إنهم الوجود التطبيقي لأوامر السماء وهم العطاء المحض ، ومحل اللطف الالهي في هذه الأرض ، فلا خير إذن في حياة لا ترتبط بمنهجهم ، ولا وجود للخير إلّا في ظل طاعتهم ، والسير وفق ما أمروا به وطبق ما أرادوا لنا في حركة هذا الإحسان .

الإحسان إلى مَنْ أساء

الإحسان يبقى إحساناً حتى ولو بذل إلى غير أهله عندما يسيئون ، وهو أمر لعله يدفع المسيء إلى الاعتراف بخطئه فيكون سبباً إلى صلاحه ، ويحوّل غيظه إلى رضا وينشئه نشأة أخرى ، ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ ، فيقول ﷺ : «إنّ إحسانك إلى من كادك من الأضداد والحساد لأغنيّ عليهم من مواقع إساءتك منهم وهو داعٍ إلى صلاحهم»^(١) . بهذا المنهج الانساني الشامل الذي رسمه الامام نستطيع أن نحول الإساءة وهي أسلوب سلبي حقير إلى حسنة تحوّل العداوة إلى صداقة حميمة ، وتنشفي غيظ الحاسد فتحمله على الاعتراف بالجميل بل توقظ عنده الضمير فتدفعه إلى تغيير سلوكه ، وتنظيم علاقته مع الناس ، وتصرفه إلى شريحة نظيفة تتوخى الخير ، وتتطلع إلى الصلاح ، فالكيد والحسد والإساءة والغيظ كلها مواقع خطرة ومهاوي سحيقة ما لم تقابل بالإحسان والاصلاح والمسامحة تنفجر الحياة بين البشر إلى شر مستطر ، وتصير جحيماً لا يطاق . فإذا أحسن الانسان إلى من أساء إليه فقد ملك عليه مشاعره ، وعزّز فيه الثقة بنفسه وغير نظرتة وفكره عن الآخرين . وأماله إليه ، وقوى على المعروف إرادته . فالإحسان إلى المسيء أحسن الفضل وهو داعٍ إلى غفران الذنوب ، وإشاعة المحبة بين الناس ، ونشر المعروف في أرجاء الأرض وأدعى إلى تدفق بركات السماء على الأرض ، فيقول ﷺ : «لا يجوز الغفران إلا من قابل الإساءة بالإحسان»^(٢) ، ويقول ﷺ : «أصلح المسيء بحسن فعالك ، ودلّ على الخير بجميل مقالك»^(٣) . ويقول ﷺ : «اجعل جزاء النعمة عليك الإحسان إلى من أساء إليه»^(٤) .

(١) الامام علي (ع)، غرر الحكم .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن .

وآخر ما يقول ﷺ في هذا المقطع وهو قمة قوله وكل قوله : «لا يكونن أخوك على الإساءة أقوى منك على الإحسان إليه»^(٥).

جميل جداً هذا التعبير الرائع المثمر من كل جوانبه ، إذ لا يرضى الامام علي عليه السلام أن تكون إساءة المرء وهو أخ إلينا أقوى منا على الإحسان إليه ، بل فليكن السابق في هذه الميادين الروحية الواسعة المحسن ليسمو في أجوائها الصافية ليغدق على الدنيا وهي عطشى إحساناً وفضلاً بجميل المقال وحسن الفعال ، وقولوا للناس حسناً ، والمرء يعرف بقوله ، ويوصف بفعله ، فكن في قولك سديداً ، وفي فعلك حميداً ، فلتكن قوة الإحسان إلى الناس لدنيا وهي كذلك أقوى من قوة الإساءة من لدنهم إلينا.

وقيم الدنيا ومبادئ الحياة الثابتة التي عاشت في ظلها البشرية عبر عصور الاسلام الزاهية يوم حكمها وفي رحاب الإحسان فيها هذه القيم وهذه المبادئ لا تموت مادام عامل الإحسان موجهاً لها وروحاً في حركتها ، فما أخرجنا إلى هذا النهج السليم ، وإلى هذه المنابع الصافية المناسبة مع الفطرة السليمة !

وأثمتنا سلام الله عليهم هم القدوة للأمة في كل مواقع الإحسان وهم دعاة الخير إليه وهذه تعاليمهم فيه تنير الدرب أمام السالكين إلى منابعه ، فبهذا هم تقتدي ، وعلى ضوء سيرتهم الطاهرة نسير ، فقد أحسن الله إليهم ، وأحسنوا بدورهم ﷺ إلى خلقه ، وفي رحاب رضاهم عنا نعمل صالحاً ونقول سديداً ونحسن ولا نسئ ، ونعطي ولا نمن فالفضل لله ، ومنه العطاء وله المنّ وحده .

(٤) م. ن .

(٥) م. ن .

المسلمون وأتباع أهل البيت في بنغلادش (١)

الإعداد :

تمت اشرفا محمد اشرف الدين فان
(بنغلاديش)

استقلت جمهورية البنغال عن باكستان عام ١٩٧١م وهي
عضواً في حركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامي ،
تقع إلى الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية قبال خليج البنغال ويبلغ
عدد نفوسها مائة وخمسة وعشرين مليون نسمة وهي ثالث أكبر بلد
اسلامي من حيث السكان بعد اندونيسيا وباكستان وتصل مساحتها
إلى نحو ١٤٣٩٩٨ كيلو متر مربع .



يدين حوالي ٨٥٪ من السكان بالدين الاسلامي و ١٢٪ بالديانة
الهندوسية وتتوزع النسبة الباقية على المسيحية والبوذية والقاديانية
والبهائية .

يصل عدد أتباع أهل البيت (عليه السلام) إلى عشرة آلاف شخص من بين

المسلمين الموجودين هناك وقد التحق بمذهب أهل البيت عليه السلام عدد كبير منهم بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران .

يقطن ٧٥٪ من السكان القرى والأرياف ولا تزيد نسبة المتعلمين عن ٣٥٪.

وأما من ناحية سياسية فتعتبر بنغلاديش دولة ديمقراطية لها نظام برلماني ويتولى السلطة التنفيذية الحقيقية فيها رئيس الوزراء فيما يتمتع رئيس الدولة بصفة رمزية بروتوكولية .

والشيخة حسينة واجد هي رئيس الوزراء في الوقت الحاضر أدت اليمين الدستوري لهذا المنصب في حزيران سنة ١٩٩٦م وهي ابنة مؤسس الدولة الشيخ مجيب الرحمن الذي قتل مع أفراد أسرته بانقلاب مسلح دامى عام ١٩٧٥م وسقط على أثر ذلك حزب (عوامى ليك) لينهض بالأمور تيار قومي يقوده الجنرال ضياء الرحمن .

ولدى وقوع الانقلاب كانت الشيخة حسينة في بريطانيا ولم يكن لها آنذاك أي دور سياسي لكنها عادت إلى البلاد عام ١٩٨١م وتولت قيادة حزب (عوامى ليك) وبثت فيه روحاً جديدة على صعيد النشاط السياسي وبعد واحد وعشرين عاماً من سقوطه عاد الحزب وتسلم السلطة في البلاد ثانية ، ويعود السبب في ابتعاده عن السلطة لفترة طويلة إلى سياساته المعادية للإسلام والتحاقه بركب السياسة الهندية إلا أن الحزب أعلن أنه صحح أخطاءه وذلك قبل الانتخابات وقدمت زعيمة الحزب اعتذارها لشعبها على الأخطاء التي وقعت على عهد أبيها مما وقر لها أصواتاً شعبية كبيرة اقترعت لصالحها وصالح الحزب في الانتخابات البرلمانية .

ورغم استقالة الحكومة القومية السابقة برئاسة خالدة ضياء جاءت -

في الظاهر - استجابة لطلب الأحزاب المعارضة وضغوطها عليها لتشكيل حكومة شاملة إلا أن الفساد المالي والسياسة الاستبدادية كانا هما العاملين الأساسيين في اسقاط حكومة خالدة ضياء ، يُضاف إليهما عجز الدولة في اتخاذ سياسة اقتصادية مستقلة عن الهند وحرمان المزارعين من استيفاء حقوقهم .

ولقد عانت بنغلادش كثيراً عندما كانت تحت سيطرة الاستعمار البريطاني المدمر والذي أمتد على مدى قرنين ، وبعد استقلالها وإحاقها بالباكستان عام ١٩٤٧م ؛ تحمّلت تحت سيطرة الباكستانيين الجور والظلم والنهب لمدة خمسة وعشرين عاماً ولهذا بقي اقتصاد البلد ضعيفاً جداً ومتأخراً ، وضاعف من هذا الوضع المتردي عدم الاستقرار السياسي والكوارث الطبيعية مثل السيول والفيضانات ، ويُعاني أكثر الناس هناك من الفقر والحرمان .

ولمّا كان ٧٥٪ من السكان يعيشون في القرى والأرياف فإن من الطبيعي أن تعتمد حياتهم على الزراعة . ويبلغ الدخل السنوي للفرد مائتين وخمسة وعشرين دولاراً ، ويؤمن ٥٢٪ من الدخل القومي للبلد سنوياً عن طريق صناعة النسيج ، ويُصدّر البلد الشاي والجلود والنسيج وخيوط الكتان والجراد البحري والسماد الحيواني ، ويستورد المواد الغذائية والنفط والورق والسيارات الثقيلة والخفيفة ووسائل النقل الأخرى ، أما الصناعات المحلية فأهمها الحديد والسماد الحيواني والسكر والسيراميك واللامين والنسيج والصناعات اليدوية ويتمتع البلد بثروة معدنية من الغاز وحجر القير والفحم الحجريّ . تعتمد ميزانية الدولة بشكل رئيسي على المساعدات الاجنبية والقروض الدولية .

الاسلام في بنغلادش

ظهر الاسلام في بنغلادش بواسطة العرفاء المسلمين ، ويُقال أنَّ أتباع الصوفية جاءوا إلى هذه المناطق واحداً تلو الآخر في القرن التاسع الميلادي وبدأوا الدعوة للاسلام بشكل علني ، وقد استسلم الناس على أيديهم أفواجاً وقد سيطر المسلمون في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ولأول مرة على المنطقة وحكموها ، وبالتدريج سيطرت الثقافة الاسلامية على هذه البلاد ، وبعد ظهور حكومة المسلمين ازداد نفوذ الثقافة الاسلامية التي حملها الايرانيون بما فيها نفوذ اللغة الفارسية في اللغة البنغالية بشكل واضح وذلك لأن أكثر المسلمين في عصر حكومة المغول إما أن يكونوا مسلمين إيرانيين أو ممن تأثروا بالثقافة الاسلامية القادمة من ايران ، ولقد كانت لغة البلد لمدة ثلاثمائة عام لغة فارسية يُضاف إلى ذلك أن أكثر الصوفيين الذين جاءوا إلى هنا هم مسلمون إيرانيون . ويوجد بحدود العشرة آلاف كلمة فارسية في قاموس اللغة البنغالية . وهؤلاء العرفاء والصوفية من محبّي أهل البيت عليه السلام وقد أدّى هذا الأمر بأكثر الناس إلى الارتباط القلبي بأهل البيت عليه السلام .

ويتبع القرويون شيوخ الطريقة الصوفية وتستعمل لفظة (شيخ) في البنغال بمعنى مُرشد الطريقة ويوجد في الوقت الحاضر آلاف من هؤلاء الشيوخ يُبلّغون بين الناس وتتشابه أكثر عقائد هؤلاء مع عقائد أتباع أهل البيت وإن كان يتبعون المذهب الحنفي في الأحكام والفقه ، فهم يقيمون شعائر أبي عبد الله الحسين في محرم الحرام بعناية واهتمام بالغ ولدى البعض منهم اطلاع بالأمور السياسية ولديهم حساسية بالغة من الوهابيين ويقفون بوجههم بقوة والبعض منهم يلعن يزيداً ومعاوية صراحةً ويعتبرون أنفسهم من أتباع الامام الحسين عليه السلام .

وكانت خلال الخمسين عاماً الماضية نشاطات كبيرة للوهابية بواسطة المجاميع المختلفة ، وقد أوصلوا الناس تدريجياً إلى مرحلة خطيرة جداً من الفتنة .

يعتبر حزب الجماعة الاسلامية من أكبر الأحزاب الاسلامية ورابع قوة سياسية في البلاد ، وعلى الرغم من فقدان أكثر مقاعده في البرلمان السابق بقي نفوذ هذا الحزب في الجامعات قوياً ، ويوماً بعد آخر يفقد من شعبيته بسبب الأداء الضعيف لطريقة عمله السياسي .

وقد أعلن الحزب تأييده للثورة الاسلامية في ايران بشكل دائم بعد انتصار الثورة ، ولكن للأسف تراجع عن تأييده تدريجياً وطرح شبهات حول فكر السيد الامام الخميني (ع) .

وأما حزب حركة الخلافة الذي أسسه مولانا محمد الله حافظي فهو ثاني حزب اسلامي في بنغلادش في حضوره في الساحة السياسية، والملاحظة التي تستحق الذكر أن أغلب مؤيدي هذا الحزب من العلماء، وبسبب الانقسام الذي حصل في الحزب بعد وفاة مولانا محمد الله حافظي خرج عدد من العلماء من الحزب ، وقد أدّى هذا الأمر إلى نقصان شعبيته بين الناس .

ويبقى اسم مولانا محمد الله حافظي في تاريخ بنغلادش لشخصيته وتأثيره الكبير على تفكير العلماء ، وقد طرح سياسة التوبة في البلاد ومضمون هذا السياسة هو كل من كان مطيعاً للنظام الطاغوتي لا بد أن يتوب ، ومن أجل تأسيس الحكومة الاسلامية لا بد من إعطاء الرأي في الانتخابات للعلماء ، وعندما التقى بالسيد الامام (ع) أعلن عند عودته من الجمهورية الاسلامية في ايران وبشكل علني «أن الامام الخميني عالم كبير وعارف وقد رأيت في وجهه نوراً لا أستطيع أن أصفه بلساني» .

وفي جوابه على سؤال : ماذا رأيت في الجمهورية الاسلامية في ايران؟ أجاب : «ثلاثة أشياء غيرتني ١- قيادة العلماء ، ٢- الشباب الملتحي وروحيتهم الاسلامية ، ٣- حجاب النساء» .
ونستطيع أن نقول خلاصة ما قدمه مولانا للبلاد من خلال عمله
أمرين :

١- بأن الدين والسياسة غير منفصلين وحتى الذين كانوا يعتقدون بأن العمل السياسي حرام تخلّوا عن ما كانوا يعتقدون وعادوا إلى الساحة السياسية بواسطته .

٢- الوحدة بين المسلمين السنة والشيعة (أتباع أهل البيت عليهم السلام) .
وقد كان الكثير من مسلمي هذا البلد يعتقدون بأن أتباع أهل البيت عليهم السلام ليسوا بمسلمين ولكن بعد سفر مولانا إلى الجمهورية الاسلامية في ايران تغيّرت تصوراته عن أتباع أهل البيت عليهم السلام ورفعت هذه المشكلة في البلاد تماماً .

أتباع أهل البيت عليهم السلام في بنغلادش

لقد ذكرنا فيما سبق كيف وصل الاسلام إلى هذه البلاد وعرفنا أن أكثرية المسلمين هم من أتباع المذهب الحنفي في الأحكام والفقه وقليل من أتباع أهل الحديث ، والآن نريد أن نعرف شيئاً عن أتباع أهل البيت عليهم السلام .
لقد طوى أتباع أهل البيت عليهم السلام في بنغلادش ثلاث فترات بحيث كان لكل فترة من هذه الفترات ظروفها وأوضاعها الخاصة على أتباع أهل البيت عليهم السلام هناك :

الفترة الاولى : وهي الفترة التي كانت فيها بنغلادش جزءاً من شبه القارة الهندية المتحدة وقد سيطر عليها وحكمها المسلمون بشكل

رئيسي وظهرت كمنطقة اسلامية ، وفي هذه الفترة كان أتباع أهل البيت (عليه السلام) أقلية لهم وضع جيد والدليل على ذلك وجود الآثار التاريخية العظيمة مثل (حسيني دالان) أي منطقة الحسين في قلب مدينة دাকা . ولكن عندما دخل الاستعمار البريطاني إلى شبه القارة الهندية بعنوان تجار تدهورت أوضاع أتباع أهل البيت (عليه السلام) بشكل واضح حالهم كحال باقي المسلمين .

الفترة الثانية : تبدأ هذه الفترة بعد تقسيم شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧م إلى منطقتين هي الهند وباكستان وإلحاق الأراضي البنغلادشية بباكستان باسم باكستان الشرقية ففي بداية هذه الفترة هاجر مليونان ونصف المليون مسلم ممن يتكلمون اللغة الاوردية من الهند إلى باكستان الشرقية . وقد كان من بين هؤلاء المهاجرين مائة وخمسون ألفاً من أتباع أهل البيت (عليه السلام) هاجروا بسبب الأوضاع الخاصة المحيطة بهم وبالمذهب وأكثر هؤلاء من مناطق بيهار واوتربرادش الهندية وعُرفوا فيما بعد بالبيهاريين وسكنوا مناطق متعددة من بنغلادش وعددهم كان لا بأس به قبال أهل السنة وكانوا يقيمون شعائر عزاء الامام الحسين (عليه السلام) في محرم الحرام بشكل واسع جداً من خلال اخراج المواكب والهيئات ، وللأسف كان لبعض المراسيم تأثير سلبي على سائر المسلمين في بنغلادش ، فبدلاً من أن تقترب الناس باتجاه أهل البيت (عليه السلام) كانت تُبعدهم وتنفرهم وذلك لاشتمالها على بعض الخرافات .

وقد ازداد عدد أتباع أهل البيت (عليه السلام) في هذا البلد خلال هذه الفترة إلى مائتي ألف منهم مائة وخمسون ألفاً من المهاجرين وخمسون ألفاً قدموا بعنوان موظفين اداريين للدولة الباكستانية في منطقة باكستان

الشرقية .

وقد عاش أتباع أهل البيت عليه السلام كأقلية من البنغاليين ظروفاً مظلمة وقاسية جداً خلال هذه الفترة فكانوا متفرقين يعيشون في أماكن نائية وبعيدة يصعب الاتصال فيما بينها وعاشوا الفقر والجهل وفقدان علماء الدين فقد أحيطوا بهذه الظروف خلال هذه الفترة بحيث نسي عدد كبير منهم مذهبهم .

في حين كان لأتباع أهل البيت عليه السلام من المهاجرين امكانيات جيدة نسبياً ، ولكنهم لم يستثمروها لدعم حركة أتباع أهل البيت عليه السلام في أوساط البنغاليين وخلال ربع قرن من وجودهم في بنغلادش لم يؤسسوا ولا مكتبة صغيرة باللغة البنغالية لها علاقة بأهل البيت عليه السلام ، كانوا يعيشون ضمن دائرة خاصة بهم لا يتعايشون مع الآخرين وذلك بسبب الطبيعة الخاصة بهم ولم يقيموا علاقة مع أتباع أهل البيت عليه السلام من البنغاليين وعندما تركوا الأراضي البنغالية باتجاه باكستان أهملوا الحسينيات الخاصة بهم ونتيجة لذلك فقدوها وخرجت من أيديهم .

الفترة الثالثة : تبدأ هذه الفترة بعد استقلال بنغلادش عن باكستان عام ١٩٧١م وهذه الفترة تنقسم بدورها إلى فترتين :

الفترة الاولى : قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران عام ١٩٧٩م وتمتد ما بين عام (١٩٧١ - ١٩٧٩م) . الفترة الثانية : بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران .

فبعد استقلال بنغلادش وخروج القوات الباكستانية من أراضيها؛ طلب أتباع أهل البيت عليه السلام من المهاجرين الهنود وشيعة باكستان الغربية (موظفي الدولة الباكستانية) التبعية الباكستانية وصاروا يحملون

الجنسية الباكستانية وبدأوا الهجرة من بنغلادش إلى الباكستان حسب اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة باستقلال بنغلادش وبشكل طوعي تمت هذه الهجرة بشكل سريع وفي مدة قصيرة ترك أغلب أتباع أهل البيت (عليه السلام) من المهاجرين والباكستانيين الأراضي البنغالية ولم يبق من المهاجرين إلا مائة وخمسون ألفاً من بين هؤلاء أربعة آلاف من أتباع أهل البيت (عليه السلام) وأما أوضاع أتباع أهل البيت من البنغاليين فلم تتحسن ولولا إقامة شعائر محرم الحرم لفقدوا ما تبقى لديهم من هويتهم المذهبية .

وأما الفترة الثانية : وهي بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران فقد فُتحت آفاق جديدة كلّها أمل على المسلمين في العالم وبالخصوص على أتباع أهل البيت (عليه السلام) ومنهم أتباع أهل البيت (عليه السلام) في البنغال .

فقد ارتبط هؤلاء ارتباطاً قوياً بالثورة الإسلامية وانتظروا بفارغ الصبر سماع بيان انتصارها عام ١٩٧٩م . واعتبرت الشخصيات البارزة من أتباع أهل البيت (عليه السلام) في البنغال انتصار الثورة الإسلامية انتصاراً لهم وسعوا جاهدين على انقاذ أتباع أهل البيت (عليه السلام) في البنغال من الظلمات إلى النور في ظل هذه الثورة الإسلامية المباركة .

وقد بذلت بعض الشخصيات البنغالية من أتباع أهل البيت (عليه السلام) جهوداً كبيرة ومتواصلة للتعرف على مناطق تواجد أتباع أهل البيت (عليه السلام) وإيجاد الاتصال والتعاون بينهم . ومن خلال الرؤى الواضحة والتصورات الصحيحة التي كانوا يحملونها عن الإسلام والثورة الإسلامية وبما يملكونه من قوة البيان استطاعوا أن يستنهضوا أتباع أهل البيت (عليه السلام) ويُعبئوهم لتغيير واقعهم نحو الأفضل فأسسوا مؤسسة البلاغ وبنوا أربعة مساجد لهم والعمل على نشر أحكام وثقافة مذهب أهل البيت (عليه السلام) .

وقد حصل عام ١٩٨٦م أول اتصال بين أتباع أهل البيت عليه السلام من البنغاليين والطلاب المبلغين من البنغاليين من الذين يدرسون في الحوزة العلمية في قم وأكثرهم من الذين أتبعوا مذهب أهل البيت عليه السلام بعد انتصار الثورة الإسلامية .

ولقد كان للثورة الإسلامية في إيران تأثير عميق على المسلمين البنغاليين من المذاهب الأخرى والطلاب الجامعيين والمثقفين . والعلماء كما كان لها تأثير على أتباع أهل البيت عليه السلام هناك ، والتحق عدد كبير منهم بمذهب أهل البيت عليه السلام ودخلوا الحوزة العلمية في قم من أجل التعرف بشكل واسع على هذا المذهب وقاموا بسفريات تبليغية إلى مناطق أتباع أهل البيت عليه السلام في بنغلادش ووصل الاخلاص والايثار بهم أن يُقيموا قرب هؤلاء المستضعفين وعملوا بكل ما يملكون من قوة على رفع مشكلاتهم ، ومن جملة الأعمال المستعجلة التي قاموا بها ارسال مجموعة من الطلبة إلى الحوزة العلمية في قم واقامة السفريات التبليغية المتوالية وترجمة بعض الكتب والكراسات في المسائل الفقهية والعقائدية . وتعتبر هذه الظاهرة في الساحة البنغالية حركة جديدة في طريق ابراز المعالم الأصيلة للإسلام ومدرسة أهل البيت عليه السلام وتوسعة دائرتها الثقافية في أوساط المسلمين البنغاليين . على أنّ هذه الحركة كان من أهدافها الأساسية التقريب بشكل واسع بين المثقفين والطلبة الجامعيين والعلماء المسلمين وبين الثورة الإسلامية والإسلام المحمدي الأصيل .

بقي أن نذكر هنا أموراً مهمة وهي أن الوضع الاقتصادي في البلد ضعيف والناس يعيشون الفقر والحرمان ولم يُستثن من هذا الوضع أتباع أهل البيت عليه السلام ولعلّ وضعهم أكثر حرماناً وفقراً ، ويستثنى منهم

أتباع أهل البيت من المهاجرين فهم يعيشون وضعاً جيداً نسبياً .
أما الوضع التعليمي فهو سيء للغاية ومتدني جداً ولهذا تجد التخلف
الثقافي إلى جانب الوضع الاقتصادي المتردي يشكلان علامة واضحة
لأتباع أهل البيت ﷺ من البنغاليين .

النشاطات المسيحية والمؤسسات التبشيرية

الأهلية (N.G.O) في البنغال

تُمارس في الوقت الحاضر أكثر من ألف مؤسسة نشاطها بشكل
واسع في المدن والقرى بعنوان مؤسسات انسانية تُقدم الخدمات
الخيرية ، وللأسف اعتنق المسيحية أكثر من مليوني شخص منذ حوالي
عشرين عاماً نتيجة لهذه النشاطات ويُمارس إلى جانب هذه المؤسسات
المسيحية خمسة آلاف مؤسسة أنسانية من (N.G.O) نشاطاتها
بعنوان انساني .

وتعتبر هذه المؤسسات دولة ثانية بسبب نشاطاتها ونفوذها بين
رجال الدولة والسياسة وهي غالباً من أميركا وكندا وأستراليا والسويد
وانجلترا . وهي تعمل بعنوانين انسانية في الظاهر ولكنها تسعى لتحقيق
أهداف سياسية ولهذا لم تخطُ خطوة واحدة في بناء البلد وتطويره وإنما
تعمل بشكل هادئ، والهدف الحقيقي لهم هو نشر الثقافة الغربية
الفاسدة، فهم يُشجعون توسيع أندية أفلام الفيديو وبرامج التلفزيون
الفضائية المبتذلة وجَرّ البنات إلى ما يخرجهن عن العفة والأخلاق
ويفضلون ذلك على إيصال الماء والكهرباء والمشاريع الزراعية وغاية
أهدافهم هو حرف الشباب عن أهدافهم السامية وقد حققوا وللأسف
نجاحاً كبيراً .

التحولات المهمة في البنغال بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران

لقد عاش المسلمون أواخر القرن العشرين تحت سيطرة مخالف نظام عالمي يحكمه الغرب الامبريالي الرأسمالي والشرق الماركسي ، ولم يكن لديهم طريق للخلاص من هذين النظامين حتى أشرقت على العالم شمس الاسلام من أفق الثورة الاسلامية في ايران فامتدت بنورها لتبشّر المسلمين والمستضعفين بالحرية والخلّاص من ظلم وجور المستعمرين والغزاة .

هذا النور الذي أحيا الاسلام المحدي الأصيل بعد ١٤٠٠ سنة وبعث الأمل في قلوب كل المستضعفين في العالم وخصوصاً المسلمين وأيقظت المحرومين في كل العالم للمطالبة بحقوقهم المسلوبة من قبل قوى الاستكبار العالمي ونشر القيم الاسلامية العالية ولم تكن بنغلادش بمعزل عن هذا التحول الكبير حيث أثرت الثورة الاسلامية بشكل عميق جداً في قلوب مسلمي هذا البلد وقد استعرضنا ذلك في أوائل هذا الاستطلاع .

ويبقى القول إن الثقافة الاسلامية متجذرة في نفوس الشعب البنغالي لأن أغلب الناس هناك مسلمون والثقافة المسيطرة هي الثقافة الاسلامية ومن المناسب أن نذكر بأن عدد المساجد أكثر من ألف مسجد وهو عدد كبير نسبة إلى مساحة أراضي البلد .

ومن هنا كان الاستكبار العالمي يخشى كثيراً من امتداد آثار هذه الثورة الاسلامية إلى المجتمع البنغالي وأعتبرها عقبة في طريق عمله في هذا البلد فقام بإلقاء الشبهات حول الثورة الاسلامية من أجل تحريف أذهان الناس وسعى للنيل منها والمثال على ذلك ماقاموا به أبان الحرب العراقية الايرانية حيث كانوا يتهمون الجمهورية الاسلامية في

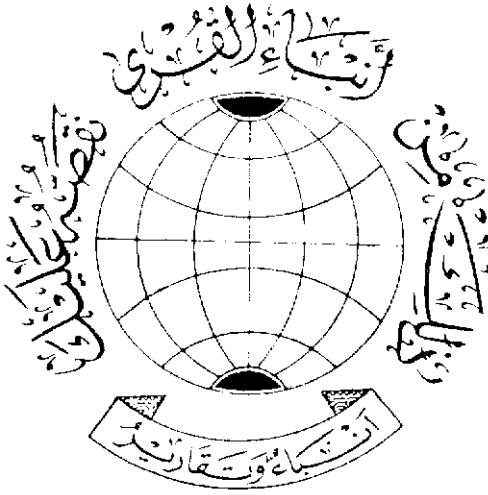
ايران بأنها داعية للحرب ولا تُريد السلام . أو كانوا يطعنون بالتزام أتباع أهل البيت (عليه السلام) الديني في ايران بأنه التزام ظاهري صوري وأن عقائد أتباع أهل البيت (عليه السلام) تخالف عقائد الاسلام والقرآن لايجاد التفرقة بين المسلمين البنغال والاييرانيين وغير ذلك ، وقد أثير ذلك بعض الشيء على مدى ولاء العديد من المسلمين البنغاليين للثورة الاسلامية .

ولقد حقق الإعلام المضاد المضلل المتعدد الجوانب بعض النتائج من أجل التأثير على ارتباط الناس بالثورة الاسلامية والسيد الامام الخميني (عليه السلام) لكنه خاب بالفشل بلطف الله تبارك وتعالى فعندما حدثت قضية سلمان رشدي وأصدر الامام (عليه السلام) فتواه التاريخية بحقه أزلت هذه الفتوى كل الشبهات حول الثورة الاسلامية والامام الخميني (عليه السلام) وأبرزت السيد الامام من جديد بعنوان قائد للمسلمين في العالم والشخصية المجدة الواقعية بعد قرون .

وكانت رسالة الامام الخميني (عليه السلام) التاريخية لگورباچيف رئيس الاتحاد السوفيتي السابق بمثابة عمل النبي (عليه السلام) وعندما رحل هذا الامام العظيم عن هذا العالم كان تشييعه المليونى حدثاً عظيماً أثر على قلوب كل الناس وبالأخص ممن يختلف معه وتحولوا نتيجة لذلك بيوم وليلة وشرعوا بمدحه والثناء عليه وتأسفوا كثيراً لرحلته .

ويعتبر المسلمون في بنغلادش السيد الامام الخميني (عليه السلام) اليوم الرجل الالهى الكبير ورجل التاريخ ويعتقدون انه لو كان للعالم الاسلامي رجل كالسيد الامام (عليه السلام) لم يعيش هذا الوضع المأساوي .





نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

الجمهورية في الانتخابات ، بدأت
منذ أن انتصرت الثورة الإسلامية
في شباط / فبراير / ١٩٧٩م
وبالتحديد في انتخاب نوع النظام
الذي يطمح إليه الشعب ولم تنته
بالانتخابات النيابية التي جرت
على مرحلتين مؤخراً لانتخاب
مئتان وتسعون نائباً للدورة

الجمهورية الإسلامية في إيران

مشهد الانتخابات

الاسلامية : واقع الانتماء

للثورة

على مدى أكثر من عشرين
عاماً عودتنا الأجواء السياسية
للجمهورية الإسلامية في إيران
على متابعة مستمرة للمشاركة



الجديدة من مجلس الشورى الاسلامي .

المشهد الانتخابي في ايران متكرر باستمرار لا جديد فيه ، ولا يحق لأحد أن يدّعي بأن الجمهورية باتت الآن تعيش أجواء المشاركة الجماهيرية الواسعة في الانتخابات التي تعتمد على آراء الشعب أساساً ، ومثل هذا الادعاء مكشوفة دوافعه ، فهو إما يستبطن أهدافاً معينة يصبو إلى تحقيقها وإما يصدر عن عدم تابعة صاحبه لوضع الساحة الاسلامية الايرانية وتطوراتها على مدى العقدين الماضيين .

ولكن ما الذي جعل الانظار من خارج الدولة تتجه نحو ايران الاسلامية فجأة ، ليس من جانب المراقبين والمحليين فحسب وإنما من قبل كبار الساسة أيضاً؟ أولاً: نعتقد أن ايران الاسلامية وبعد خروجها من فلك الارتباط بالمعسكر الغربي بعد انتصار

الثورة لم تغب يوماً عن بال الدوائر السياسية حتى وان لم تُذكر على لسان ، بل كانت تترصدها العيون للأجهاز عليها واعادتها إلى ما كانت عليه نظراً لما تحتله من موقع استراتيجي وسوق أساسية وموقف له وزنه المهم في أية مساومات على المنطقة وبخاصة القضية الفلسطينية .

ثانياً: حدوث تطورات في الداخل الايراني أعتقد البعض أنه فلتان من الثورة التي ضببت المجتمع باتجاه تحقيق المثل العليا في الاسلام . دفع بعض الجهات الرسمية الاقليمية والدولية إلى المراهنة على مستقبل الدولة الاسلامية ، والدخول بكل قوة في ميدان التصريحات التي تخص الشأن الداخلي الايراني .

ثالثاً: التصريحات انتقلت إلى مرحلة محاولة التأثير المباشر عبر الاعلام أو أية وسائل أخرى

لدى بعض الدوائر الدولية ، وأخذت هذه الدوائر تُعَلِّقُ الآمال على الحرية الممنوحة التي جرأت حتى الاطراف المعارضة لنظام الحكم الاسلامي على التحرك الاعلامي - على الأقل - والاجهار بمعتقداتها وأفكارها ، بل أن مصالح المجموعتين التقت في محاولة القيام بتغيير في الداخل عبر استغلال هذه الحرية . ثم أثارة بعض الاضطرابات والفتن هنا وهناك كما حصل في احداث الجامعة العام الماضي .

وازاء هذا التحامل غير الطبيعي على الثورة بعد أكثر من عقدين على عمرها نسجل الملاحظات التالية :

١ - الانتخابات التي شهدتها البلاد في السنوات الأخيرة لقيت أقبالاً جماهيرياً كثيفاً أثار استغراب المراقبين ، ولهذه الظاهرة أكثر من دلالة في واقع الحياة المعاشة داخل ايران وفي واقع الانتماء إلى الثورة رغم أن

الجيل الجديد الذي حضر - هو الآخر - بكثافة لم يشهد أحداث الثورة والظروف التي سبقتها ، لكنه شارك وبدافع من فطرته في التصويت لصالح النظام الاسلامي الواحد الذي يستوعب في داخله الاجنحة السياسية التي تختلف ربما في الاسلوب لكنها تتفق في الهدف .

٢ - المعنى الأخير هو الوجه الحقيقي الذي تجسد خلال السنوات الأخيرة من عمر الثورة حيث افرزت الساحة السياسية الداخلية وكأي بلد حر يتاح لشعبه بممارسة السياسة ضمن الدستور أكثر من جبهة وجناح يتنافسون من أجل الوصول إلى البرلمان أو الرئاسة أو أي موقع انتخابي آخر ولخدمة الشعب وايجاد حلول ناجحة لمشاكله المتعددة ومنها الاقتصادية .

٣ - ثمة مشاكل تعترض مسار الثورة وهي تتقدم نحو تحقيق الأهداف التي نادى بها ، منها ما هو

طبيعي جاء كنتيجة لتراكمات الظروف كالموضع الاقتصادي بسبب الموروث والمفروض ، الموروث من العهد البائد ، والمفروض من حرب على أكثر من جبهة وحصار وضغوط متعددة ، ومنها ماهو مختلف في الأساس ، كالاتارات التي تنسج خيوطها بعض الأطراف الداخلية بالتعاون مع جهات خارجية مستفيدة من أجواء الحرية الاعلامية ، هذه الاثارات تسبب نوعاً من البلبلة في الصف الداخلي وهي تهدف إلى ذلك ، وتشكك في المسلمات ، وتلقي الشبهات ، مما تعكر صفو الحياة السياسية ، ومن هنا جاءت دعوة قائد الثورة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) في صلاة الجمعة إلى وضع حدود جديدة للقوى السياسية التي تعمل في صالح الثورة رغم تعدد اتجاهاتها وفصلها عن القوى المعادية ، أو تلك التي لا تؤمن بالاحكم

الاسلامي ، وهذا من شأنه أن يسهل عملية الفرز لدى المراقبين ، ولا تختلط أوراق الساحة الاسلامية الايرانية على المحلل الذي حيرته ظواهر حركتها منذ أن فجرت الثورة الاسلامية بقيادة الامام الراحل المؤسس عليه السلام .

* * *

□ فلسطين

المفاوضات بين السلطة

الفلسطينية وتل أبيب ..

النفق الطويل

بين الفينة والأخرى تبدأ جولة جديدة من المفاوضات بين السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني لتنتهي إلى غير نتيجة ، وفي كل مرة توضع على طاولة المفاوضات بين الجانبين عناصر جديدة يراد لها مباحثات خاصة بها ، وتبقى أساسيات الموضوع غائبة أو مغيبة عن المعالجة .

هذا ما أعتدنا عليه منذ أن فتح

باب المفاوضات مع اسرائيل من قبل جميع الأطراف المعنية بمن هم ياسر عرفات وجماعته ، وطوال العقدين الماضيين أو أكثر بقليل هي الفترة التي فتح فيها على مصراعيه باب الاتصال المباشر مع سياسيو تل أبيب لم تسترجع الحقوق المطلوبة ، أو أن ما أُستعيد منها شيء بسيط جداً لا يُقارن بما أُعطي ؛ ولا يُقارن بمقدار التضحيات التي قُدمت ؛ ولا يقارن بمقدار التخلف الذي عانت وتُعاني منه المنطقة ؛ ولا يقارن أخيراً بمقدار الشعارات الرنانة التي أطلقت من أجل تعبئة الأمة على مدى نحو نصف قرن من الزمان أو أكثر بقليل .

أنصاف الحلول التي تقدمها القوى الكبرى وتدّعن لها بعض الزعامات العربية هي التي أدّت بالأمور إلى أن تتدهور إلى هذا الحد حتى ضاع الحق والتبست الأمور على الكثير من الناس ودبّ

اليأس من إمكانية استعادة ما اغتصب ؛ وباليتهى ظلت هذه الحلول على أنصافها ، إنما ظلت مشكلة الآخر دون صاحب الحق ، فاسرائيل تبحث عن الأمن قبل كل شيء من أجل الاستمرار في البقاء وتكريس الوجود والهيمنة على الأرض وعلى المنطقة ، وها قد أعطيت هذا المطلب المهم جداً ، بل الأدهى أن الطرف الآخر بات يعينها على هذا الأمر ، فأصبحت شرطة السلطة الفلسطينية والأجهزة الأمنية فيها تتعاون بشكل مكثف مع الاجهزة الأمنية الصهيونية في الكشف عن خلايا المقاومة والقبض على المشتبه بهم والقضاء على أية حركات تنادي بتحرير فلسطين وعاصمتها القدس ؛ وما الذي تريده اسرائيل غير هذا ؟

بل ربما ما كانت تحلم يوماً ما بأن يقوم الفلسطيني نيابة عنها بقمع الفلسطيني الذي يطالب

بالحق . هذا أعظم انجاز حققه الاسرائيليون والطريق لمّا ينتهي بعد ، والمفاوضات جارية على قدم وساق في داخل فلسطين وخارجها وبتدخل أطراف دولية وبدونها ، مع كل ما تعنيه هذه الاستمرارية في المفاوضات من امكانية تراجع الطرف الفلسطيني المفاوض كما عودنا في أكثر من موقف خلال الأعوام الماضية ، إذ أن مراجعة بسيطة لما كان يدعو إليه ياسر عرفات مثلاً وهو يدخل مفاوضات اوسلو مع الكيان الصهيوني عام ١٩٩٣م ، وما آل إليه الأمر حالياً من تراجع فظيع وتسويق في الوعود التي قطعت ، وأبسط مثال يمكن أن يُساق هنا الدعوة إلى اعلان الدولة الفلسطينية ، هذا الاعلان الذي تأجل أكثر من مرة تحت وطأة الضغوط الدولية أو المحلية ، وهو لا شك لن يجد طريقه إلى الواقع إلاّ حينما توافق اسرائيل عليه بعد أن

تضمن تحقيق خدمة يسديها إليها هذا المشروع - أي مشروع اعلان الدولة الفلسطينية - .

والحال كهذه لا يمكن أن تتوقع نهاية للقضية الفلسطينية على طاولة المفاوضات إلاّ بالاستسلام التام لمطالب تل أبيب ، وهذا ما لا يمكن تحقيقه للمفاوض الاسرائيلي والفلسطيني على السواء إلاّ في فترة طويلة واجتماعات متكررة وكثيرة لاستهلاك الطرف الفلسطيني طالما كان هو الأضعف ، لأنه لا يمسك بأية ورقة قوية تؤهله لكي يصبح مسموع الكلمة من قبل المفاوض الآخر أو من قبل الوسطاء ، إلاّ اللهم الأوراق التي تخدم اسرائيل نفسها كالتعاون الأمني مع تل أبيب لضرب الخلايا الجهادية داخل الارض المحتلة ، وهذه الورقة تسلب عن الجانب الفلسطيني المفاوض هويته

الفلسطينية وتجعله في خانة الطرف الآخر، أي تصبح مفاوضات اسرائيلية - اسرائيلية وان كان أحد أطرافها يتكلم العربية ويكتب بالعربية ويطلق شعارات عربية .

وعليه فان الوعود التي حُددت من قبل حول المفاوضات ونهايتها، ستستمر دون أن يكون قد تحقق شيء منها على ارض الواقع ، وإن الحوار الدوري بين السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني سيستمر بحضور الوسيط الأمريكي أو الاوربي أو بدونهما حتى يُصار إلى تذويب معظم الأهداف التي تابعها المواطن الفلسطيني وهو يحمل أملاً وان كان ضعيفاً في امكانية استعادة شيء من الأرض السليبة أو الكرامة عبر المفاوضات ، وهو يعلم أن مثل هذه الأمنية ليست إلا سراب ، وان قضايا كبيرة كالقدس واللاجئين لا يمكن

تسريعها بسهولة على الوعي الفلسطيني العام فضلاً عن الاسلامي ولا يمكن تسويتها بسهولة ، خاصة إذا علمنا أن قضايا بسيطة كالانسحاب الجزئي من مساحات صغيرة من الأراضي الفلسطينية أو بعض القرى ، أو النقاش حول المستوطنات ومصيرها قد أمضى الطرفان شهوراً وأعواماً وهي مازالت عالقة .

وهذه الحالة بالطبع لها مساوئها أيضاً فهي تُعزّي المتصدين للقضية ، وتكشف للمتابع مدى الانحطاط الذي يترصد بالانسان إذا أنساق وراء الأهواء والوعود الشيطانية المتجسدة حالياً في القوى المتجبرة التي تحاول أن تفرض سطوتها وسلطتها على العالم ، وبالتالي فانها تعمق الوعي لدى الرأي العام بعدم جدوى اللهاث وراء سلام لا يحقق العدالة .

□ لبنان

قرار الانسحاب من جنوب لبنان ..

دروس وعبر

قرار الانسحاب الاسرائيلي من جنوب لبنان يحمل أكثر من مفهوم للبناني ولإسرائيلي ثم نتوسع اقليمياً للعربي والمسلم ثم عالمياً للرأي العام العالمي برمته .

فلقد مضى على الاحتلال نحو اثنين وعشرين عاماً ولم تألو ثل أبيب جهوداً طوال هذه المرة في أعمال آلتها العسكرية في لبنان ما يمكن أن تفعله هذه الآلة من قتل وتدمير وتشريد وتسنديس ، وكادت في فترة من فترات الاحتلال أن تقضم لبنان قطعة واحدة لكنها عرفت أن لبنان ليست كأي أرض أخرى وانها ستغص فيها ، وكانت على حق ، تريثت في ابتلاع باقي الأرض فيما كانت عيون عسكريها تتطلع إلى ما هو أبعد من لبنان ، وربما كانت انظارها تتجه صوب دمشق

وغيرها من العواصم القريبة ، أو تعيش احلام التمدد على الأرض بين النيل والفرات .

أول دروس القرار - كانت جائزة نوبل التي تم تقسيمها بين السادات وبيغن - يجب أن تؤخذ مناصفة بين الرسميين العرب وبين الدولة العبرية ، وتفهم هذه الأطراف كلها بأن «ما ضاع حق وراءه مطالب» . وبالطبع فان الفرق بين الجانبين هائل ، فإسرائيل محتلة بينما ما فتأت الأطراف الرسمية العربية تقدم الأرض بعد الأرض والكرامة التي استبيحت أكثر من مرة خلال نصف قرن . إلا ان وجه الشبه هو ادراك الجانبين بوجود عوامل قادرة على فرض واقع آخر على الاحتلال مهما كان شرساً ومهما تراجع الآخرون أمامه ومهما ركعت القيادات أمام مطالبه ، وإذا كانت هذه العوامل متوفرة منذ اليوم الأول للاحتلال لما كانت هناك اليوم ارضاً محتلة

ولما كان لإسرائيل وجود على
الخارطة الجغرافية للمنطقة .

المقاومة الإسلامية هي
صاحبة اليد الطولى وهي صاحبة
الانجاز الكبير والدرس العظيم
الذي لقينته للعدو وعلمته
للآخرين، لذلك فهي تعرف الدرس
جيداً قبل غيرها ، ولا بد أنها تخطط
للمرحلة الجديدة دون أن يفت من
عضدها شيء ، وهي أكثر عزماً
وايماناً على المضي في هذا الدرب
الشائك الذي يتطلب المزيد من
الوعي للوقوف أمام المزيد من
الدسائس خاصة وان هذه
المقاومة مطلوبة الرأس للقوى
الكبرى التي تفكر في تصفية
حساباتها معها في يوم ما؛ ولما
كانت الانتصارات والفتوحات
تولد في الانسان نوعاً من الغرور
وربما الترف بعد مرحلة من
الضنك والابتلاء والتضحيات ،
فان الحاجة ستكون ماسة إلى
تعزيز الارتباط بالله تعالى أكثر
من ذي قبل من أجل ديمومة

الانتصار ومواجهة التحديات
المقبلة وإلا ضاع كل شيء - لا
سمح الله - .

الأمة الإسلامية مدعوة هي
الأخرى وهي تشهد هذه الظاهرة
الفريدة في عالمنا المعاصر
للمعودة إلى الذات واستعادة الثقة
بطاقتها الخلاقة التي تستطيع أن
تعيد للإسلام مجده وكرامته
الذي اندثر تحت سنابك خيول
المحتلين منذ قرن ، وهي مدعوة
كذلك إلى النظر ملياً في ما حققته
الثلة اللبنانية المؤمنة وهي تقارع
أعتى خلق الله منطلقاً من إيمانها
الراسخ ومرتزدة بالتقوى وهي
قبل ذلك أرغمت قوات احتلال من
نمط آخر على مغادرة التراب
اللبناني حينما كان مشاة البحرية
الأمريكية يرتعون على الأرض
اللبنانية حيث كانوا يمارسون
احتلالاً مبرراً على السيادة
اللبنانية . بل أن الأمة مدعوة
بعلمائها لدراسة هذه الظاهرة
واستخلاص الدروس المستفادة

التي يمكن للأجيال القادمة أن تحتفي بها وتستفيد منها لأن تجعل المزيّفون يتلاعبون بالتاريخ كما حصل لأكثر من ظاهرة وقضية مرت بالعالم الإسلامي على مر الزمان ، خاصة وإن أداء المقاومة الإسلامية في لبنان قد يغضب الكثير ممن يمسكون بزمام التاريخ والسلطة حالياً ، كما أنه يعرّي هؤلاء أمام الأمة التي ستحاسب يوماً ما أولئك الذين تاجروا بقضاياها دون أن يقدموا لها أي شيء وكان قولهم في واد وعملهم في وادٍ آخر .

و حينما نركز على التاريخ في هذه القضية فإننا على معرفة تامة بإمكانية استغلال ما جرى خلال العشرين سنة الماضية من شدّد بين لبنان والمحتلين لصالح الثاني أو العمل على تحريف الواقع ، فيمكن مثلاً استدرار عطف الآخرين بعرض صورة لجندي اسرائيلي غارق في دمه

هذا المشهد بمفرده قد ينقل إلى الحاضر وإلى المستقبل حيث ستصبح الساعة الراهنة تاريخاً له دون أن يحاط الرأي العام بكل الصورة التي سادت المنطقة العربية والإسلامية عموماً ولبنان خصوصاً .

هذا التشويه والعرض الأحادي الجانب يجعلنا نضيع الكثير من الفرص التي يمكن أن تؤثر فيها على الرأي العام لكي يستقي هو الآخر الدرس المناسب من أحداث العقدين الماضيين التي وقعت على بقعة جغرافية صغيرة تقع بين لبنان وفلسطين المحتلة ، أقلّه أن يعرف الحقيقة ويلتزم الحياد في هذا الصراع الطويل .

في خضم هذه النتائج التي ستنعكس بشكل أو بآخر محلياً وإقليمياً وعالمياً حاولت تل أبيب أن تخطط الأوراق وتقلل من وقع الهزيمة عليها ، وأثر الانتصار عند الطرف الثاني . وحاولت أن تحقق

لها بعض المكاسب بفرض بعض الشروط على لبنان أو على المعنيين عموماً بالمسار اللبناني، وكان القصف الدوري للمنشآت التحتية اللبنانية أحد أساليب هذا الضغط، لكنها أخطأت التقدير في هذا السلوك العدواني، لأن حزب الله هو الطرف الثقيل في المعادلة، ولن يسمح لها أن تحقق أي مكسب، وهذا ما كان على إسرائيل أن تفهمه قبل أن تجربيه.

* * *

□ العراق

بين عقاب النظام والأمم المتحدة

المطلوب .. معادلة بديلة

الشعب العراقي يعيش في وضع لا يحسد عليه بعد نحو عشر أعوام من الحصار والجوع والأمراض الفتاكة التي ورثها بسبب حرب لا ناقة له فيها ولا جمل، مازالات السلطات العراقية

تراوغ على أكثر من جبهة في الداخل والخارج وهي إما أن تطمح إلى تحقيق مكاسب ولو على حساب كل شيء .. على حساب القيم، وعلى حساب لقمة الشعب، وعلى حساب الشعب نفسه، وعلى حساب كل المبادئ المعترف بها، أو ان هذه المراوغات هي من تكوين النظام نفسه الذي لم يكف يوماً منذ أن تسلم زمام الحكم في الستينات ثم الانقلاب الذي غير الوجوه وأبقى على جوهر النظام في نهاية السبعينات، لم يكف عن اختلاق المشاكل سواء مع شعبه في الداخل أو مع بلدان الجوار أو حتى البلدان البعيدة.

وإذا كان النظام الدولي والأسرة الدولية تتحمل مسؤولية معاناة الشعب العراقي والمآسي التي حلت به منذ حرب النفط على حدود العراق الجنوبية مع الكويت، لان هذا النظام هو الذي فرض هذه الحالة ووضع

العراقيين في المأزق الاقتصادي ،
فان ذنب النظام العراقي نفسه لا
يقل عن ذنب المجتمع الدولي إن
لم يكن أعظم ، فهو الذي ساق هذا
الشعب إلى حربين مدمرتين ،
وهو الذي قمعه بقسوة في أكثر
من تحرك للمطالبة بحقوقه
المشروعة ، وهو الذي يُمارس
ضده يومياً أبشع أنواع الرقابة
التي يشعر معها الانسان العراقي
بالاختناق إلى درجة الموت ،
وبالتالي هو الذي شارك في
فرض الحصار الاقتصادي على
شعبه منذ عشر أعوام عبر
سلوكه وعدم انصياعه للقرارات
الدولية ، ويشارك حالياً في
القضاء على هذا الشعب تدريجياً
مع القوى الأخرى التي لا تريد أن
تقوم للشعب العراقي قائمة ،
وكأنما تنتقم لثارات قديمة ،
أو أنها تحاول أن تسبق
التاريخ وتقضي على أية
روح تدب في العراقيين وهم
يتطلعون يوماً ما إلى الانعتاق

والحرية .

هذه المصلحة المشتركة بين
النظام وبين القوى الأخرى قد
لا تجد لها أية اشارة فيما يكتب
عن العراق وآلامه لأنها تبدو في
الظاهر على تضاد خاصة وان
الاعلام العراقي نفسه يشن
باستمرار حملات عنيفة على
بعض اطراف قوات التحالف
الدولية ضده ، وبالمقابل تقوم
الطائرات الغربية بقصف منتظم
فوق شمال العراق وجنوبه ، لكن
كل ذلك لا يعني أن مصالح
الجانبين متقاطعة على الدوام ، بل
قد تلتقي في أكثر من نقطة ،
ويتلاحم هذا الالتقاء خاصة عند
منطقة الحكم ، فالنظام يستमित
للبقاء ، والنظام الدولي لا يريد له
الزوال أيضاً ، وما يقال عن
محاولات أميركية للاطاحة به لا
تخرج عن كونها مزحة ، لأن الذي
يعمل من أجل تحقيق هدف معين
مهما كان عسيراً فلا بد أن يعمل له
ويحضر الأدوات اللازمة

للوصول إليه ، وواشنطن لم تحمّل نفسها حتى عناء ايهام وسائل الاعلام التي ظلت تسخر حينما تكرمت الولايات المتحدة على بعض اطراف المعارضة العراقية بعدة اجهزة للكمبيوتر كما هو معروف ، وهي ليست غبية إلى هذا الحد بحيث لا تدري بأن العمل من أجل اسقاط أي نظام ومهما كان ضعيفاً يحتاج إلى تعبئة ويحتاج إلى سلاح ويحتاج إلى تدريب ويحتاج إلى اعلام وغير ذلك من ضروريات الكفاح . بل استطيع أن اجزم هنا أن الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة لا يترددان في ضرب أية محاولة جادة لتقويض النظام في العراق ، كما حدث اثناء الانتفاضة الشعبية بعد تحرير الكويت حيث كان لقوات التحالف دور في حماية النظام العراقي من الانتقام الشعبي الذي تلا الحرب حينما سقطت كل المدن العراقية تقريباً بيد الشعب ، واعطى التحالف

الضوء الأخضر لمروحيات النظام لقصف السكان .

إذن اجتمعت المصلحتان هنا في السابق ، وما زالتا مجتمعتان في الحاضر ، وكل ما يقال عن العداء بين النظام وبين الغرب ينصهر ويتلاشى حينما يتلق الأمر بوجود النظام .

يشارك هذا التكالب على الشعب العراقي اطراف أخرى مجاورة للعراق أو بعيدة عنه ، أما استغلالاً لحالة الضعف والوهن العراقية كما في حالة تركيا التي أصبح شمال العراق مسرحاً لعملياتها ومرتعاً لاطماع سابقة لها ، وأما خوفاً من حلول نظام حكم شعبي يعتمد الديمقراطية والانتخابات والحرية كما في حالة الجوار العربي للعراق ، أو خشية من وقوع اضطرابات وفتن داخلية لا نهاية لها . وفي كل الأحوال ومهما كان السبب فان هناك اصطفاًف معلن أو مستور مع النظام الفعلي رغم ما يقال من

انه يتعرض لحصار ويتعرض لضغوط ويتعرض لمضايقات ومشاكل ؛ لتصبح المعادلة بصورة أخرى : الشعب العراقي هو الذي يخضع لحصار طويل اما النظام فلا يواجه مشكلة على صعيد تأمين ما يحتاجه ليوصل حياته وسلطته على الرقاب ، وإذا كانت الأمم المتحدة تريد أن تعاقب العراق على فعلته في الكويت فعليها أن تبحث عن بديل لا يمس الشعب العراقي في الصميم ، ويمكنها أن تكفر عن الأعوام العشرة الماضية باتخاذ قرار يرفع عن الشعب العراقي كل الاسواط المسلطة عليه داخلياً واقليمياً ودولياً ويسمح له بممارسة الحرية التي يتوخاها ، وإن كان هذا المطلوب يقترب من الأمنية البعيدة المنال من نظام دولي عودنا على تقديم المصالح الذاتية على مصالح الأمم والشعوب حتى وان تشرّق بها .

□ السودان

من المستفيد من الانفصام ؟

طيلة السنوات العشر الماضية لم يكن السودان أسوأ وضعاً مما هو عليه الآن لسبب رئيس لا يخفى على المتتبع لاحداث هذا البلد كما لا يخفى على المواطن العادي الذي يصغي إلى ما تتناقله الانباء دون أن يصدق ما تسمعه أذنيه :

تحالف في العمق يتحول وفي فترة قصيرة إلى خلاف مضمور ثم يطفو على السطح إلى صراع مرير غير محمود العواقب ، وقد يؤدي إلى انهيار الدولة أو ضعفها في أحسن الأحوال .

هذه التطورات السريعة قياساً إلى الفترة التي ظل فيها الرئيس عمر البشير والزعيم حسن الترابي يعملان معاً في الدولة ، منذ حزيران / يونيو ١٩٨٩م حيث وصلا إلى السلطة ، ورتب البيت الداخلي السوداني معاً ، هذه التطورات جعلت المتابع يطرح باستمرار استفسارات عن

الاسباب الكامنة وراء كل ما حصل ويحصل وهو يراقب عن كثب اتجاهات الأمور ويتمنى أن يلتئم الجرح قبل أن ينهكه النزف، خاصة وان التحالف القديم وقرر للسودان استقرار نسبي رغم الضغوط الدولية ومحاولات العزل السياسي التي فرضت على هذا البلد بسبب اتجاهه لتطبيق الشريعة الاسلامية ومقارعة قوى الاستكبار.

وعند الاشارة الأخيرة علينا أن نتوقف أولاً ونحن نعيش عن الدوافع التي حفزت للتفريق بين الرجلين وهما في قمة النظام والمسؤولية، فالسودان لم يكن يوماً معزولاً عن استراتيجيات الكبار، ورغم محاولات عزله اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، إلا ان العيون كانت تتطلع إليه طمعاً فيه تارة وتأديباً له تارة أخرى ان صح تعبير التأديب، ووضح مثال يمكن أن يُساق هنا ما تعرض له هذا البلد من قصف بربري قامت به القوات

الاميركية لمصنع أدوية الشفاء بذريعه انه يصنع الاسلحة الكيماوية، وبجة ان السودان يدعم الارهاب! إلى غير ذلك من الضغوط المعلنة والخافية التي مورست على الخرطوم طوال السنوات الماضية مما لا يمكن أن نعتبره أمراً معزولاً عما يجري حالياً على الساحة السياسية السودانية، بل لعل الأحداث الجارية هي النتيجة التي كان يطمح إليها صناع القرار الاميركي، ولها وقع مدوي وان كان متأخراً لتلك الضربة التي حصلت قبل سنوات، ونتيجة مريحة للساسة الامريكيين في احتواء استقلالية السودان وميوله نحو الاسلام الثائر. إذن فالعامل الدولي له دوره في التأسيس لما آل إليه الوضع والتفكيك بين قطبي القيادة في السودان.

يضاف إلى ذلك عامل لا يقل خطورة عنه، بل يمكن أن نعتبره امتداداً له لتلاقي بعض المصالح،

الا وهو الدور الاقليمي الذي ساعد في الاطاحة بتحالف الترابي - البشير . وجعل منهما خصمين ، فلو استقرءنا ردود الفعل الصادرة عن الغرب وعن دول منطقة شمال أفريقيا وبعض البلدان الاقليمية الاخرى لرأينا ان معظمها رحّب بتطورات الوضع في السودان ، ولعلّنا لا نجد من بين المواقف دعوة إلى نبذ الخلاف ووحدة الصف السوداني ، خاصة وان مثل هذا الخلاف ليس مجرد مشكلة بين رجلين ، بل انه ينسحب إلى شرائح واسعة في المجتمع ، فلكل رجل له مؤسسته الخاصة به وله أنصاره ومريديه ، فإذا كان البشير ينتمي إلى المؤسسة العسكرية ويحظى بولائهما ، فان الترابي له تاريخ عريق في المؤسسة الدينية والفكرية الاسلامية في السودان مع ما هو معروف عن التزام ابناء هذا البلد بالتعاليم الاسلامية واتجاههم نحو

الطرق الصوفية المنتشرة بكثرة هناك .

فلم تتريث هذه الدول في ابداء المواقف ، بل سارعت إلى الترحيب بالانقسام ! والشد على يد الرئيس الذي أقصى الزعيم الاسلامي وحل المجلس الوطني (البرلمان) وعلق بعض مواد الدستور ، وهذه كلها خطوات أقل مما توصف - في الغرب خاصة - بانها موجهة ضد الديمقراطية والحريات ، لكنها تصبح موضع ترحيب طالما كانت في السودان !! المواقف التي اعلنت والتي لم تعلن كلها تلقي ظلالاً من الشك حول احتمال وجود دور خارجي في إثارة الفتنة السياسية والطائفية تالياً ، واضعاف القيادة السودانية لاعادتها تدريجياً إلى بيت الطاعة لتكون منقادة إلى دول اقليمية قوية .

وإذا كان العامل الاجنبي له دور رئيس في أحداث السودان ، فان ذلك لا يعني غياب العامل

الداخلي تماماً ، بل انهما تضافرا معاً لتأسيس الوضع الجديد ، فبعيداً عما هو معلن من الاتهامات التي تبادلها الجانبان في عملية الاقصاء والرد ، هناك مصالح لكل طرف ينطلق منها في اتخاذ مواقف من الآخر ، وهناك - كما أشرنا - انتماءات مختلفة هيمنت على اتفاق المصالح وعلى أسباب التحالف التي جمعت الرجلين قبل أكثر من عقد .

وبعيداً عن الاسباب ، يبقى الواقع المؤلم الذي يواكب التجربة السودانية يحز في نفس كل مسلم غيور على وحدة الموقف والأمة ، ما لم تبادر الاطراف المعنية إلى الاحتكام لمنطق الحكمة والمصلحة العامة حتى وان تطلب الأمر وساطة من قبل المخلصين لا من قبل الكثير من الجهات الرسمية التي هالكت للأمر ، وأي تأخير في اتخاذ الموقف الحكيم المناسب سوف يضيّع الفرصة وتضييع جهود عشر سنوات من

التلاحم لتحقيق بعض المكاسب للشعب السوداني ، بل للشعوب الاسلامية الأخرى التي اعلنت دعمها للسلطة في السودان حينما رأت فيها النية الصادقة لتطبيق حكم الله ، وبالتالي فان أية انتكاسة تصيب السودان وهو يخوض هذه التجربة انتكاسة للأمة ، وبعدها سوف يرى شعب السودان أنه أضاع من عمره الكثير وهو ما لا نرجوه لآخواننا المسلمين في السودان .

* * *

□ الشيشان

الصراع الطويل

قبل أن يصبح رئيساً لبلاده ، ومن منطلق روح انتقامية عالية وجّه فلاديمير بوتين حراب العسكر الروسي نحو جمهورية الشيشان لتعيث فيها وتقسو عليها لأن التجربة السابقة لمقاومة هذه الدولة كانت ماثلة

أمامه لم تمضي عليها خمس أو ست سنوات فقط حينما فشل سلفه يلتسين في القضاء على تطالعات شعب الشيشان ، واستئصال شأفتهم .

وضع بوتين هذه التجربة أمامه واطلق لعسكره العنان في الشيشان حتى استطاع أن يكتسح هذا الاقليم بعد شهور من بداية الحملة وبعد خسائر جسيمة أعترفت ببعضها موسكو في حينها وتسترت على بعضها ، وقطف بوتين الثمرة التي كان يتمناها ويستعد لها أو يُعدّ لها حينما نُصّب رئيساً للوزراء على حين غرّة ، فورث مُلك سلفه يلتسين واصبح رئيساً لروسيا بلا منازع ، لم يضع بوتين السيف في غمده وهو يعلم أن الحرب ستطول وان رجال الشيشان لن يتخلوا بتلك السهولة عن السلاح ولن يتخلّوا عن العقيدة التي تحثهم على حمل السلاح ومقارعة الدولة الروسية ، لكن آلة الدعاية

الروسية حاولت التقليل هذه المرة من شأنهم ، وان الشيشانيين الخارجين عن القانون ! لن يتجاوز عددهم عن الالفين أو الثلاثة ، وان الجيش الروسي يحاصرهم في الجبال الجنوبية وانه سيقضي عليهم بعد حين ، لأن الشعب الروسي ما كان ليصوت لرئاسة بوتين لو علم انه سيخرج بالجيش وبمستقبل كل الشعب الروسي في حرب استنزاف طويلة تؤثر دون شك على الاقتصاد الروسي المرهق ، كما تؤثر على معنويات الشعب حينما يرى جنوده يتساقطون الواحد تلو الآخر في أزمة كان بمقدور السلطات أن تحتويها ، ولكن ليس بهذا الاسلوب الفظ الذي يحتاج إلى ثمن باهظ لابد أن يدفعه الشعب لا من لقمة خبز هذه المرة وإنما من دم أبناءه .

هذا بالنسبة للداخل الروسي ، أما على الصعيد الخارجي فان موسكو رأت نفسها وهي تخوض

هذه الأزمة أمام استحقاقات دولية وما خلفته ظروف النظام العالمي الجديد والحرب في البلقان ومحاولات توسعة حلف شمال الاطلسي ليشمل بلداناً من اوربا الشرقية كانت تدور في الفلك السوفييتي في الحقبة السابقة ، كما رأت أن هناك محاولات غربية لاحتواء روسيا وإدخالها في النظم والمعاهدات المتفق عليها في العالم الغربي ، فاصبحت مشكلة الشيشان محل أخذ ورد بين موسكو وبين العواصم الاوربية التي وجدت في هذه الأزمة وماشابهها من انتهاكات واسعة لحقوق الانسان خير وسيلة للامساك بخناق روسيا وحثها على تقديم التنازلات ، فأستغلت الموقف اسوأ استغلال ، واصبحت حقوق الفرد الشيشاني موضع مزايدة من قبل السياسي الغربي الذي رسم معادلة نظم العلاقة بين مصالحه في روسيا وحقوق الانسان في الشيشان فكلما حقق

مصلحة معينة كلما تغاضى عما يفعله الجيش الروسي في هذا الاقليم ، ولعل التلميحات التي اشارت إليها روسيا في انها ستضرب افغانستان وعلى وجه التحديد قواعد المنشق السعودي اسامة بن لادن هي نوع من الغزل للغرب ولأميركا بالخصوص ، وهي تعلم أن رأس بن لادن مطلوب أميركياً لاتهامه بالارهاب.

من هنا جاءت تصريحات الناطق باسم الكرملين للنزاع في الشيشان «سـيرغي ياسترجيمبسكي» : حينما قال ان روسيا لا تستبعد ضرب قواعد الاسلاميين في افغانستان في حال شكلت تهديداً لأمنها وأمن المنطقة .

وأضاف : من المحتمل أن نضرب بشكل وقائي إذا كان أمن روسيا القومي مهدداً بجدية أو إذا كانت المصالح القومية لدول صديقة لروسيا في المنطقة مهددة .

إذن ، ليس الأمر دعماً من ابن لادن للشيشان كما صوّره المسؤول الروسي حينما قال أن موفدين من الرئيس الشيشاني أصلان مسخادوف التقوا بن لادن في مزار شريف في شمال افغانستان ، وان الجانبين وقعا اتفاقاً لدعم المقاتلين في الشيشان ومدّهم بالرجال والأسلحة والذخائر .

إذا كان هذا هو العذر ، فلماذا تهدد موسكو بضرب افغانستان حتى لو تعرض أمن الدول الصديقة على حد تعبيرها للتهديد ، ومعلوم أن الشيشانيين لا يهددون في صراعهم الطويل سوى روسيا ، بل انهم لا يشكلون تهديداً للوجود الروسي بكليته ، ولا لنظام الحكم ، لأنهم ليسوا انقلابيين وليسوا معارضة للنظام ، وإنما يطالبون بالعودة إلى الوضع السابق في جمهوريتهم حيث كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال .

هذا التهديد - وربما التنفيذ

لاحقاً - يكشف عن نوع من الغزل بين روسيا من جهة وأوروبا وأميركا من جهة أخرى ، ولا يُستبعد أن تكون روسيا قد أوكلت مهمة ضرب قواعد بن لادن في افغانستان وهي الأقرب إليها بدلاً من أن تقوم بهذه المهمة قوات أميركية كما فعلت في السابق خاصة وان مثل هذه الضربات تولد في نفوس المسلمين حقداً واستياءً شديدين لانهما تستهدف قبل أي شيء بلداً مسلماً وأناس أبرياء ، وفي الجانب الآخر من المعادلة تلتزم الغرب الصمت حيال ما يجري من انتهاكات وخروقات لحقوق الانسان في الشيشان خاصة ، وان الطرفين يعلمان بأن الحرب في الشيشان لا يمكن أن تنتهي بهذه السهولة ، وربما ستبادر موسكو في مرحلة لاحقة إلى توجيه ضربات أقسى إلى الشيشانيين ولا تريد أن يؤرقها الصوت الذي يشهده الغرب في كل مرة حول حقوق الانسان .

لكن كل هذه المزايدات لم ولن تمنع الشعب الشيشاني من المطالبة في حقوقه المشروعة وهو يعلم أيضاً أن حربه ستطول وإن الغرب والشرق متفقان على إبادة .

* * *

⊠ نيجيريا

بين (كام العلف في نيجيريا) .. فتش في التاريخ

شهدت العديد من ولايات نيجيريا في الآونة الأخيرة أعمال عنف دموية راح ضحيتها المئات من الأشخاص .

وقيل أن السبب في هذه الاضطرابات هو الاعلان عن تطبيق الشريعة في الولايات الشمالية ذات الغالبية الاسلامية ، حيث أثار هذا الموضوع حفيظة الأقلية المسيحية وخرجت في مظاهرات أدت إلى حصول هذا الواقع المأساوي في البلاد .
الولايات التي وقعت فيها

الأحداث كلها تقريباً شمالية ، والأكثر تضرراً هي ولاية كادونا التي لم تكن قررت بعد تطبيق الشريعة في حين كانت ولايات أخرى قد أعلنت في وقت سابق أنها قررت ذلك وحددت موعداً للبدء به .

هذا في الشمال ، وفي الجنوب أيضاً حيث لم يتم أي اعلان من هذا القبيل تعرضت الطائفة الاسلامية إلى هجمات بربرية في مدينة (ابا) حيث قتل الكثير من المسلمين واحرقت مساجدهم دونما مبرر .

هذه الظاهرة الطائفية التي طفت على سطح الأحداث فجأة في نيجيريا لم تتأتى من فراغ ، وليس مجرد الاعلان عن النية في تطبيق الشريعة هو الذي أفضى إلى واقع دموي مرير عاشته نيجيريا خاصة وإن كادونا لم تكن قد أعلنت بعد انها ستطبق الشريعة فيما سبقتها إلى ذلك ولايات أخرى مثل (زمفرا) و (النيجر) ، بل أن ولايات أخرى أعلنت أنها

والمعرض لها والجهات التي تقف وراءها .

وتتعرّز هذه التساؤلات حينما نعلن أن (ابا) الجنوبية الشرقية التي لم يفكر المسلمون فيها وهم الأقلية بتطبيق الشريعة على مستوى الولاية شهدت هي الأخرى أعمال عنف شرسة واحراق مساجد وتهجير عدد كبير من السكان المسلمين .

القاء الضوء على ماضي هذه البلاد ربما يرشد إلى الامساك بخيوط الأحداث وأسبابها . فقد دخل الاسلام إلى نيجيريا في القرن الحادي عشر واتسع انتشاره على يد أبناء المنطقة نفسها حيث قام ملوك الهوسا في كانوا وكاتسينا بجهود كبيرة لنشر الاسلام . وفي أوائل القرن التاسع عشر قام الشيخ عثمان بن فودي برفع لواء الجهاد لبث الحياة الاسلامية من جديد ، وتمكن الشيخ عثمان واخوه عبدالله من توحيد امارة الهوسا تحت سلطة مركزية واحدة ممثلة

ستعمل على تطبيق الشريعة أثناء الأحداث وبعدها كولاية (سوكتو) دون أن تقع فيها أحداث من هذا القبيل .

فولاية (زمفرا) على سبيل المثال اعتمدت هذا الاعلان في تشرين الأول من العام الماضي ، وانشأ يومها حاكم الولاية مجلساً للعلماء لتقديم النصح له فيما يتعلق بطرق ووسائل تطبيق الشريعة ، واصدرت الجهات المسؤولة - يومها أيضاً - قرارات بمنع الكحول والقمار والزنا والربا ، وانشأت وزارة للشؤون الدينية ولجنة لمكافحة الفساد ، وثم وضع برامج لمحاربة الفقر .

كل هذه القرارات لم تحرك ساكناً ولم تحض مسيحياً واحداً على الاحتجاج لأنه ربما رآها تصب في صالحه كما تصب في صالح المسلم ، وتخدم انسانيته وكرامته .

من هنا تبرز علامة استفهام كبيرة حول مغزى هذه الأحداث التي وقعت في نيجيريا

في خلافة سكوتو ، حيث أصبح الاسلام القوة السياسية العليا في نيجيريا و تم تطبيق الشريعة في كل المنطقة . لكن المستعمر البريطاني كان يترصد الاوضاع عن كثب حتى إذا ما تدهورت احوال خلافة سو كوتو انقضى على هذه البلاد في مطلع القرن واستولى عليها لسته عقود من الزمن ، واضطر المسلمون في هذه المدة إلى العيش في اطار سياسي يختلف في اسسه وتصوراته عما تمليه الشريعة .

في هذه الفترة من الحكم الاستعماري تكرست اسس الطائفية ، ووضعت اللبنة الاولى لدستور البلاد الحالي بحيث أصبح مرجأ في النزاع بين المسلمين والمسيحيين بشأن امكانية تطبيق الشريعة .

ففي سنة ١٩٧٨م شكلت قضية الشريعة ازمة في النظام القانوني النيجيري خلال الجمعية التأسيسية لدستور عام ١٩٧٩م بسبب النص في مشروع الدستور

على انشاء محاكم استئناف شرعية فيدرالية تستأنف أمامها أحكام المحاكم الشرعية في الولايات الشمالية .

وفي عام ١٩٨٨م وخلال أعمال الجمعية التأسيسية عاد الحديث والجدل مرة أخرى حول مكانة الشريعة في النظام القانوني النيجيري بين المسلمين والمسيحيين ، حيث رأى المسلمون بأن الشريعة يجب أن تطبق حيث يوجد عدد كبير من المسلمين ، بينما احتج المسيحيون بأن تطبيق الشريعة يتعارض مع علمانية الدولة . ولم يتوقف الجدل حول هذه المسألة إلا بعد تدخل الرئيس يومها ابراهيم ببا نغيدا على أساس أنه سبق حسمها في دستور ١٩٧٩م الذي نصّ على أن نيجيريا دولة علمانية ! . وهذا النص مأخوذ من القانون الانجليزي الذي حكم البلاد لستين عاماً !! .

وهذه المرة أيضاً تدخل الرئيس اولو سيغون اوباسانجو

وهو مسيحي وأعلن أن تطبيق
الشريعة مخالف للدستور .

ولكن هل حقن اوباسانجو
بموقفه هذا الدماء ؟

بعد ثلاثة أيام فقط من
تصريحه وقعت مجازر مدينة ايبا
الجنوبية الشرقية التي لم تعلن
يوماً أنها تريد تطبيق الشريعة .
ووقعت هذه المجازر أيضاً في
وقت اعلنت الولايات الشمالية
الثلاثة انها تراجعت عن قراراتها
بتطبيق الشريعة . وفي هذا الوقت
بالذات أطلقت دعوات مسيحية
لانفصال جزء من ولاية كادونا
وتأسيس ولاية مسيحية مستقلة
في المنطقة !

مسلسل الأحداث في هذه
المنطقة الافريقية يوحى بوجود
مخطط يستهدف الوجود
الاسلامي ولا يخدم الوجود
المسيحي ، والمطلوب وقفة واعية
من أبناء المنطقة نفسها للقضاء
على الفتنة واغلاق ملفها نهائياً ،
وفي غير ذلك ستبقى المنطقة
مرشحة في أي وقت للاشتعال

متى ما أرادت تلك الأيدي والعقول
التي تقف وراء تلك المخططات .

* * *

□ أميركا وأوروبا

واشنطن والموقف من عملية
التسلح النووي

تستحوذ عملية نزع السلاح
وخاصة النووي منه لخطورته
الشديدة على الامن العالمي ، على
اهتمام الجميع بدءاً من الدول
الصغيرة النائية إلى المؤسسات
والاوساط الدولية السياسية منها
والانسانية التي تعتبر هذه العملية
من صلب مسؤولياتها ، وتحاول
في هذا الاتجاه استصدار
القرارات وعقد الاجتماعات التي
تضم أكبر عدد ممكن من الدول
والحث على توقيع الاتفاقات
المبرمة في هذا المجال من قبل
أكبر عدد ممكن من الدول كذلك .

وإذا كانت مشكلة المجتمع
الدولي في السابق تقتصر على
ضبط البلدان التي تفرد خارج
السرب وتحاول دخول النادي

النووي بشكل سري غير معلن كما في حالة الكيان الصهيوني ، فان الحاضر شهد نمطاً آخرأ من التمرد على القوانين الدولية أو قل محاولة التمرد عليها لسبب وآخر ، وتجسدت هذه الحالة في المؤتمر الأخير لمناقشة اتفاقية الحد من انتشار الاسلحة النووية الذي عقد على مدى شهر تقريباً بدءاً من شهر نيسان وانتهاءً في ايار / مايو .

المؤتمر عقد في نيويورك والذي خرج عن الاجماع فيه هو واشنطن ، علماً أن عدد الدول التي شاركت فيه بلغ نحو ١٨٧ دولة موقعة على الاتفاقية .

مشكلة الولايات المتحدة بدأت عندما رفض مجلس شيوخها في الخريف الماضي وتحديدأ في تشرين الثاني / نوفمبر معاهدة الخطر الشامل للتجارب النووية ، وواصفأ بذلك العالم على شفير مخاطر لا حصر لها ، وليت كان للمجلس مبرراته المعقولة في رفض الاتفاقية ، انما هو قرار

سياسي يدخل في لعبة الحزبين الرئيسيين اللذين يتبادلان الحكم في أميركا . وخلاصة الأمر أن مجلس الشيوخ ذي الاغلبية الجمهورية لم يرغب في أن يهدي الرئيس الديمقراطي بيل كلنتون وهو في اواخر فترة حكمه ما يعتبر انجازاً للديمقراطيين ، فكان لا بد أن يضع العالم يده على قلبه .

يضاف إلى هذا الموقف الذي ينطلق من صراع حزبي داخلي ، موقفاً آخرأ مصدره الادارة الاميركية نفسها عندما حاولت إدخال تعديلات على معاهدة الحد من الصواريخ الباليستية «اي بي ام» ، مبررة ذلك بأن «العالم تغير بشكل كبير خلال العقود (الثلاثة الأخيرة) منذ توقيع الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة على المعاهدة في عام ١٩٧٢م هذا التبرير جاء على لسان وزيرة الخارجية الأميركية في المؤتمر المذكور وجاء بعد تحذير شديد اللهجة قدمه الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان

من على منصة المؤتمر واعتبرت اولبرايت الدعوة إلى تعديل بأنها تأتي في سياق أخذ التهديدات الجديدة من أطراف خارج نظام الردع الاستراتيجي مأخذ أكبر وهي تقصد بذلك الجمهورية الاسلامية في ايران وكوريا الشمالية وبعض البلدان الأخرى ورفضت الوزيرة الدعوات التي وجهتها الدول التي لا تملك أسلحة نووية من أجل تسريع عملية نزع الأسلحة الشامل . ووقفت دول نووية أخرى من الموقف الأميركي على رأسها روسيا والصين حيث ربط وزير الخارجية الروسي ايفول ايفانوف بين مواصلة نزع الأسلحة النووية وتخلي واشنطن عن مشروعها المضاد للصواريخ وقال بالحرف الواحد ان احترام كامل لمعاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ بشكلها الحالي دون أي تغيير يجب أن يكون في اساس المفاوضات الجديدة حول نزع الاسلحة

النووية» .

عنان بدوره حذر من الاصرار الأميركي على تعديل اتفاقية «أي . بي . ام» وقال ان ذلك سيؤدي إلى «سباق جديد للتسلح ونكسات في ازالة الاسلحة النووية والحد من انتشارها والحث على التسلح النووي» .

وأعرب المسؤول الدولي عن مخاوفه من أن تؤدي هذه التحديات والمخاطر إلى «اضعاف الأمن الشامل بدلاً من تعزيزه» . ووضع عنان الدول الكبرى وخاصة أميركا أمام مسؤوليتها التاريخية حينما قال «ان نزاعاً نووياً يبقى امكانية حقيقية جداً ومرعبة في بداية القرن الحادي والعشرين» .

وأمام هذه الردود الصريحة من قبل المجتمع الدولي وبعض دول النادي النووي لم يكن أمام واشنطن بد إلا الاعتراف بالدور السلبي الذي تقضي إليه مواقفها من موضوع الاسلحة النووية والاصرار على تعديل اتفاقية

الصواريخ المضادة ، حيث قال
مستشار بيل كلنتون لمراقبة
التسلح جون هولوم بوجود كثير
من الاحباط لدى الدول التي كانت
تظن ان نهاية الحرب الباردة
كانت ستسرع جهود نزع السلاح .
وإذا كانت الولايات المتحدة
تقر بهذا الأمر الخطير ، فلا بد لها
أن تعترف ايضاً بأنها تتحمل
المسؤولية الاولى عن هذا الوضع
أو أي وضع يؤدي إليه سباق
التسلح سواء بينها وبين روسيا
والدول الصناعية الاخرى ، أو
دول العالم الثالث التي تبحث عن
سيادتها واستقلالها وترى انها
مهدة في أي لحظة من قبل
اميركا إذا حاولت النهوض
والوقوف على قدميها والدخول
إلى القرن الحادي والعشرين
وهي مزودة بالعلم والاستقلال
والقدرة وحتى السلاح للدفاع عن
أمنها . أميركا تتحمل المسؤولية
الكبرى طالما بقيت تفكر بعقلية
الحرب الباردة ، وطالما القى
التنافس الديمقراطي الجمهوري

الداخلي بظلاله على قضايا
حساسة ومهمة كقضية السلاح
النووي الذي تقول أميركا انها
حتى لو ازالته شهرياً (١٠٠) قطعة
سلاح من هذا النوع فانه من
الصعب احراز تقدم سريع في
خفض الأسلحة النووية .

استغلالاً لضحايا النازية :

بعد الساسة ، المركة الصهيونية

تتجه نمو الرأي العام

عرفت الحركة الصهيونية
كيف تنتهز الفرص لتحقيق أعظم
المكاسب منذ أن تأسست ، بل
عرفت كيف تجعل من اللاشيء
شيئاً ومن الوهم حقيقة تخدم
مصالحها وتصب في بوتقة
أيديولوجيتها التي فُكرت ومنذ
بداياتها في فرضها على العالم .

وفلسطين المحتلة خير شاهد ،
لكن نريد أن تبعد قليلاً عن
المنطقة ، ونتمسك هذا السلوك في
السياسة والعلاقات الدولية التي
يفترض بها أن تتمسك بالنزاهة
والحيادية . الأثر الذي نستطيع أن
نمك بخيوطه عن بعد ونتبين

ملاحه بوضوح من هذا السياق هو ما تمارسه الصهيونية من دور في الكثير من البلدان وخاصةً الغربية وأميركا لما لها من دور مالي في فرض الموقف والرأي ، حيث يمكن ملاحظة هذا الدور عبر المواقف التي تتخذها تلك البلدان وعبر الضغوط التي تمارسها على الطرف الآخر - أيضاً - كان - لصالح الحركة الصهيونية بشكل خاص واليهود بشكل عام . أردنا أن نبتعد عن المنطقة ، لكننا نرى أنفسنا مقحمين لما يفرضه الواقع ، فعدنا إليها ولكن بسرعة وعبر بعض الاستفهامات.

● ماذا يعني الصمت الاميركي على ضرب اسرائيل للبنى التحتية والمنشآت المدنية في لبنان ؟ وماذا يعني الموقف الفرنسي الممالي للسياسة الصهيونية (حينما) يزور رئيس وزراء فرنسا فلسطين المحتلة ويكيل السبب والشتم والاتهامات للمقاومة الاسلامية اللبنانية ؟

وماذا تعني المواقف الغربية الصامتة حيال ما يتعرض له لبنان وغير لبنان ؟ نعود ونقول ان الحركة الصهيونية لن تترك مناسبة إلا وأستفقلتها تثبيتاً لوجودها وتحقيقاً لمصالحها حتى وان كان ذلك على حساب الآخرين وعلى الكذب والنفاق . فقد أستطاعت هذا العام وفي محاولة لتحشيد الرأي العام بعد السلطات السياسية التي وزعت عليها الأدوار عبر مجموعات اللوبي المنتشرة في بنية هذه السلطات ومختلف اجهزتها ، استطاعت أن تجمع أكثر من ستمائة سياسي في العاصمة السويدية لتخليد ما يسمى بذكرى الهولوكوست أو المحارق المزعومة ضد اليهود في الفترة النازية ، وعلى رأسهم الرئيس الاميركي بيل كلنتون الذي شارك بكلمة مسجلة على شريط الفيديو . وإذا كان الحدث يستحق كل هذه الضجة الاعلامية ويستحق

أن يقول عنه رئيس الوزراء السويدي (جوران بيرسون) : «تتضاءل أمامه كل ما شهده العالم بعد [مأساة اليهود] من مآسي وصراعات عرقية في أفريقيا وكمبوديا ورواندا والاتحاد السوفيتي السابق»، فأن أحداثاً أخرى شهدتها فلسطين على يد اليهود أنفسهم وشهدها ويشهدها العراق بسبب الغرب نفسه وشهدتها من قبل فيتنام بسبب أميركا وغيرها من بقاع العالم المضطربة لابد لها أن تستغرق كل الاعلام وان تعقد لها كل المؤتمرات وأن تشارك فيها كل الشخصيات المؤثرة ، لكن الأمر ليس كذلك ، وان الكلام الذي أدلى به رئيس الوزراء السويدي نفسه غير مقتنع به وإلا كان جاهلاً بالتاريخ الحديث فضلاً عن القديم فأصحاب الضمائر الحية في الغرب نفسه لم يستسيغوا منذ الأربعينات وحتى يومنا هذا التمويه الذي يمارس حول المحارق النازية والأفران

المزعومة ضد اليهود ، وكان باستطاعة رئيس الوزراء السويدي أن يراجع مثلاً ما قاله عالم الجغرافيا الفرنسي بول راسينيان الذي أصدر أول كتبه عام ١٩٤٨م أي في عهد قريب من أحداث الحرب الثانية ، لكن القضاء الفرنسي وبتوجيه يهودي أصدر ضده احكاماً قاسية تضمنت تشهيداً و غرامات مالية فرضت على الناشر والمؤلف معاً . وظل راسينيان يصف حتى أواخر حياته اباداة اليهود بأنها اكذوبة تاريخية ، إلا أن تعتيماً اعلامياً وحصاراً ظلامياً فرض عليه . وفي العصر الحاضر تصدى الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي أيضاً لهذه الأكذوبة ، لكنه تعرض هو الآخر لأحكام قاسية من قبل القضاء الفرنسي الذي لم ينصفه ولم ينصف حرية التعبير والبيان الذي يتشدق به الغرب كله ، فلو حق حتى في سويسرا المعروفة بحياديتها ، فحكم بسببه على

صاحب مكتبة في مقاطعة فود
السويسرية في لوزان بالسجن
لأنه وزع مائتي نسخة من كتاب
«الأساطير المؤسسة للسياسة
الاسرائيلية»، وهو كتاب يكشف
زييف المعلومات الخاصة
بالمحرقة اليهودية ويشكك في
وجود غرف الغاز والارقام
الضخمة لضحايا الإبادة
الجماعية ضد اليهود.

كما كان باستطاعة
الدبلوماسي السويدي بل كل
الستمائة الذين أجمعوا هناك
لتخليد حدث أفضل ما يقال عنه
أنه مشكوك فيه أن يراجعوا ما
كتبه المؤرخ الأميركي نورمان
فيكولشتاين الذي تعرض
للتعويضات الضخمة التي حصل
عليها اليهود أوائل الخمسينات
من ألمانيا من أجل تمويل عمليات
ترحيل اليهود إلى فلسطين
المحتلة. وتوصل في دراساته
بأن عدد اليهود الذين أعدمهم
النازيون لم يتجاوز مائة ألف!
كما شكك بعدد اليهود الذين يقول

عنهم المؤتمر اليهودي العالمي
أنهم ١٣٥ ألف ضحية ممن
أستخدمهم النازيون في اعمال
السخرة.

ايمن هذه الارقام من
الملايين الستة التي يزعم اليهود
أنهم قدموها على مذبح العهد
الهتلري؟

الحقائق والارقام والدراسات
لا تبرئ هتلر من توغله في
الجريمة، لكن الذين نالهم العقاب
النازي كانوا من جميع الفئات
ومنهم اليهود، بيد أن الصهيونية
استطاعت فرض قوانين تمنع من
اجراء أي دراسة أو تمحيص
لاحداث الهولوكوست، وأي طائر
يغرد خارج السرب يكون مصيره
العقاب والعزلة والحصار
والتشهير والتنكيل، ولهذا فانه لا
رئيس الوزراء الاسرائيلي ولا
غيره يستطيع الخروج عن هذه
الدائرة الضيقة التي تفوح منها
روائح الحقد والكذب والتزوير
على التاريخ.

الخطير في مؤتمر السويد انه

حاول فرض التشويه على الرأي العام بإصداره جملة من القرارات منها : اعادة كتابة التاريخ لصالح اليهود ، وتقديم المانيا المزيد من الاعترافات إليهم بتقديم مساعدات لعمال السخرة اليهود في العصر النازي ، واقامة نصب تذكاري لهذه الحادثة في أبرز أماكن العاصمة برلين ، واتخاذ خطوات عملية لتعليم شباب اوربا بما تعرض له اليهود والدعوة لبقاء الهولوكوست محفورة في الازهان !

وإذا كان موقف الرأي العام الغربي غير واضح ازاء احداث مرّ عليها أكثر من نصف قرن ، فانه كان من المفترض لسياسته وزعماءه أن يبادروا إلى تحريضه على نبذ العنف والقتل الذي مارسه القادة الألمان حينذاك ضد كائناً من كان ، لا إلى حصره في اليهود وحسب لأن ضحايا هتلر كانوا أكثر من قومية وطائفة ودين .

هل تقف الولايات المتحدة

الاميركية وراء الفتن الطائفية ؟
في مناسبة وغير مناسبة لن تكف الادارة الاميركية عن التدخل في شؤون البلدان الأخرى تحت يافطات وواجهات عديدة . فقد عودتنا واشنطن أن تصدر تقارير دورية عن البلدان الأخرى وخاصة الشرق أوسطية أو تلك التي لها موقف سلبي من أميركا ككوبا مثلاً ، تنهال عليها بالاتهامات المختلفة ، لكن الذي تصدر موضوعات التقارير الاميركية في العقدين الأخيرين هي حقوق الانسان والارهاب لتصبح أدوات ضغط سياسية على البلدان المختلفة .

الجديد في تصرفات الخارجية الأميركية انها بدأت منذ مدة باصدار تقارير عن الحريات الدينية ! في الدول الأخرى ، وربما أصدرت غداً تقارير أكثر اقتراباً من الأوضاع الداخلية لتحقيق الجانب غير المعلن من العولمة التي نادى بها واشنطن .

والجديد أيضاً انها تناولت في

واحد من تقاريرها الاولى دولة
مثل مصر التي تربطها بها علاقة
وثيقة .

ولا يبدو أن لها مشكلة معها
في الظاهر على الأقل . بل حتى
وان عذمت المشكلة ، فإن
الولايات المتحدة تتوخى أموراً
آخرها للتأثير على مسار الأحداث
ودفعها باتجاه تحقيق أهدافها في
المستقبل .

والغريب أن التقرير خصص
للطائفة القبطية مساحة واسعة
أثنى فيها على الحكومة
لاستجابتها لبعض أساليب
الضغط الذي تقوم به واشنطن
وجماعات قبطية في المنفى
مدعومة أميركياً خاصة في مجال
اعطاء عشرات التراخيص للاقباط
لبناء كنائس جديدة فضلاً عن
سعيها (الحكومة) لادخال مادتين
جديديتين في التاريخ لتدريس
التاريخ القبطي والبيزنطي إلى
جانب التاريخ الاسلامي ، الذي
يدرسه طلبة المدارس .

وجاءت هذه الاستجابة بعد

احتجاجات أميركية سابقة
لتجاهل تاريخ الأقلية القبطية .

ومع ذلك اعتبر التقرير أن
مصر تمارس عنصرية وتميز
ضد الاقباط بسبب دينهم ،
واتهمها بأنها تمنعهم من شغل
مناصب قيادية في الشرطة
والجيش والادارات الحكومية
والمراكز التعليمية العليا رغم
وجود وزيرين قبطيين ورئيس
للقضاة ، كما اتهم مصر بأنها
تتعمد تغطية اعلامية غير كافية
في المناسبات القبطية ، واعتبر
أيضاً اعتناق القبطيات للإسلام
وللزواج من مسلمين سيمثل نوع
من الارغام الذي تغض عنه
الحكومة ، كما أخذ على الدولة
وجود نقص في معالجة المناهج
الدراسية للفترة القبطية .

ورأى التقرير الأميركي -
والمساحة مازالت للملف القبطي -
ان الحكومة المصرية حققت
مكاسب للأقباط منها : تشكيل
الحكومة في العام الماضي لجنة
من الأكاديميين لمراجعة مناهج

التاريخ في المرحلتين الابتدائية والاعدادية بهدف ادخال فترة التاريخ القبطي والبيزنطي في مناهج التعليم وكتب التاريخ ، وانها اعادت ترتيب جداول الامتحانات الدراسية بحيث لا تتعارض مع المناسبات القبطية . وانها اعادت (٨٠٠) فدان من الاوقاف القبطية للكنيسة صودرت عام ١٩٥٢ م .

وتناول التقرير أيضاً في مواضيع أخرى منها الاقليات في مصر واتهم الحكومة بأنها تمنع الانشطة البهائية منذ عام ١٩٦٠م وتمنع نشاط مؤسسات هذه الطائفة وممارساتها ، وتصادر الكتب والمراكز والممتلكات التي تشجع هذا الفكر .

وفي المقابل اعتبر التقرير ان الاشراف الحكومي على المساجد يساعد على مواجهة ما أسماه بالارهابيين وجماعات العنف ، وقال : ان الحكومة المصرية تجهد للاشراف على جميع المساجد في مصر وتعيين ائمة

المساجد ودفع رواتبهم وتحديد الخطب في أيام الجمعة والمناسبات الدينية .

وأضاف : ان نصف المساجد وتعدادها ٧٠ ألفاً يقع تحت الاشراف الحكومي تماماً ، والنصف الآخر تسعى الحكومة لاحتوائه والاشراف عليه لمواجهة الارهابيين وجماعات العنف .

وأكد التقرير الأميركي أن الرئيس المصري وافق على ٢٣٠ طلباً لبناء أو ترميم كنائس خلال فترة ولايته ، وأن تراخيص لبناء الكنائس تزايدت إلى ٢٠ ترخيصاً سنوياً في التسعينات بعدما كانت خمس تراخيص سنوياً في الثمانينات .

وفي قضية أخرى تكشف ملابساتها عن تدخل أميركي مباشر في الشأن المصري ، فقد اتهم التقرير الحكومة المصرية بالقبض على أربعة مصريين عام ١٩٩٠م ارتدوا عن الاسلام إلى النصرانية ، حيث اعتقلوا لعشرة

أشهر ثم افرج عنهم بأمر الرئيس المبارك ، بعدما قبض عليهم عام ١٩٩٧ و ١٩٩٨م ثم سمح لهم بالسفر بعد أن كان ممنوعاً عليهم.

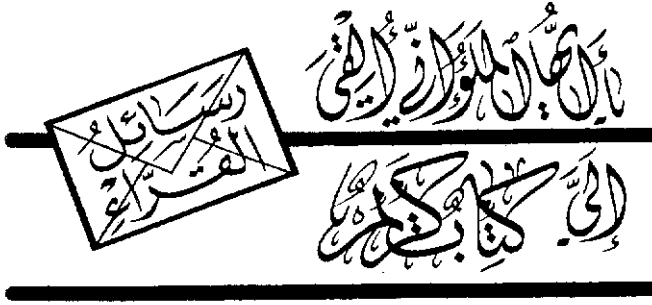
وقد أفادت معلومات إضافية لم يأت عليها التقرير بأن هذه المجموعة هي ضمن تنظيم أميركي يقوده منصرون في مصر يقومون بتوزيع منشورات ودعاية ضد الدين الاسلامي ، حيث تم ترحيل الأميركيين واعتقال المصريين الذين ارتدوا إلى النصرانية .

ويتأكد هذا الأمر حينما نعلم أن واشنطن بذلت جهوداً ضاغطة من أجل الافراج عن اثنين من المتنصرين عبر سفارتها في القاهرة التي أخذت - حسب التقرير - تنظر في الشكاوى المقدمة لها بهذا الخصوص ، وكأن لها الولاية على مصر وشعبها .

بل أن تدخل الولايات المتحدة بلغ مرحلة بحيث باتت هذه الأمور

تطرح من قبل أعلى المستويات في الدولة مع كبار المسؤولين المصريين .

ورغم أن وزير الخارجية المصري قلل من شأن هذا السلوك الأميركي ووصف التقرير بأنه شائعات وكلام مرسل ، إلا أنه يخفي وراءه أكثر من قضية لازالت غامضة شهدت ادوارها أرض الكنانة على مدى تاريخها الحديث ، ولعل الأحداث التي وقعت في الكشع مؤخراً بين الاقباط والمسلمين والتي راح ضحيتها المئات حركتها أصابع أميركية كانت وراء الستار مع أن تقارير الحكومة بشأن هذه الأحداث لم يفصح عن هذا الشيء ، وقد تكون الولايات المتحدة وراء أكثر من فتنة طائفية في أكثر من بلد ، وإلا ما معنى هذا الاهتمام المريب لبعض الطوائف تحت ستار الحريات الدينية ، ومتى كانت أميركا حريصة على هذه الحريات ، ولم تتناول التقارير بعض البلدان دون غيرها ؟



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنا شغف للتعرف على ما تحتويه

رسالة الثقليين من معارف وعلوم

المقدسة ، ولكن صوارف الأيام لم
تسمح لي مطالعتها . وفي الآونة
الأخيرة عازمت على مطالعتها
فتصفحت فهارس المجالات
جميعاً وقلّبت طياتها فوجدت فيها
مواضيعاً وبحوثاً ما أحتاج إليها
والغوص فيها فبدأت ذلك وأنا

نقدر جهودكم الطيبة
ومساعيكم الحثيثة
والتي تتجلى بوضوح في مجلتكم
رسالة الثقليين .



لقد أستلمت عشرة أعداد من
مجلتكم شخصياً من المجمع
العالمي لأهل البيت (عليه السلام) في قم

شغف للتعرف على ما تحتويه من
معارف وعلوم اسلامية .

لذا يسرني أن أعلن لكم رغبتني
في الحصول على الأعداد الآتية .
آمل من الله لكم المزيد من
التوفيق في سبيل نشر علوم
الدين ومعارف الأئمة الهداة
المعصومين .

حيدر نور الدين

دمشق - سوريا



«رسالة الثقلين» المجلة الاسلامية الجامعة للعلوم الحقّة

في البداية أحب أن أصدر
رسالتني بالشكر والتقدير
والعرفان على ما تقومون به من
نشر للعلوم الاسلامية الحقّة ،
العلوم الصحيحة النقية الصافية ،
علوم الحق والفضيلة ، علوم
محمد ﷺ وآل محمد ، علوم السنّة
المحمدية الصادقة الخالصة من
الشوائب .

لقد رأيت مجلتكم عند أحد

الاخوان فأشارت لها نفسي
وأطمأن لها قلبي من خلال
عنوانها البارز وأسمها المشرق
من دون أن أتعمق إلى جوهرها
وداخلها ... أبتردت أن أسأل
صاحبها عن عنوانها ومن رئيس
تحريرها ومن أين تصدر لكي
أنتهز الفرصة وأراسلها لأنعم
بالمعين الصافي في مجلتكم أن
ما يكنه قلبي من حب عميق إلى
من أوصانا بهم سيد البشرية
محمد ﷺ ولزيادة المعرفة
والاطلاع على علوم آل بيت
المصطفى . أطلب راجياً منكم
القبول وأن تجعلوني ضمن من
ينعم بالشرب من هذا المعين
الخالص .

عبد الكريم عبدالله
اليمن - صعدة



«رسالة الثقلين» مواضيعها رائعة

السلام عليكم .

مجلتكم العامرة «رسالة

وولعوا بها وكنت أستعيرها من بعض الاخوة الذين يحصلون عليها . ولصعوبة هذا الأمر بالنسبة لي ورغبتني في الحصول على المجلة باستمرار قمت بكتابة هذا الطلب لعلكم تمدونني بها ولكم جزيل الشكر .

ROMBA HASSANE

Cotedivoire

R . C . I

الثقلين» من المجالات المحببة والتي ترفد القارئ بالموضوعات الاسلامية والثقافية وهي مجلة لها صوت هادف . وقد أخذت طريقها بكل وضوح . ورسخت جذورها عن طريق نشر المقالات والمواضيع الرائعة التي تعرفنا بأهل البيت عليه السلام وعلومهم ومناقبتهم ومكانتهم السامية نحن بأمس الحاجة إلى مثل هذه المجلة.

خالد يحيى محمد أحمد القاضي
جمهورية مصر العربية

«رسالة الثقلين» مجلة الاسلام المحمدي الأصيل

يسعدنا أن نخاطبكم شاكرين لكم جهودكم الطيبة في استمرار تزويدنا بمجلتكم مجلة الاسلام المحمدي الأصيل . آمليين منكم المستثابرة على إرسال كل المنشورات الهادفة كي تكون المعنى الذي تنهل منه الأجيال المسلمة المهاجرة حيث تزداد الحاجة إليها وتتفاقم يوماً بعد يوم .

لقد حازت مجلتكم الغراء مكانة عظيمة لدى المطلعين عليها . يسعدني ويبهجني أن أعبر عن أعجابي بمجلتكم الغراء وتقديري بجهودكم عبر هذه الكلمات الكريمة . وبلا شك لقد حازت هذه المجلة شرفاً ورفعة ومكانة عظيمة لدى المطلعين عليها وأنا من بين الذين شغفوا

نسأل المولى أن يوفقنا وإياكم
لخدمة الاسلام والرسالة
السمحاء ولاعلاء كلمة الحق في
أرجاء العالم .

المسؤول الاعلامي لجمعية
الهدى الاسلامية
محمد عباس - كندا -

وإحترامنا للجهود العظيمة التي
تبذلونها في توضيح وشرح
ونشر معارف مدرسة الرسول
 وآله ﷺ في أبسط وأسهل وأحلى
طريقة .

فرسالة الثقليين هي خير معين
للرسالين والداعين والمبلغين
للاسلام الخالص .

فنشكر وتحية للاخوة العاملين
والساهرين على إخراج السفارة
بشكلها الجذاب ودمتم سالمين .

قاسم الأسدي
سويسرا

«رسالة الثقليين» خير معين للرسالين

سلام من الله عليكم ورحمته
وبركاته .

نسأل الله تبارك وتعالى أن
تصلكم هذه الرسالة وأنتم على ما
يرام ويرتجى لخدمة الاسلام
والمسلمين من خلال النبع
الصافي للرسول وآل
الرسول ﷺ وعبر المجمع
العالمي لأهل البيت (ع) ..
وسفيرته المتألقة دوماً «رسالة
الثقليين» .

ويسعدنا من خلال هذه
الفرصة أن نعبر لكم عن إعترازنا

أعجب بمجلاتكم لرصانة

مواضيعها وتنوع أبوابها

الاخوة الكرام في مجلة رسالة
الثقليين (والتي يصدرها المجمع
العالمي لأهل البيت (ع)) أبعث
إليكم بالتحية والسلام وأتمنى من
الله أن يوفقكم لما فيه الخير
والصلاح .

أطلعت أخيراً على أعداد
مجلتكم وأعجبت برصانة
مواضيعها وموضوعيتها وتنوع
أبوابها وجمال وحسن طباعتها
واخراجها - ونظراً لحاجتنا
الماسة للمجلة ولإصدارات
المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)
أرسلت لكم هذه الرسالة
وخصوصاً أننا نعيش
في مخيمات جنوب إيران
(دزفول) والتي هي بحاجة
إلى الكثير من الأمور
الثقافية والتي تخص وضعنا
الاجتماعي.

مسلم عاشور

الجمهورية الإسلامية في إيران



**شوقاً «لرسالة الثقلين» لما فيها
من معلومات قيمة نطلب
المزيد منها**

السلام عليكم .. وبعد .

هيئة التحرير لرسالة الثقلين

المحترمة . تقبلوا من قبل الأسرة
التعليمية لمعهد الأزهر للدراسات
الإسلامية فرع (بامين) السنغال
فائق الشكر والاحترام والتقدير
وأطيب التمنيات لكم ، لمواضبتكم
على هذا العمل الإسلامي الجليل
وهي - الأسرة - تستقبل من
سنوات نسخة واحدة من كل
عدد. جزاكم الله في ذلك عنا وعن
المسلمين خيراً .

وشوقاً لهذه المجلة الشريفة
لما فيها من معلومات قيمة نقدم
إلى جنابكم المحترم طلبنا هذا
وهو إرسال المزيد من النسخ
حتى تتوفر على الأقل لدى جميع
الأساتذة البالغ عددهم عشرة
أشخاص .

وكذلك نطالب بالحصول على
كل ما تصدره هيئتكم الموقرة
وترونيه نافعا للمسلمين الغيورين
على دينهم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

أساتذة معهد الأزهر
لِلدراسات الإسلامية
السنغال - بامين

رسالة الثقلين مجلة اسلامية جامعة

قيمة الاشتراك

الاسم :
العنوان :
.....
المدينة :
البلد :
المهنة :
مدة الاشتراك :
ابتداءً من :
.....
عدد النسخ :

بلد
الارسال
الاشتراك
السنوي / لمدة ٦ أشهر

□ الجمهورية الاسلامية
في ايران (بالريال)
□ باقي دول العالم بالدولار
الأميركي
٧٠٠٠ ١٤٠٠٠
١٥ ٣٠
(أو ما يعادلها)

□ يرافق اشتراكي : □ صك □ صك بريدي □ حوالة بريدية
أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي :
□ الجمهورية الاسلامية في ايران . قم . ص . ب ٨٩٤ - ٣٧١٨٥

.....
الاشتراكات :

□ داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (١٤٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على
العنوان التالي :

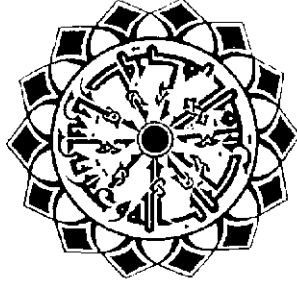
الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بانک ملی / شعبه ولايت - خيابان فلسطين جنوبی - رقم
الحساب الجاري ٥٥٩١٦٠٠٦ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين .

□ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولار أميركي أو ما يعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان
التالي : (جميع فروع بانک ملی في خارج البلاد) .

Bank Melli, Iran (55916006)

ثمن النسخة :

□ الجمهورية الاسلامية في ايران ٣٥٠٠ ريال □ العراق ١٠ دنانير □ لبنان ٢٥٠٠ ليرة □ سوريا ٥٠ ليرة
□ الاردن دينار واحد □ الكويت دينار واحد □ البحرين دينار واحد □ الامارات ١٥ درهما □ قطر ١٥ ريالا
□ عمان ريال واحد □ السعودية ٢٥ ريالا □ اليمن ٣٥ ريالا □ مصر ٧٥ قرشا □ ليبيا ١٠٠٠ درهم
□ السودان ١٠٠ جنيه □ تونس دينار واحد □ المغرب ١٥ درهما □ الجزائر ١٢ دينار .
□ وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأمريكا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها .



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol. 9, No. 33, April. - June. 2000

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى : لوحة فنية تتضمن جزءاً من دعاء الصباح لأمر المؤمنين عليه السلام : «وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح» (بالخط الحر) ، «بمفاتيح الرحمة والفلاح» (بخط النسخ الحر) ، «اللهم صل على محمد وآل محمد» (بالخط الديواني) .

الصفحة الثانية : لوحة فنية تتضمن قولاً لأمر المؤمنين عليه السلام : «قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام» ، «تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم ...» (بخط النسخ) ، «بالاخلاص ترفع الأعمال» ، «احسبوا كلامكم ...» (بخط الثلث) .